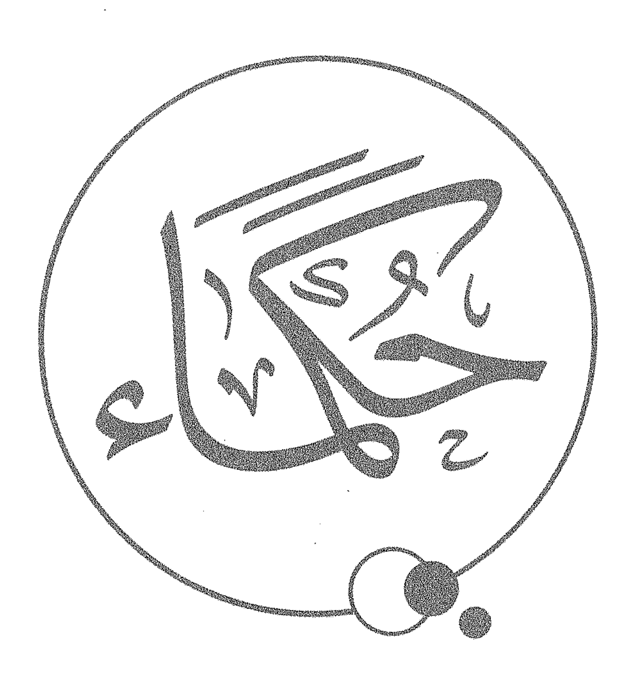
حكماء

أعـدَّه

محمد بن فارس الثنيان

دار ابن الأثير



أعـدّه

محمد بن فارس الثنيان





الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م



دار ابن الأثير
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦
هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨
التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فهذا كتاب يفيد العاقل، ويُحكم فعله، و يضبط أمره، ويفتح له أبواباً من التوفيق والسداد.

إننا عندما نتحدث عن الحكمة، فإننا نتحدث عن مفاتيح الفضائل، وكنوز الذخائر، يحتاج إليها كل من تولى أمراً، أو رام علماً، أو صفا له فهم.

إن الحكمة للرجل وللمرأة، وللمربي، والمستشار، والمُستشير وللعالم ولطالب العلم وللحاكم وللمحكوم وللسفير وللخادم والمخدوم.

إنها باب للتوفيق والنجاح والتفوق، وما أجمل قول سليمان الحكيم: ‹الحكيم عيناه في رأسه، أما الجاهل فيسلك في الظلام›.
لذلك فهي نور داخلي ينير العقل والقلب كما إنها نور خارجي ينير للآخرين طريقهم.

وقال بعض الحكماء: «الحِكمَة موقظةٌ للقلوب من سِنَة الغفلة، ومُنقذِةٌ للبصائر من سكرةِ الحيرة، ومحييةٌ لها من موتِ الجهالة، ومستخرجة لها من ضيقِ الضّلالة، والعلمُ دواءٌ للقلوب العليلة، ومِشحَذٌ للأذهان الكليلة، ونورٌ في ظلمة»

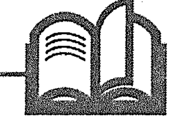
لذا كان يجب علينا أن نبحث عن الحكمة، وأن نُفتش عنها في مظانها ونتعرف صفاتِ الحكماء، وسر تفوقهم، وكيف حازوا ما حازوه؟

وكيف سبقوا أقرانهم، وأمِنوا من أعدائهم ونافسوا على ذرا المجد، وطرقوا أبواب التفوق و التوفيق؟

إن الحكمة كنز عظيم، من حازه فقد حاز خيراً كثيراً، ومن افتقده فقد خسر الخير الكثير، لقد كان أنبياء الله ورسله حكماء في دعوتهم للناس ، ومعاملتهم إياهم، وكذلك عبرَ التاريخ وجِد أناسٌ حكماء كان لهم أثر كبير في قول الحكمة ونشرها وتطبيقها.

وفي المقابل هناك من كان يقول الحِكم الجليلة ومع ذلك لم يتمثل ذلك في حياته، بل كانت حياته خبط عشواء لا تظهر فيها الحكمة.

ونحن بحق في حاجة ماسة للحكمة والرأي السديد وإعمال العقل في زمن سيطرت عليه القوة وأحكمت المادة قبضتها على مقاليد الأمور فيه، وأصبحت المصالح الشخصية هي الغاية.



(إن الذي نحتاجه اليوم حاجة ماسة معرفة بعض السنن، القواعد التي تساعدنا على تلمس الواقع في حال ضعف معرفتنا به، وانعدام المؤشرات التي ترسم شيئاً من ملامحه، إن من المهم أن تكون لدينا منهجية لفهم الواقع، والتعامل معه لأن الذي يملك المعلومة كمثل من يمتلك قطعة ذهبية، أم الذي يملك منهجاً فإنه كمن يملك مفتاح منجم الذهب). د. بكار

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: (جميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، إنها وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام محل الإحجام).

لكن لابد أن نتصورها:

وردت كلمة (حكمة) في القرآن والسنة وفي الأشعار والأمثال، فهي في القرآن يراد بها: النبوة، والفقه في القرآن، والمعرفة بدين الله، والفقه فيه، والإتباع له، والخشية، والورع.

وقيل: إنها المعرفة بالدين، والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية، ونور من الله تعالى.

والحِكمَة: هي الفهم والعمل الجيِّد والقول الحسن.

وقيل: هي وضع الشيء في محله،وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام فالحكيم الشخص الذي يُحكم ويُتقن عمله وقوله بالصواب والعقل.

قال ابن القيم: (وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك أنها معرفة الحق، والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام الإيمان).

ويمكن جمع أقوال العلماء فيها فيقال إنها (إدراك للعلل والغايات، وفهم لأسرار الشريعة، فتوزنُ الأمور بميزانها، بتعقل وحُسن نظر، بروية واعتدال)، فكل إنسان إذا أحكم وأتقن عمله فهو رجلٌ حكيم، وقد سمّى «الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة» فقال:

وغريبةٍ، تأتي المُلوكَ حكيمة
قد قُلتُها ليقال: مَنْ ذا قالها؟

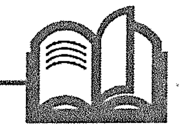
لذا أمتن الله على بعض العباد بأن أعطاه الحكمة وسماها خيراً كثيراً

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) ﴾.سورة البقرة الآية ٢٦٩.

ومنّ على لقمان وأمره بالشكر: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) ﴾ سورة لقمان الآية ١٢.

وقال في معرض الامتنان على يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾

سورة يوسف الآية ٢٢.



والقرآن بما فيه من عجائب الأسرار ودقائق الأمور كله حكمة.

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ سورة النحل الآية ١٢٥.

وعندما أحتضن ابن عباس دعا له ﷺ بالعلم والحكمة.

والغبطة تكون بها كما جاء في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ فى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِه فِى الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللَّه حِكْمَةً فَهْوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

لذا يقال أن الحكماء لهم صفات، متى سعيت لها سوف تتمتع بالحكمة، وتفيد من حولك، وستقود، وتُبدع، وتُنجز، ولا تندم.

- قال بعضهم يمكن، أن نحللها، إلى العناصر المكوّنة لها، وهي ثلاثة: الذكاء، والمعرفة، والإرادة ؛ فالذكاء اللماح، والمعرفة الواسعة، والإرادة الصُلبة تكوّن معاً: (الحكمة)، وعلى مقدار كمال هذه العناصر تكمل الحكمة.

وكلُ شجاعةٍ في المرء تغني

ولا مثلُ الشجاعةِ في الحكيم

(هذا أيها الناشئون على النقد، الباحثون عن الحكمة نبراس مبين، أقمناه بين أيديكم؛ ليضيء لكم مستقبلًا نيّرًا،

وعسى إن اهتديتم بضيائه، واحتفظتم عليه من عواطف الأهواء والشبهات أن تحمدوا غبّه، وتسلكوا به طريق العقلاء، فتصبحوا سمراءَهم، والله يضيء آراءَكم بالحكمة). كما قال ابن عاشور.

وثمة وصفة جيدة تربط بين اتخاذ القرار والتوقيت، يجب أن يتذكرها القائد فيما يتعلق بالتوقيت وهي:

القرار الخاطئ في التوقيت الخاطئ	=	كارثة
القرار الخاطئ في التوقيت الصحيح	=	غلطة
القرار الصحيح في التوقيت الخطأ	=	عدم القبول
القرار الصحيح في التوقيت الصحيح	=	النجاح

إذن فالقرار الصحيح يجب أن يكون في الوقت المناسب، وتأخيره عن وقته يفقده النجاح، بل ويفقده القبول؛ إن الناجحين يتخذون القرارات الصحيحة في وقتها الملائم ويشرعون في متابعة هذه القرارات الصحيحة، وكلما اتُخذت هذه القرارات في وقت ملائم، طالت مدة إدارتهم لها، وصاروا أكثر نجاحاً.

لكن عندما يغفلون عنها في وقتها، ولا يحسنون إدارتها بكفاءة ، كثيراً ما ينظرون إلى ماضيهم نظرة مؤلمة؛ مهما كان لديهم من مواهب، ومهما كان عدد الفُرص التي سنحت لهم، فإن القرار الجيد اليوم قد يكون أفضل من القرار العظيم غداً.



لذا بين يديك عَشرُ صفات للحكمة، إذا تعرّفتها، وحاولت تطبيقها، ستكون حكيماً في تصرفاتك، واثقاً من قراراتك، مبدعاً في أعمالك بأذن الله تعالى.



حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

أولا

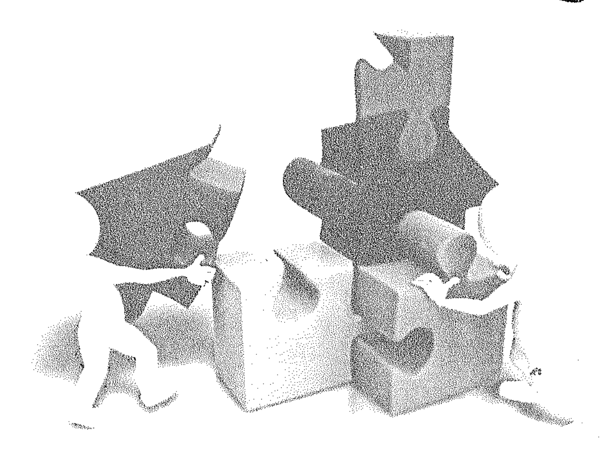
التجدد والتطور

إن الحكيم لا يمل من البحث عن الحكمة، و تلقفها من أي شخص، كان فهو أحق الناس بها، فإذا وجدها التزمها ولم تفارقه.

إنّ من ترك التجدد فقد ترك الحكمة وتركته، ومن هذّب النفس وقومها، فقد أدرك الحكمة، لقد علمنا النبي كيف نعالج أنفسنا بالبحث عن الأكمل والأصلح لها.

○ كان ﷺ إذا مرَّ يعلم أصحابه ويدربهم على ذلك، فقد جاء في صحيح البخاري عن سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ رضى الله عنه قَالَ مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ «ارْمُوا بَنِى إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِى فُلاَنٍ» قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ» قَالُوا كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ».

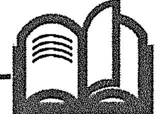
ووجه أصحابه بأن يكونوا مثل النخلة كما في البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ».



يعرِفُ الحكيم أن نجاحاته المتلاحقة لم تأتي هكذا جزافاً، بل لأنه صاحب معرفة جيدة وعقل فذّ، وقابلية للتعلم، وحضور ذهني، إن عجلة التطور عند الحكيم لا تهدءا أبداً، ففي كل موقف له فكرة ومع كل حدث له مواقف.

◎ عندما اجتمع الناسُ لوداع الجيش والأمير أسد بن الفرات، وقد خرج مجاهداً وعمره سبعون سنة، فقال: لهم في وداعهم: (والله يا معشر الناس ما وليّ لي أبُ ولا جد ولاية قط، وما رأى أحد من أسلافي مثل هذا قط، وما بلغته إلا بالعلم، فعليكم بالعلم، أتعبوا فيه أذهانكم، وكدوا به أجسادكم تبلغوا به الدنيا والآخرة)

فعليه أن يسعى للعلم، ويفتح نوافذ فكره لكل جديد يأخذ منه ما حسُن، ويدع ما قبح، وليكن شجاع العقل ويضع هذه الشجاعة في موضعها.



○ ذكر أبا هلال العسكري أن المأمون دخل على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال: يأبني ما في كتابك؟ فقال بعض ما يشحذ الذهن، ويؤنس الوحدة. فقال: الحمد لله الذي زقني ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده.

○ جاء عن الأمام أحمد وأبي داود أن النبي ﷺ نطق بالحكمة فقال «إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ».

○ انشد ابن الأنباري عن أبيه:

شفاء العيِّ في طول السؤال
وعدلك في المقال وفي الفعال
وبحثك في الأمُور عن المعاني
وتخريج المقال من المقال
وقولك بالصَّواب إذا أنارت
شواهدُهُ ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم
ليفهمك الصحيح من المحال

○ قال ابن القيم: (للعلم ست مراتب: أولاها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة: وهي ثمرته وهي العمل به ومراعاة حدوده).

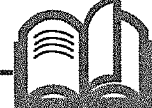
○ ومما كتبه ابن حزم رحمه الله: (فمن سُر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها فليعلم أن النمر أجرأ منه، وأن الأسد والذئب والفيل أشجع منه، ومن سُر بقوة جسمه فليعلم أن الثور والفيل أقوى منه، ومن سُر بحمله الأثقال فيعلم أن الحمار أحمل منه، ومن سُر بسرعة عدوه فليعلم أن الكلب والأرنب أسرع عدواً منه، ومن سُر بحسن صوته فليعلم أن كثيراً من الطير أحسن منه صوتاً، وأن أصوات الطير ألذ وأطرب من صوته، ولكن من قوى تميزه واتسع علمه وحسن عمله فليتعظ بذلك فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه إلا الملائكة وأخيار الناس).

إن من فقد الاكتساب والتطور، فإنه يحكم على نفسه بالفشل، وعلى طريقته بالقِدم، لأنَّ العالم يتطور ويتجدد، وهو لا يزال متخلفاً، بعيداً عن التوافق.

فهم يتعلمون باستمرار: القراءة، التدريب، الدورات، الاستماع.

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

كثير من الناس يستوحشون من الجديد، فتجدهم يسارعون بِرد الأفكار الجديدة، وهذا ظلم للعقل، وإعطاب للفكر، وحكم بالفشل، وتجميد للرأي.



لكنها عند الحكيم غير موجودة فأفكاره تسبق تصرفاته، والجدة حاضرة عنده، وعليها المعول في تصرفاته.

ولا يضيق صدره بمخالفة آرائه، لأن للناس أفكاراً قد تكون هي الصائبة، وغيرها، أبعد عن الصواب.

كل الأحداث التي تمر بك تسير بك نحو النضج إذا وفقت للتفكير السليم.

الإبداع كسر للطرق التفكير القديمة قبل أن يكون إتيانا بشيء جديد. د بكار.

○ قال د سلمان العودة: (لا ترسم في رأسك صورة تريد تحقيقها بحذافيرها، فذلك هو المستحيل، لكن لا بُد من التجدد: أي تطوير الذات فكراً، وسلوكاً، واقتباس الحكمة من مظانها، أن تقرأ العين، وتصيخ الأذن، ويتأمل العقل، أن يكون المرء نهماً، ما أجمل النهم إلى المعرفة الجديدة)، وفي الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- «منهومان لا يُشبعان: صاحب علم وصاحب دنيا».

○ قال أبو العيناء:

إذا أَعْجَبَتْكَ خِصالُ امْرِئٍ
فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ

فَلَيسَ عَلى المَجْدِ وَالمَكْرُماتِ
حِجابٌ إذا جِئْتَهُ يَحْجُبُكَ

○ سئل الأصمعي بما نلت هذا العلم فقال: (بكثرة سؤالي، وتلقي الحكمة الشرودة من الحكيم).

○ قال الصولي في آداب الكاتب: (وليس يجب لمن صفِر من هذه لعلوم أن يدع التَّعلم آيساً من الاستفادة، مولياً عن الاستزادة، فربما كان الإنسان مُهيَّأ الذهن لحمل العلم، قريب الخاطر، مُتقد الذكاءِ، فيضيع نفيه بإهمالها،ويميت الخاطر بترك استعمالها، كما قال عليٌّ بن الجهم:

والنار في أحجارها مخبُوءة
ليست ترى إن لم تُثرها الأزندُ

○ لا يزال الرجل عالماً ما تعلم فإذا ترك العلم، وظن أنه قد استغنى، واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون. سعيد بن جبير

○ الأفكار كالأسلحة تتبدل بتبدل الأيام، الذي يبقى على آرائه العتيقة هو كمن يريد أن يحارب الرشاش بسلاح عنترة بن شداد. علي الوردي

قال شيخ الإسلام في مجموعة الفتاوى (قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والإرادة).

○ لقد وضع ستيفن كوفي في كتابه القيادة على ضوء المبادئ،صفات للقادة الملتزمين بالمبادئ فكانت أن لهم مزايا منها: (أنهم يتعلمون باستمرار: القراءة، التدريب، الدورات، الاستماع. وهم يرون الحياة كمغامرة، و أضاف قوله اشحذ قدراتك:

بالتحسين المستمر والولادة المتجددة وألا يبقى الفرد منا في مكانه بلا تقدم لأنه سوف يتأخر حتماً).

○ قال معاوية -رضي الله عنه-:

علموا أولادكم الشعر فلقد وضعت رجلي في الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة فما منعني إلا قول ابن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي

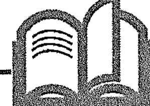
قال عبد الحميد الكاتب: (القلم شجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة).

○ يقول الخبير العالمي في القيادة جون ماسكويل: (إن القدرة على النمو والتطور وتحسين المهارات هو ما يميز القادة عن الأتباع، فالقادة الناجحون دائماً يتعلمون، وهذا التعلم عملية مستمرة، وهو نتيجة لضبط الذات والمثابرة والإصرار، وينبغي أن يكون الهدف اليومي منها هو التحسن المستمر، والبناء على التطور الذي حدث في اليوم السابق).

إن القدرة على القيادة هي في الحقيقة مجموعة من المهارات المكتسبة التي يمكن تعلمها وتحسينها جميعاً تقريباً، ولكن ذلك لا يكون بين عشية وضحاها، حيث القادة يحتاجون إلى الكثير من الوقت كي يكونوا مؤثِّرين.

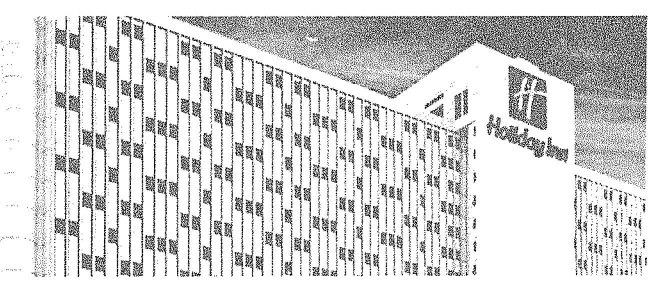
○ ذكر الدكتور فيصل آل ثاني في كتابه -القيادة- أن روح المبادرة مكنَّت (ويلسون) باكتساب الكثير من المال، ولكن لم يكن له تأثير على العالم حتى عام ١٩١٥؛ ففي هذا العام قام ويلسون باصطحاب أسرته في إجازة إلى واشنطن العاصمة، وفي أثناء تلك الرحلة خبر نفسه بالحالة المتردية للاستراحات والنزل في الولايات المتحدة. لقد انتشرت النُزل في أنحاء البلاد منذ عشرينيات القرن العشرين، وبعضها كان أماكن عائلية لطيفة، والبعض الأخر كان يؤجر الفراش بالساعة، والمشكلة الكبرى التي واجهت ويلسون هي أن المسافر لا يعرف ماذا ينتظره في النُزل المؤجر.

يقول ويلسون عن هذا الأمر: كان من المستحيل معرفة ما ستحصل عليه من نوعية السكن، فبعض الأماكن كانت قذرة للغاية كما كانت تتقاضى أجراً مقابل مبيت الأطفال، وهذا جعل دمي يغلي، فمثلي له خمسة أطفال كان يتحمل الكثير بالفعل؛ لاسيما أن بعض النزل كانت تتقاضى من أربعة إلى ستة دولارات للغرفة، إضافة إلى دولارين عن كل طفل، فكان هذا يجعله يدفع أجراً مضاعفاً،ومعظم الناس قد يتبرمون وينسون الأمر برمته، ولكن



(ويلسون) المتمتع بروح المبادرة قرر ألا يجلس ساكنا، وأن يفعل شيئاً حيال هذا الأمر، فقال لزوجته: (لنبدأ فور عودتنا في بناء سلسلة من الفنادق العائلية، فنادق تحمل اسماً يمكن الوثوق به، فكان هدفه أن يبني أربعمائة فندق، وأما زوجته فاكتفت بالضحك،

حين عاد (ويلسون) إلى ممفيس استعان بأحد المصممين لكي يصمم له أول فنادقه، كان يريد أن يكون الفندق نظيفاً، بسيطاً، معروف الإمكانات، كما أراده أن يحوي كل الأشياء التي



افتقدها هو وعائلته، مثل وجود تلفاز في كل حجرة وحمام سباحة، وفي العام التالي افتتح أول فندق في ضواحي ممفيس.

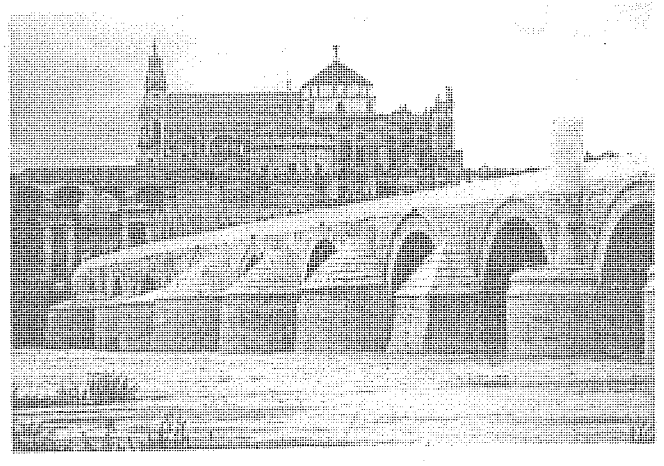
سطع نجم اسم هذا الفندق وعلتهُ لافتة يبلغ ارتفاعها ثلاث وخمسون قدماً كان يضيء منها اسم الفندق هوليداي إن.

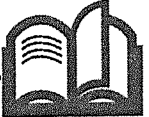
لقد استغرق ويلسون وقتاً أطول حتى يملك الفنادق الأربعمائة، فبحلول العام ١٩٥٩م كان قد امتلك مائة فندق ولكن حين قام ببيع امتياز الاسم التجاري لفنادقه، أدى هذا لزيادة هائلة في عدد الفنادق المفتتحة.

وبحلول عام ١٩٦٤م كان هناك خمسمائة فندق تحمل اسم(هوليداي إن) كانت سلسلة الفنادق في نمو مطرد و في عام ١٩٧٩م تنحى (ويلسون) عن إدارة الشركة بعد إصابته بأزمة قلبية.

لو تنفس صاحب هذا القبر:

كان القائد الحاجب أبى عامر المنصور المولود في سنه ٣٢٦ هـ بجنوب الأندلس، في نهاية حكم الأمويين، قريباً من قصر الرئاسة ثم دخله، عندما أصبح كاتباَ فيه، فترقى في المناصب ثم دخل متطوع في جيش المسلمين وأصبح قائد الشرطة في قرطبة لشجاعته ثم أصبح مستشار لحكام الأندلس لفطنته ثم أمير الأندلس وقائد الجيوش حتى أصبح هو الخليفة، بعد موت آخرهم الحكم المستنصر وتعيين أبنه الصغير، هشام وعمره لا يزيد عن ١١ عاما!!





فكان هذا خلل كبير بالدولة وإيذانا بسقوطها، لذا اضطر أمويون أن يضعوا وصاة عليه، فوضعوا أهم ثلاثة رجال بالدولة بعد الخليفة.

انتدب ليكون قائما على أملاك الأمير هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر، واستطاع بذكائه وحنكته أن يصل إلى سدة الحكم، في الأندلس والمتصرف في كل شؤونها، ولقب نفسه بالملك المنصور.

كان هذا القائد ذو همة عالية،وحكمة بحيث أنه أستطاع مواجهة النصارى في الخارج وجاهدهم وأنتصر عليهم، وتخلص من مشكلات في داخل القصر وأمن البلد من الفتن، وأصبح هو الخليفة على الأندلس كاملة وأمنها حتى عاش أهلها في عز وأمان.

أكمل مسيرة الدولة التي كانت في عصرها الذهبي؛ أي أن الأعمال كانت في الغاية من التفنن والدقة، وتتطلب خبرة وإتقانًا، كانت العلوم والتجارة والصناعة وغيرها من الأمور قد ازدهرت كثيرًا في حياة الحاجب المنصور، وقد عمَّ الرخاء وامتلأت خزانة الدولة بالمال، ولم يَعُدْ هناك فقراء تمامًا، كما كان الحال أيام الحكم بن عبد الرحمن الناصر أو أيام عبد الرحمن الناصر نفسه.

وحتى البلاد التي فتحها المنصور من بلاد النصارى اهتم بتعميرها وعمارتها؛ حتى صارت الجزيرة الأندلسية كلها متصلة العمران، عامرة زاهرة خضرة نضرة، وزاد الحاجب المنصور كثيرًا

في المسجد بعد ذلك، حتى أصبح ولفترة طويلة من الزمان أكبر من أي مسجد، وهو ما يزال إلى الآن موجودًا في إسبانيا، ولكن حُوِّل إلى كنيسة بعد سقوط الأندلس.

عِلم نصارى الشمال بوفاة الحكم المستنصر، ووجدوا الفرصة سانحة لنقض كلّ ما كان بينهم وبينه من عهود ومواثيق، وشرعوا يُهاجمون الثغور الإسلامية هجمات عنيفة، بغرض الثأر من المسلمين وإضعافهم؛ وقد اشتدّت هجمات نصارىَ الشمال على الثغور الإسلامية، بل وتخطّوها حتى كادت حملاتهم تصل إلى قُرْطُبَة عاصمة الخلافة الإسلامية في الأندلس.

فبادر لهذه القيادة ابن أبي عامر، وقام باختيار مَنْ يخرج معه من الرجال، واحتاج في تجهيزه

واستعدَّ لهذه الغزوة أفضل استعداد، وقاد الجند، وأخذ معه المال، وسار في رجب سنة (٣٦٦هـ) إلى الشمال، وهرب من أمامه جيش النصاري، ثم استطاع الاستيلاء على حصن الحامة وربضه، وعاد إلى قُرْطُبَة بعد اثنين وخمسين يومًا من خروجه إلى الغزو محملاً بالسبي والغنائم.

وقد أظهر براعته في غزوة ليون وهي من الغزوات الفاصلة التي قام بها الحاجب المنصور في قلب بلاد القوط، فانطلق إليها عام ٣٧٣هـ بنفسه، فانتصر بها، وأسر ٣٠٠٠ أسير، وكانت هذه المرة الأولى التي تفتح بها هذه المدينة بعد سقوطها بيد القوط،

بعد الفتح الإسلامي الأول، ثم استمر الفتح الإسلامي، فاستطاع المنصور أن يفتح برشلونة عام ٣٧٤ هـ.

وخاض بالجيوش الإسلامية ٥٠ معركة، انتصر فيها جميعا ولم تسقط ولم تهزم له راية ووطئت أقدامه أراضي لم تطأها أقدام مسلم قط!

وكان أكبر انتصاراته غزوه (ليون)، حيث تجمعت القوات الأوربية مع جيوش ليون، فقتل معظم قادة هذه الدول، وأسر جيوشهم وأمر برفع الأذان للصلاة في هذه المدينة الطاغية، وكانت بلاد الغرب والفرنجة تكِنُّ له العداء الشديد،لكثرة ما قتل من أسيادهم وقادتهم، إنه من حاربهم ٣٠ سنة مستمرة قتالا شديدا لا يستريح أبدا، ولا يدعهم يرتاحون، كان ينزل من صهوة الجواد ويمتطي جواد آخر للحرب.

لقد دك آخر معاقل المسيحيين في الشمال الغربي من الأندلس، تمتلك المرتبة الثالثة من المدن المقدسة عند المسيحيين، فتسبقها القدس وروما. وهم يظنون أن بها قبر رمزي لأحد تلاميذ المسيح وهو (القديس يعقوب). وقد كانت شانت ياقوت محج الأسبان وأهميتها كأهمية الكعبة عند المسلمين.

وعندما أراد فتحها وضع المنصور خطة برية بحرية، بدأها من مدينة سالم، وقاد جيشه وصولا لنهر (دويره) الذي أعد به سفن بها موارد؛ ليمر الجند من خلالها ويأخذوا من مؤوناتها.

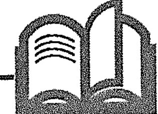
الخطة البرية البحرية كانت تقضي بأن يخرج المنصور بجيشه متجهاً نحو هدفه وفي الوقت نفسه يخرج جيش من السفن. فعندما يصل جيش المنصور إلى منطقة بحرية تصطف السفن بالاصطفاف خلف بعضها لبناء جسر يعبر من خلاله الجيش (لتوفير وقت بناء الجسور). وبعد أن ينتهي عبور الجيش تتجه السفن للعائق البحري التالي لتفعل الشيء نفسه.

وصلت الأخبار لأهل مدينة سانت ياقب، ففروا من مدينتهم خوفا بسرعة تساوي سرعة جيش المنصور، وتركوا خلفهم العديد من الغنائم.

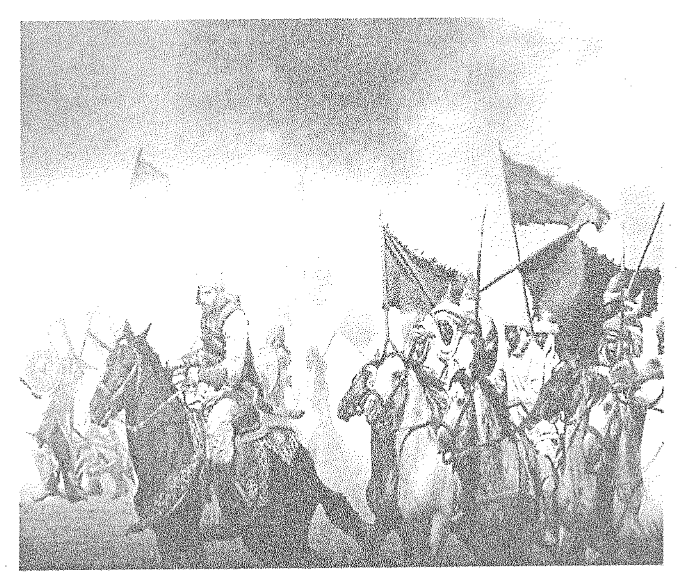
وبعد فتح المدينة عام ٣٨٧ هـ وبعد مسيرة ٤٠ يوما، أمر الحاجب المنصور ألا تمس الكنائس ولا القبر بأي سوء.

كان يُسيِّر الجيش الجرار لفك الأسرى فقد سير جيشاً لإنقاذ ثلاث من نساء المسلمين، كن أسيرات لدى مملكة نافار، ذلك أنه كان بينه وبين مملكة نافار عهد، وكانوا يدفعون له الجزية، وكان من شروط هذا العهد، ألا يأسروا أحدا من المسلمين أو يستبقوهم في بلادهم.

فحدث ذات مرة أنه ذهب رسول من رسل الحاجب المنصور إلى مملكة نافار، وهناك وبعد أن أدّى الرسالة إلى ملك نافار أقاموا له جولة، وفي أثناء هذه الجولة، وجد ثلاثاً من نساء المسلمين في إحدى كنائسهم، فتعجب لوجودهن، وحين سألهن عن ذلك قُلنَ له:



إنهنّ أسيرات في ذلك المكان، وهنا غضب رسول المنصور غضباً شديداً، وعاد إلى الحاجب المنصور وأبلغه الأمر، فما كان من المنصور إلا أن سيّر جيشاً جراراً لإنقاذ هؤلاء النسوة، وحين وصل الجيش إلى بلاد نافار، دهش جداً ملكُ نافار وقال: نحن لا نعلم لماذا جئتم، وقد كانت بيننا وبينكم معاهدة على ألا نتقاتل، ونحن ندفع لكم الجزية، فأخبروه بشأن الأسيرات فقال: لا نعلم بهن، فذهب الرسول إلى الكنيسة وأخرج النسوة الثلاث، فقال ملك نافار: إن هؤلاء النسوة لا نعرف بهن؛ فقد أسرهن جندي من الجنود، وقد عوقب هذا الجندي، ثم أرسل برسالة إلى الحاجب المنصور يعتذر فيها اعتذراً كبيراً، فعاد الحاجب المنصور إلى بلده ومعه ثلاث النساء.

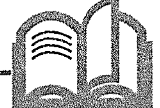


كان الحاجب المنصور ذكياً وحكيماً فقد ذكر المؤرخون أنه استقر في إحدى غزواته بمدينة سالم وهو الثغر الذي بناه هو على حدود الإمارات القوطية في الشمال، وخطرت له خاطرة تدل على مدى ذكائه وحسابه وتوقعاته، فاستدعى أحد فرسانه في ليلة شديدة البرد، كثيرة المطر وكلفه أن يخرج إلى مكان من المضيق سماه قرب المدينة وقال له: من مر بك في هذه الليلة تأتي به كائنا من كان فاستغرب الفارس وقال في نفسه: ومن يخرج في مثل هذه الليلة الباردة القارصة والمطر المنهمر؟!

نفّذ الفارس الأمر، وبقي يرصد الطريق وهو يرجف من البرد تحت وابل المطر، و أذا بشيخ كبير من القوط الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة من أهل الذمة، على دابة ومعه آلة الحطب من فأس وحبل، فسأله الفارس بعد أن استوقفه: إلى أين أيها العجوز في مثل هذا الوقت؟ وماذا تفعل؟

قال العجوز:أريد حطباً لأهلي ليستدفئوا، فتركه الفارس يواصل مسيره، لكنه تذكر أمر الحاجب المنصور وحزمه فأوقف العجوز قائلاً: لابُد أن تأتي معي إلى الأمير، قال: وماذا يريد الأمير مني؟ دعني أتابع سيري.

إلا أن الفارس أجبره على المثول بين يدي الحاجب، فأمر بتفتيشه وتحري ملابسه فما عثروا على شيء مُريب، لكن المنصور أمر بتحري بردعة الحمار، وبعد تحريها وجدوا فيها خطاباً



من بعض القوط القاطنين في جهة من هذه المدينة يدلون العدو على عورة من عورات المسلمين كاتبين : أن اهجموا على مدينة سالم وعلى جيش المنصور من الجهة الفلانية - مكان سموه - ونحن سنساعدكم على تلك المباغتة.

تملكت الدهشة الحارس، واستفهم من أميره: وكيف عرفت أن هذا الجاسوس سيمر في تلك الليلة؟

فقال : وهل تنتهز العيون (الجواسيس) إلا أمثالها؟ ومن مَلَكَ البلادَ فعليه أن يسهر لحمايتها وحفظها، ويعرف مداخل المتربصين بها فلما كان الصباح جمع أولئك المندسين في قصره، وأمر بضرب أعناقهم وكذلك عنق ذلك الجاسوس.

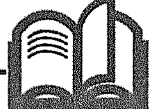
وقد كان رجلاً قويًا، محكِمًا للأمن والأمان في البلاد، كما كان عادلاً مع الرعية؛ ومما جاء في ذلك ما ترويه بعض الروايات من أنه جاءه يومًا رجلٌ فقيرٌ من عامّة الشعب، يبغي مظلمة عنده، وقال له: إن لي مظلمة وإن القاضي لم يُنصفني فيها. وحين سمع منه مظلمته أتى بالقاضي مستوضِحًا منه الأمر، وكيف أنه لم يُنصف الرجل في مظلمته، فقال له القاضي: إنْ مظلمته ليست عندي، وإنما هي عند الوسيط (بمكانة نائب رئيس الوزراء في زمننا)، فأحضر الحاجب المنصور الوسيطَ وقال له: اخلع ما عليك من الثياب (يقصد ثياب التميز والحُكم)، واخلع سيفك، ثم اجلس هكذا كالرجل الفقير أمام القاضي.

ثم قال للقاضي: الآن انظر في أمرهما. فنظر القاضي في أمرهما، وقال: إن الحقّ مع هذا الرجل الفقير، وإن العقاب الذي أقضيه هو كذا وكذا على الوسيط. فما كان من الحاجب المنصور إلاّ أن أنفذ مظلمة الرجل، ثم قام إلى الوسيط فأقام عليه أضعاف الحدِّ الذي كان قد أوقعه عليه القاضي، فتعجّب القاضي، وقال للمنصور: يا سيدي؛ إنني لم آمر بكل هذه العقوبة. فقال الحاجب المنصور: إنه ما فعل هذا إلا لقُرْبِه منّا؛ ولذلك زدنا عليه الحدّ؛ ليعلم أن قربه منا لن يمكّنه من ظلم الرعيّة.

رحمه الله لقد خاض بالجيوش الإسلامية أربعاً وخمسين معركة انتصر فيها جميعاً ولم تسقط ولم تهزم له راية وطئت أقدامه أراضي لم تطأها أقدام مسلم قط.

وقد حكم المنصور بن أبي عامر الأندلس زهاء سبعاً وعشرين سنة، وغزا أكثر من أربعاً وخمسين غزاة، كانت له في السنة غزوتان لم يهزم في واحدة قط (ولله الحمد) كانت كلها عزاً للإسلام والمسلمين حتى قال عنه ابن الخطيب فى كتابه إعمال الإعلام (وعلى الجملة فكان نسيج وحده في صقعه وقلّ أن يُسمع بمثله في غيره).

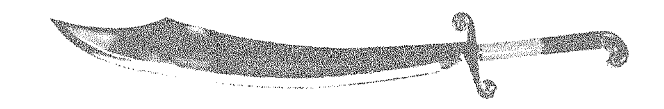
كان يدعو الله أن يموت مجاهداً، وقد مات كما يتمنى، إذ وافته المنية وهو في مسيرِه لغزو حدود فرنسا. كان عمره حين توفى ٦٠ سنة، قضى منها ثلاثين سنة في الجهاد والفتوحات، وكان يحمل أكفانه معه في كل معركة يخوضها وكانت الأكفان من غزل بناته.



وكان يجمع غبار ملابسه بعد كل معركة، وبعد كل أرض يفتحها ويرفع الأذان فيها، ويجمع الغبار في قارورة. أوصى أن تدفن القارورة معه، لتكون شاهدة له عند الله يوم يعرض للحساب.

إن التاريخ هو من يتحدث عنه ولا أنا فحين مات القائد الحاجب المنصور فرحت بخبر موته كل أوربا وبلاد الفرنج حتى جاء القائد الفونسو إلى قبره ونصب على قبره خيمةً كبيرةً وفيها سرير من الذهب فوق قبر الحاجب المنصور ونام عليه ومعه زوجته متكئةً تملؤهم نشوة موت قائد الجيوش الإسلامية في الأندلس وهو تحت التراب. وقال الفونسو: أما تروونني اليوم قد ملكت بلاد المسلمين والعرب!! وجلست على قبر أكبر قادتهم.

فقال أحد الموجودين: والله لو تنفس صاحب هذا القبر لما ترك فينا واحداً على قيد الحياة ولا استقر بنا قرار، فغضب الفونسو وقام يسحب سيفه على المتحدث حتى أمسكت زوجته ذراعه، وقالت: صدق المتحدث أيفخر مثلنا بالنوم فوق قبره! والله إن هذا ليزيده شرف حتى بموته لا نستطيع هزيمته والتاريخ يسجل انتصار له وهو ميت قبحاً بما صنعنا وهنيئا له النوم تحت عرش الملوك.



وقد كُتب هذه الأبيات على قبره في مدينة سالم.

آثـــاره تـنـبـيـك عــن أخـبـــاره
حـتـى كـأنـك بـالـعـيـان تـراه
تـالله لا يـأتـي الـزمـان بـمـثـلـه أبـدًا
ولا يـحـمـي الـثـغـور ســواه

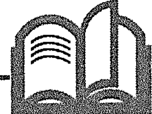
بين الذكاء والحكمة:

إنَّ الذكاء جزء من الحكمة، فإذا اجتمع، ذكاء لماح، ومعرفة الواسعة، وإرادة صُلبة تكوّنت (الحكمة)، وعلى مقدار كمال هذه العناصر يكون كمالها. فالذكاء بمفرده لا يجعل الإنسان حكيماً،كما أنَّ المعرفة دون ذكاء تجعل استفادة صاحبها منها محدودة، وتجعل وظيفته مجرد الحفظ والنقل، دون التمكن من غربلة المعرفة أو الإضافة إليها.

إنَّ للحكيم مواقف يجب أن تكون في مواضعها، المناسبة، وهذه لا تكون عند الأذكياء مهما بلغ مستوى ذكائهم.

وهكذا تشمل الحكمة جودة التفكير ودقة التعبير وسلامة التدبير.

إن المعرفة مهما كانت واسعة لا تعدو أن تكون إحدى مكوّنات (الحكمة)، ومن ثم: فإن هناك فارقاً بين العالم والحكيم، فقد يكون المرء قمة في تخصص من التخصصات، لكنَه لا يُعدّ حكيماً، كما أن الحكيم قد لا يكون عالماً متبحراً في أي علم من العلوم.



فالعالم يُحسن ترتيب العلم، وفهمه واستيعابه، لكنه لا يستطيع استخدامه كما ينبغي مالم يكن حكيماً. فالعالم يمكن أن يصنع دواء، ويصنع السلاح، لكن الحكمة تجعلنا نعرف متى نداوي، ومتى نحارب.

العلماء كُثر، والحكماء نادرون؛ لأن تحليل المعرفة أسهل من تركيبها، وإن القيادة والعمل اليوم ليس فقيراً في الاختصاصيين، لكنه محتاج حاجة ماسّة إلى الحكماء العظام الذين يمزجون بين العلوم والثقافات المختلفة، ويخلصون منها إلى محكات نهائية في الإصلاح والنهضة ومداواة العلل المستعصية.

فالذكاء جزء من الحكمة فهي، فكل إنسان حكيم يكون ذكيا. ولكن ليس كل ذكي حكيما.!

فقد يتمتع إنسان بذكاء خارق وعقل ممتاز ومع ذلك لا يكون حكيما في تصرفه فربما توجد عوائق تعطل عقله وذكاءه أثناء التصرف العملي!

الذكاء مصدره العقل وعليه اعتماده وقد يكون مجرد نشاط فكري سليم، أما الحكمة فهي لا تقتصر علي التفكير السليم بل تتبعه بالتصرف الحسن في السلوك العملي المناسب من خلال الخبرة والإرشاد.

ومن أمثلة ذلك: ربما يكون رجل ذكياً جداً ومع ذلك هو فاشل في تصرفاته و علاقاته و إدارته، بينما لا يوجد ذلك عند الحكيم.

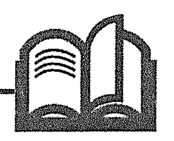
إن من ملامح الأذكياء سرعة البديهة، وإطلاق الأحكام، وسرعة تشكيل المواقف، لكن الحكيم طراز آخر من الناس، فهو بطيء في تكوين معتقداته، وصياغة مقولاته، إذ إنه يملك قدرة خاصة على ضرب كُل أشكال المعرفة والخبرة في بعضها بعضاً، ليخرج في النهاية بزبدة تتميز عنها جميعاً، لكنها منها جميعاً !

العلم يمكن أن يكتسبه الإنسان بالدرس والإطلاع، لكن الحكـــمة، تكون ممتزجة بشئ من العلم. مع الرأي السديد والتجربة وكثير من رحابة الصدر وروح التأني وضبط النفس. والحكمـــة هي أعلي مراتب التفكير والإنسان الحكيم يمكنه من القضاء، علي كل آفة اجتماعية والتقليل من عدد مشاكل الحياة وعلى كل التوافه. (الذي ينتصر علي غيره قوي ولكن الذي ينتصر علي نفسه فهو أقوي) يقول أرسطو.

ولا يكفي الذكاء اللمّاح، ولا الخبرة الواسعة في جعل الإنسان حكيماً ما لم يمتلك قوة الإرادة؛ لأن الإرادة القوية وحدها هي التي تجعلنا ننصاع لأمر الخبرة، وهي التي تنتج سلوكاً يختفي فيه الفارق بين النظرية والتطبيق.

إن المعرفة مهما كانت واسعة لا تعدو أن تكون إحدى مكوّنات (الحكمة) .





ثانيا

التأني والتريث

ومن أبرز صفات الحكيم بل قد تكون هي أبرزها على الإطلاق، أنه يستطيع أن يملك نفسه، ويدير فكره، ويختار التصرف المناسب للحادثة الحاصلة، إنّ استعجال النتائج خلاف الحكمة، وإن عدم الصبر والتحمل وإدارة الفكرة قرينة العطب ومأرز الفشل.

ومن أهم مزايا الحكماء أن قراراتهم تأتي مدروسة، فهم يعرفون كيف يتصرفون، ومتى يكون إقدامهم، ومتى يكون إحجامهم.

○ كُلف نبينا ﷺ بالدعوة للتوحيد الخالص وكان في مكة وحول إرث أبيه ابراهيم -الكعبة المشرفة- ثلاث مائه وستون صنماً فهل بادر لتكسيرها وتحطيمها لأنها باطلة؟!

وهي سبب صد الناس عن الإسلام، لم يفعل ذلك! لأنه حكيم ﷺ لا يستعجل النتائج بل تريث حتى أتى موعد قطف الثمرة بعد عشرون سنة حطمها بعد ذلك بعصى صغيرة من غير أن يثير الناس، ولا تلحقه ملامة، إنه كان يعمل على تحطيم

الأصنام الداخلية التي في القلوب فلما فرغ مناها بادر بإزالة ما حول الكعبة بعد عشرون سنة. كما يقول الخالدي في وعود القرآن.

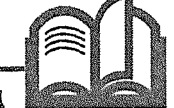
وعندما بايع الأنصار في بيعة العقبة قالوا له لو له إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا؟ فقال رسول الله ﷺ «لم نؤمر بذلك».

فالخطوة هنا مع القائد الحكيم هي التروي وعدم الاندفاع المتسرع، لأنه قد يستغرق سنوات من العلاج، مع ضعف في النتيجة، وانكسار للدعوة في أول مواثيقها، لقد كان من السهل اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة وغير متكافئة لا يعلم مداها إلا الله تعالى، لكن لابد من التروي ودراسة الأمور بجدية قبل اتخاذ أي قرار.

○ لقد كان النبي يستمع للآراء حتى لو كانت خاطئة ثم يصححها، ويحتمل ما يأتيه من قبل خُصومه، فقد جلس يستمع لعتبة بن ربيعة لما جاء يفاوضه، وقد كال له عتبة مجموعة من الشتائم مثل: (ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، حتى لقد طار أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً) ثم قال له: «أفرغت يا أبا الوليد» (لاحظ أنه كناه وهو خصمه) قال: نعم.

فقرأ عليه صدراً من سورة فصلت:

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ



﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف.

أناة الرئيس ورصانته هي المنبع الذي تُسقى منه الأمةُ حريةَ الفكر، والسُّلّم الذي تعرج منه إلى الأفق الأعلى من الأمن والسعادة. كما قال محمد الخضر

لكن عندما استقامت له الأمور وأصبحت له دولة وأعطى عهوداً، ومواثيق طبّق سياسة قتل المجرم ككعب بن الأشراف، وإنما فتكوا به؛ لأنه نقض العهد، وأعان على حرب على النبي ﷺ وهجـاه، كما قال: ابن حجر وأعلن الهجاء والعداوة فاستحق أن يقتل، لظهور أذاه وثبوته عند الناس كما قال ابن تيمية رحمه الله.

○ وفي رسالة بعثها عمر -رضي الله عنه- لأبي عبيد قال: فيها (ولا تجتهد مسرعاً بل أتئد فإن الحرب لا يصلح فيها إلا الرجل المكيث الذي ينتهز الفرصة) وزاده فقال: (إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة، فانظر كيف تكون، أحرز لسانك، ولا تفشين سرك فإن صاحب السر متحصن، ولا يؤتى من وجه يكره)

وكان يعجبهم التأني في الكلام والتروي في اتخاذ القرار، فقد كان أحدهم أنه قال: إن لابتداء الكلام فتنةً تروق، وجِدة تعجب، فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر.

○ ولما قالت الخوارج لعبدا لله بن وهب: نبايعك الساعة فقال: دعوا الرأي حتى يبلغ أناته، فإنه لا خير في الرأي الفطير، ولا الكلام القضيب. كما نقله القزويني في آدابه.

○ قيل لمعاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-: إنا نراك تقدم حتى نقول يقتل، وتتأخر حتى نقول لا يرجع، فقال: (أتقدم ما كان غنماً، وأتأخر ما كان التأخر حزماً).

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة

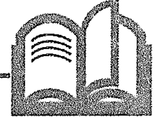
وإن لم تكن لي فرصة فجبان.

○ وفي زهرة الآداب (قال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإن العرب كانت تُكنيها أم الندامة، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يُقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخَبر، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة)

○ قال النبي ﷺ قال: «التؤدة خيرٌ في كلِّ شيء إلا في عمل الآخرة» كما عند أبي داوود.

○ قال ﷺ : كما عند الترمذي من حديث سهل -رضي الله عنه- «التأني من الله، والعجلة من الشيطان».

○ يقول عمرو بن العاص -رضي الله عنه-: (لا يزال الرجل يجني من عجلته الندامة).



إنه مثل الطبيب الذي يستخدم أحيانا العلاج بالأدوية وأحيانا تلزم الجراحة، وهكذا كانوا يسمون الطبيب حكيمًا، لأنه في حكمة يعرف نوع المرض، ونوع العلاج النافع.

يا صاحبيَّ تلوَّما لا تعجلا
إنَّ الفلاحَ رهينُ ألا تعجلا

○لقد نطق زهير بن أبى سلمى بالحكمة في معلقته:

ومَنْ يَعْصِ أَطْرافَ الزِّجاجِ فَإنَّهُ
يُطيعُ العَوالي رُكِّبَت كُلُّ لَهْذَم

كان يقصد بذلك أنّ مَن لم يُصلحه اللين أصلحته الشدة، من لا يأتي بالرفق والهوادة فإنه حتماً سيأتي بالعنف والشدة، وقد أخذ ذاك من أنه إذا التقت فئتان من العرب سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها، وسعى الساعون في الصلح، فإن أبتا إلا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتتلتا بالأسنة.

يقول: ومن عصى أطراف الزجاج أطاع عوالي الرماح التي ركبت فيها الأسنة الطوال؛ و من أبى الصلح ذللته الحرب ولينته.

○وقد قيل إن شدة الفحص براءة من الخديعة.

○وقال أبرويز يوماً لجنده: لا يشحذ امرؤ منكم سيفه حتى يشحذ عقله. وقال لكاتبه: إذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تستعينَنَّ بالفضول.

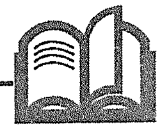
ولا ننكر أن بعض الأمور تحتاج إلي سرعة في البت، ولكن هناك فرقا بين السرعة والتسرع، يصاحب التسرع التصرف الخالي من الدراسة والفحص ويأخذ التسرع صفة الخطورة إذا كان في أمور مصيرية أو رئيسية.

داخل الحكيم ساحة مَـوّارة بالحركة والنشاط، فهو لا يكفّ أبداً عن عمليات المقارنة، والموازنة، والتحليل، والتركيب، والاستنتاج، والتشذيب، والإضافة، إنها أمواج وتيارات في أعماق المحيط، أما السطح فإنه هادئ تعلوه السكينة والوقار.

فليست ردود أفعال: وأمَّا الأَنَـاة: فهي التَّأنّي في الأمور وعدم العجلة، وألَّا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجَّل ويحْكُم على الشَّيء قبل أن يتأنَّى فيه وينظر. وأمَّا الرِّفق: فهو معاملة النَّاس بالرِّفق والهون حتى وإن استحقُّوا ما يستحقُّون مِن العقوبة والنَّكال، فإنَّه يرفُق بهم.

تقوى الله تحمل القاضي على تحقيق النظر في كل واقعةٍ حتى يتعرَّف الحق، ولا يأخذ بأول ما يلوح له من الفهم، وإن تيقن أن قضاءه نافذ، وما له في الرؤساء من معقّب. ومن أمراء الأندلس من كان يعزل القاضي، متى رأى منه السرعة في فصل القضايا التي تستدعي بطبيعتها شيئًا من التروّي؛ إذ يفهم من هذه السرعة، عدم تحرجه من إثم الخطأ في الحكم.

وأيضاً فإن الحكيم، يتدرج معالجته لما ينزل به فلا يبادر بإزالة



الباطل مباشرة بل يصبر ويتأنى حتى يأتي الوقت المناسب.

○ كان عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه- معروفا بالحكمة والرفق، وفي يوم من الأيام، دخل عليه أحد أبنائه، وقال له: يا أبت، لماذا تتساهل في بعض الأمور؟! فو الله لو أني مكانك ما خشيت في الحق أحدا.

فقال الخليفة لابنه: لا تعجل يا بني؛ فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في المرة الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه (أي أخاف أن أجبرهم عليه مرة واحدة فيرفضوه) فتكون فتنة،فانصرف الابن راضيا بعد أن اطمأن لحسن سياسة أبيه، وعلم أن وفق أبيه ليس عن ضعف، ولكنه نتيجة حسن فهمه لدينه.

○ قال ابن خلدون: واعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظاً شديد الذكاء لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم، واطلاعه على عواقب الأمور فيهلكون، لأن زيادة العقل تفضي بصاحبها إلى الدهاء والمكر وهو مذموم في السياسة، ومأخذ قصته زياد بن أبي سفيان لَما عزله عمر رضي لله عنه عن العراق، وقال: (خفت أن حمل الناس على فضل عقله).

○ قال مسلم بن الوليد:

ينالُ بالرِّفق ما يعيا الرجالُ به

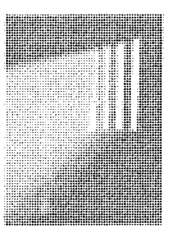
كالموتِ مستعجلًا يأتي على مهلِ

○ قال بعض الحكماء (من أستطاع أنْ يمنع نفسه أربعاً كان

جدير ألا ينزل به مكروه هي: العجلة، اللجاجة، التواني،والعُجب)

○ وقع الفضل بن سهل لصاحب شرطة (ترفق تُوفق).

○ لقد كانت الأناة مع نبي الله يوسف عليه السلام عندما فُتح له باب السجن بالإذن له بالخروج، لكنه رفض !.



نعم رفض أن يخرج قبل أن تبرأ ساحته أمام الملك، من التهمة الموجهة له،فحص الملك القضية، فكانت النساء هُنّ المراودات، جلاها فعظم في نفسه يوسف عليه السلام، من باب التخلية قبل التحلية.

إنه محاسب على كل أقواله وأفعاله مثل لاعب الشطرنج، الذي قبل أن يحرك قطعة من اللعب مما أمامه، يفكر جيدا ماذا سيفعل زميله في اللعب؟ وما هي احتمالات تحركاته؟ وبماذا يرد عليه في أي احتمال؟ وماذا سيكون رد ذاك على رده؟ وبماذا يقابل ذلك؟ وهكذا يسبق التفكير الدقيق كل تحرك من الجانبين.

الحكمة في قصة سليمان عليه السلام:

سليمان بن داوود من ذرية يعقوب بن إسحاق بن ابر هيم عليهم السلام ورث عن أباه النبوة، وكان الله قد أعطى داوود الحكمة وفصل الخطاب وكان سليمان عليه السلام حكيماً، وزاده الله من الملك بأن عُلِّمْ مَنطِقَ الطَّيرِ وأُوتِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ من ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش

والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات وهَذَا من الْفَضْلُ الْمُبِينُ، وكان قد سأل الله ملكاً لا يعطاه أحدٌ غير فأعطاه، وسأله حكماً يوافق حكم الله فأعطاه ذلك. كما روه النسائي وابن ماجة.

وكانت الجن تسعى لخدمته فيبنون له القصور، ويشيدون المباني ولهم قدرة بالتصنيع فأواني التقديم المزخرفة بحجم بركة الماء، ويصنعون له قدور كبيرة وراسية، وقد أسال الله له النحاس يصنع به ما يشاء.



وكانت الجن تستخرج له الدر من البحار وتُزينُ بها قصوره وبيوته، وكذلك الريح تجري بأمره حيث وجهها، وتحمل معها من أراد بأذن الله.

وكان -عليه السلام- في أرض الشام يستعرض جنوده ويمشي في ملكه، يتفقد الجند من الجن والأنس والطير، فلحظ عدم وجود الهدهد!، سأل عنه وعن سبب غيابه؟! كيف غاب ولم يستأذن؟

ثم بداء بفرض العقوبات بالتعذيب، أو بالذبح،إلا إذا أتى بما يُبرئه، لم تطل المدة حتى أطل الهدهد حاملاً خبراً.

وجد ملكة في أرض اليمن لها ملك كبير، وعرش عظيم، لكنها تعبد غير الله، تعبد الشمس وتتخذها إلها من دون الله، وقد زين لهم الشيطان ذلك فصدهم عن الله.

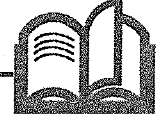
أراد سليمان -عليه السلام- التثبت من قوله وهذا من الحكمة، والتروي.

أرسله برسالة مختصرة للدعوة تحمل كلامات بسيط ومعاني غزيرة، عدم العلو والانضمام إلى ملكه والإسلام (ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين).

وأمر الهدد بأن يلقي الخطاب ويبتعد قليلاً، ويسمع منهم خبرهم، أمسكت المرأة بالخطاب وقرأته، وكانت حكيمة لم تستبِد برأيها مع ما عندها من الملك، شاورت أهل الرأي في مملكتها، فوّض أهل المملكة الأمر إليها بعد أن أعلنوا الاستعداد للحرب وكانوا أولوا قوة.

أرادت التثبت وتعرف من خصمها قبل المواجهة -وذلك من الحكمة- لأن الحرب لا تأتي إلا بالدمار والفساد والاستعباد.

فقررت إرسال هدية لعلها تصرفه، عن ملكها، وتعرف إن كان من أهل الطمع، أو هو نبي لا طاقة لها به.



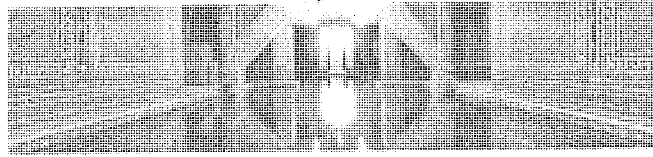
سار الهدهد بالخبر، وانتقت هي الهدايا وأرسلتها مع خواصها، فلما وصلت الهدية لنبي الله سليمان غضب وقال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سورة النمل الآية ٣٦-٣٧.

تغير أسلوب الخطاب، من الين إلي الحدة، لتغير الموقف وهذا من الحكمة.

علمت الملكة أن مُلك سليمان ليس كملكها وأنها أمام شخصية عظيمة وأنه لا بقاء لها معه وأنه منتصراً عليها لذا، فقررت زيارته بنفسها.

أراد عليه السلام أن يختبر عقلها، وذكائها. أمرا بإحضار عرشها، فأحضرته الجن قبل أن يرجع إليه بصرُه، فلما أحضر السرير العظيم، ومثل بين يديه،علم انه فتنة فأرجع الفضل لله عز وجل وشكره.

لكنه غيّر في العرش قليلاً ونكّره ، و أجرى في ساحة القصر الماء لكنه، غطاه بالزجاج ليبين لها عظمة ملكه، فلما حضرت واستُقبلت، رأت عرشاً كأنه عرشها لكنه يختلف فسُئلت أهكذا عرشك؟ أجابت بجواب حكيم ودقيق فقالت: كأنه هو؟!



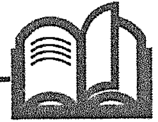
فلم تجزم ولم تنفي. ثم قيل لها: ادخلي القصر، فلما رأت الماء رفعت ثوبها، وكشفت ساقيها فأخبرت أنه مغطى بالزجاج، عندها علمت أنها أمام نبي من قِبل الله مُعلم و مُمكّن فلا بد أن تعبد إلهه وتترك عبادة الشمس، فأسلمت لله عز وجل.

ما بعد الخندق إلى الفتح

تجلت حكمة النبي ﷺ في هذه المرحلة التي تعد النقلة النوعية في تاريخ الدولة الإسلامية وهي مرحلة تحتاج إلى بُعد نظر فعندما غادر الأحزاب بعد حصار المدينة شهراً كاملاً في وقت البر خرج النبي فرآهم وهم ينصرفون فقال: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

وقد كان الرسول ﷺ يرى الدولة الإسلامية في علوٍّ واضح، وقريش في هبوط واضح، وبعد جلاء الأحزاب بداء النبي ﷺ يعد العُدة للغزو فكان حصار بني قريظة مباشرة ثم فتح ديارهم، وسبي النساء والذرية، وقتل المقاتلة منهم، وبث سراياه ليعاقب كل من أساء في تلك اللحظات الحرجة.

بعدها قرر النبي ﷺ كسر الطوق عنه فقريش جنوباً ويهود خيبر شمالاً، فأعلن أنه يريد أداء العمرة ففي السنة السادسة خرج الرسول ومن معه من أصحابة يريدون العمرة وكان قد بشرهم بأنهم يقدمون البيت ويطوفون به، فتشجعوا لذلك، وسار معه ألف وأربع مئة صحابي رضوان الله عليهم فأحرموا من ذا الحليفة وساقوا الهدي وقلدوه.



طار خبر مسيرة وأنتشر في أنحاء الجزيرة العربية، فأصبح هو حديث الناس حتى وصل إلى أهل مكة أهل العداء لرسول الله ﷺ، وكان النبي يقصد ذلك ليسقط مكانة قريش بين الناس وأنهم يصدون عن بيت الله من جاء لتعظيمه، ولم يكن قد استعدوا للحرب غير أنهم قد جعلوا السيوف داخل أغمادها للدفاع فقط.

فاجتمع أهل مكة ليتخذوا قرارهم، فكان الاتفاق على صده بل ومقاتلته والحيلولة بينه وبين البيت الحرام.

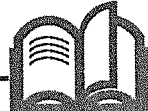


حتى خرج خالد بن الوليد وكان على الشرك آن ذاك، ومعه مائتان من الفرسان طليعة حتى وصل إلى مكان يقال له كُرَاع الغميم، وأما أهل مكة فأنهم قد تجمعوا في مكان يقال له وادي بلدح.

عِلِم النبي ﷺ بموقف أهل مكة، وكان لا يريد المواجهة فغير الطريق سلك طريقاً وعراً حتى وصل إلى أسفل مكة، في مكان يقال له الحديبية، تفاجأ أهل مكة بموقف النبي ﷺ ولم يعلموا عنه حتى تجاوزهم.

وهنا أستشار أصحابة بما يصنع، فخلص الرأي على الذهاب إلى مكة، وأداء العمرة، لكن أهل مكة أرادوا معرفة ما يدور بخلد النبي ﷺ فقرروا أن يبعثوا له من يعرف ماذا يريد، لقد خشي أهل مكة أن يميل عليهم في ديارهم، ولم يغز قوم في دارهم إلا ذلوا، فجاء اليه بديل بن ورقاء فحاور النبي ﷺ فأخبره بأنه لم يأتِ لقتال وإنما جاء للعمرة، وأشار إلي الصلح بعد أن بين أن قريشاً قد أنهكتهم الحرب، وقال النبي ﷺ «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِى خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ» فذهب بديل وأخبر قريشاً بما جرى، فأنتدب عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ نفسه ليقابل النبي ﷺ فكان الحوار لكنه رجع ولم يتم الاتفاق، ثم أنتدب رجل من رَجُلٌ مِنْ بَنِى كِنَانَةَ نفسه فقال دَعُونِى آته فَقَالُوا ائْته فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هَذَا فُلاَنٌ وَهْوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ» فكان من حكمته أن تجعل الإبل أمامه لكي يؤثر عليه وأستقبله الصحابة بالتلبية، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِى لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

ثم انتدب مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ نفسه فلما أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ «هَذَا مِكْرَزٌ وَهْوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ» شخص النبي ﷺ حاله قبل الحور فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِىَّ ﷺ .



وأثناء ذلك جاء سهيل فنظر له النبي ﷺ فتفاءل وقال لأصحابه «لقد سهل أمركم»، ومعه تم الصلح لكن في ظاهر الصلح أنه ليس من صالح المسلمين، بل فيه إجحافٌ عليهم، لكن النبي ﷺ كان يرى فيه الفتح العظيم. فكان مما جاء فيه:

أن تضع الحربُ أوزارَها عشر سنين، يأمن فيها الناسُ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض، ومن أتى محمدًا من قريشٍ بغير إذن وليِّه ردَّه عليهم،ومن جاء قريشًا ممَّن مع محمدٍ لم يردُّوه عليه،وأنه مَن أحَب أن يدخل في عقد محمدٍ وعهده دخَل فيه،ومن أَحَبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأنك ترجع عنَّا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتَها بأصحابك فتقيم بمكة ثلاثة أيام.

وقعت شروط الصلح موقعاً سيئاً على أصحابه المُحرمين المتشوفين للدخول إلى مكة وأداء العمرة، فكانت منهم المراجعة بل والانتظار لعل فرجاً يأتي، فكان عمر -رضي الله عنه- يراجع النبي ﷺ ويذكره بوعده لهم، لكن النبي يصبره ويطمئنه ويقول له أنه رسول الله ولن يضيعه ربه، فما كان من النبي إلا أن حل من أحرامه، وذبح هديه في وسط ذهول من أصحابة رضوان الله عليهم.

لقد كان صلح الحديبة فتحاً عظيما فقد كسب فيه النبي:

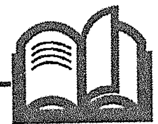
١- اعتراف قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة؛ فالمعاهدة دائمًا لا تكون إلا بين نِدّين، وكان لهذا الاعتراف

أثرُه في نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش؛ حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة، وفي تلك الفترة دخلت قبائل في حلف النبي وأخرى في حلف قريش فكانت قبيلة خزاعة في حلف النبي، وقبيلة بكر في حلف قريش.

٢- أمِن المسلمون جانب قريش، فحولوا ثقلهم إلى اليهود ومَن كانْ يناوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوةُ خيبرَ بعد صُلح الحديبية في السنة السابعة.

٣- دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين، وتيقّن الكثير منهم من غلبة الإسلام.

٤- أعطت الهدنة فرصةً لنشر الإسلام، وتعريف الناس به؛ ممَّا أدى إلى دخول كثيرٍ من القبائل فيه حتى دخل في الإسلام في تلك الفترة، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم. يقول ابن شهاب الزهري في هذا الشأن: (فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلَّم أحد بالإسلام يَعْقِل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك) والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.



٥- تمكن من تجهيز غزوة مؤتة، فكانت خطوةً جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية، وإرسالِ رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام.

وبعد رجوع النبي إلى المدينة وهو في الطريق إليها أنزل الله عليه سورة الفتح فقال «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَتْحٌ هُوَ قَالَ «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ».

بعدها تفرغ النبي ﷺ والمسلمون معه لتصفية خطر يهود خيبر الذي أصبح يهدد أمن المسلمين، ولقد تضمنت سورة الفتح التي نزلت بعد الحديبية وعدًا إلهيًا بفتح خيبر وحيازة أموالها غنيمة، قال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الفتح الآية ٢٠.

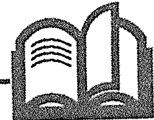
وبعد أن سار إليها وحاصرها فبعد أن صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ بِغَلَسٍ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ «اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»، كان فيها ثمانية حصون بدأ بحصن ناعم فما زال يسقطها حُصناً حُصناً حتى أستسلم له آخرها، فكان منهم القتال ثم حلت بهم الهزيمة، فُتحت أرضهم فدرت الخير على المسلمين الكثير حتى قالت عائشة -رضي الله عنها- لم نشبع من التمر حتى فتحت خيبر.

وقد أبقى رسول الله ﷺ يهود خيبر فيها على أن يعملوا في زراعتها وينفقوا عليها من أموالهم، ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متى أرادوا، وكان اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبي ﷺ وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم فوافق على ذلك بعد أن هم بإخراجهم منها.

وقد اشترط عليهم أن يجليهم عنها متى شاء، وهنا تظهر براعة سياسة جديدة في عقد الشروط، فإن بقاء اليهود في الأرض يفلحونها يوفر للمسلمين الجنود المجاهدين في سبيل الله، ومن جهة أخرى فإن اليهود هم أصحاب الأرض وهم أدرى بفلاحتها من غيرهم، فبقاؤهم فيها يعطي ثمرة أكثر وأجود وبخاصة أنهم لن يأخذوا أجرًا، ولكنهم سيأخذون نصف ما يخرج من الأرض قل أو كثر.

وقد ضمن الرسول ﷺ -بشرط إجلائهم متى شاء المسلمون- إخضاعهم وكسر شوكتهم؛ لأنهم يعلمون إذا فعلوا شيئًا يضر بالمسلمين سيطردونهم منها، ولا يعودون إليها أبدًا.

لقد حاول يهود خيبر أن يخفوا الفضة والذهب وغيبوا مسكًا، لحيي بن أخطب، وكان قد قُتل مع بني قريظة، وكان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير، فسأل رسول الله ﷺ سعية عم حيي بن أخطب: أين مسك حيي بن أخطب؟ قال: أذهبته الحروب والنفقات، فقال رسول الله ﷺ: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام



-رضي الله عنه-، فمسه بعذاب، وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة، فقال عمه: قد رأيت حييًا يطوف في خربة هاهنا، فذهبوا فطافوا، فوجدوا المسك في الخربة.

لما فتح المسلمون القموص -حصن بني أبي الحقيق- كانت صفية في السبي فأعطاها دحية الكلبي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قومها، وهي ما تصلح إلا لك، فاستحسن النبي ﷺ ما أشار به الرجل، وقال لدحية، خذ جارية من السبي غيرها، ثم أخذها رسول الله ﷺ وأعتقها وجعل عتقها صداقها. بعدها أسلمت رضى الله عنها وأرضاها، لقد كان يسير بحكمة حيث أنه لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعًا لغريزة، لكنه أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من من لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا من العزاء لها، فقد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد.

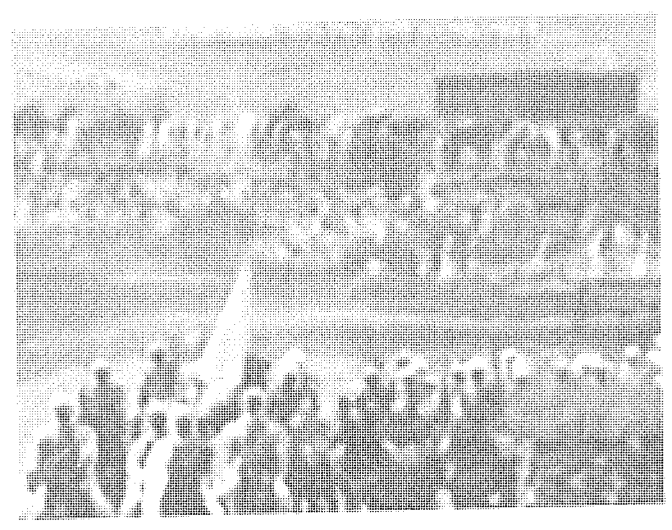
بعدها خرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصدًا العمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استُشهد في خيبر أو مات قبل عمرة القضاء.

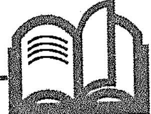
وقد اتجه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبوادي، وكان كلما مر الموكب النبوي بمنازل قوم من الذين يسكنون على جانبي الطريق بين مكة والمدينة خرجوا وشاهدوا منظرًا لم يألفوه من قبل، حيث المسلمون بزي واحد من الإحرام، وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية، ويسوقون هديهم في علاماته وقلائده، في مظهر بهي لم تشهد المنطقة له مثيلاً وكان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذًا بزمام راحلته وهو يرتجز بشعره:

خلوا بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير في رسوله

كما يقول على الصلابي.





ولقد كان في مسيره ذاك حذراً فقد اصطحب النبي ﷺ معه السلاح الكامل، وأرسل في مقدمة القافلة مائتا فارس بقيادة محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- ولم يقتصر على السيوف تحسبًا لكل طارئ قد يقع، خشية وقوع غدرٍ من المشركين.

لكنه كان وفياً فقد وضع السلاح خارج الحرم قريبًا منه تحسبًا لكل طارئ، وأبقى عنده مائتي فارس بقيادة محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- يحرسونه، وينتظرون أمر الرسول ﷺ ليتحركوا في أي جهة وينفذوا أي أمر، ويقاتلوا متى دعت الضرورة لذلك لقد كان متيقظاً موفياً وذلك من حكمته ﷺ.

وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضد المسلمين مفادها أنهم وهنتهم، حمى يثرب، فكان من قيادته وانتباهه بأن أمر ﷺ أصحابه أن يرملوا في الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، لكي يرى المشركون قوتهم، ودخل رسول الله ﷺ البيت الحرام واضطبع، بردائه فأخرج عضده اليمنى وشرع في الطواف، وأصحابه يتابعونه ويقتدون به. ولما رأى المشركون ذلك قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا.ومن حكمته أنه قصد بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام وهي الاضطباع والهرولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن يرهب قريشًا، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم، ومناعة جبهتهم، وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين

○ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (بأن رسول الله ﷺ كان يكيد المشركين بكل ما يستطيع)

لقد كان تأثير هذه العمرة على قريش وعلى عرب الجزيرة تأثيرًا بالغًا، فقد حملت في مضمونها مهمة دعوية عظيمة، ولقد تأثر أهل مكة من هذه العمرة السلمية.

○ يقول اللواء محمود شيت خطاب رحمه الله: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيرًا كبيرًا، فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشهدوا دخول الرسول ﷺ وأصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وأخذ يهرول وأصحابه معه، فلم يكد يترك الرسول ﷺ مكة، حتى وقف خالد ابن الوليد -رضي الله عنه- يقول في جمع من قريش: (لقد استبان لكل ذي عقل أن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق كل ذي لب أن يتبعه)، وسمع أبو سفيان -رضي الله عنه-، بما كان من قول خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع، فأكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمة -رضي الله عنه- وكان حاضرًا، وقال: مهلاً يا أبا سفيان، فوالله خفت للذي خفت أن أقول مثل ما

قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالدًا على رأي رآه، وهذه قريش كلها تبايعت عليه، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم. وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص، وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة، بل وظهر الإسلام في كل بيت من قريش سرًا وعلانية؛ وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها).

○ ويقول الأستاذ عباس العقاد: (...وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها من أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلان متكافئان يحتذى بهما).

قال خالد: لقد دخل أخي الوليد بن الوليد مع النبي ﷺ في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابًا فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعَقْلُك عَقْلُك، ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به؟ فقال: ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له، ولقدمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة، لقد كان النبي يلمح ويرغب خالداً بالدخول في الإسلام).

قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام وسرني مقالة رسول الله فهاجرت إليه، ولقد هاجر معيَّ عثمان بن طلحة ووافقنا عمرو بن العاص يريد ما أردنا.

حتى دخلنا على النبي فسر بقدومنا ، وكان ينتظرنا فما زال يتبسم إلي حين وقفنا عليه، وقال لأصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها وشجع خالداً -رضي الله عنه- وقال له الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً لا يسلمك إلا إلى الخير، ثم تقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فأسلما وبايعا رسول الله ﷺ .

محمود بن سبكتكين

لقد كان هذا البطل يقود المسلمين في المعارك التي استمرت في الهند خمسًا وعشرين سنة؛ فهزم الملك «جيبال»، وفتح السلطان قلعة «كواكير» ومعاركه خاضها في القرن الرابع وبداية القرن الخامس.

استطاع محمود أن يغلب السامانيين على أمرهم وأن يغزو الهند ويهزم الهنود في اثنتي عشرة معركة في أربع وعشرين سنة وأن يزيد حدود مملكته التي ورثها حتى امتدت من بخارى وسمرقند إلى كوجرات وقنوج وشملت أفغانستان وما وراء النهر وسجستان وخراسان وطبرستان وكشمير وجزءاً كبيراً من الولايات الواقعة في الشمال الغربي من الهند. وكان مملكته من أحسن ممالك بني جنسه؛ كان الإسلام والسنة في مملكته أعز؛ فإنه غزا المشركين من

أهل الهند، ونشر مِن العدل ما لم ينشره مثله، فكانت السنة في أيامه ظاهرة، والبدع في أيامه مقموعة. كما قال عنه ابن تيمية رحمه الله.

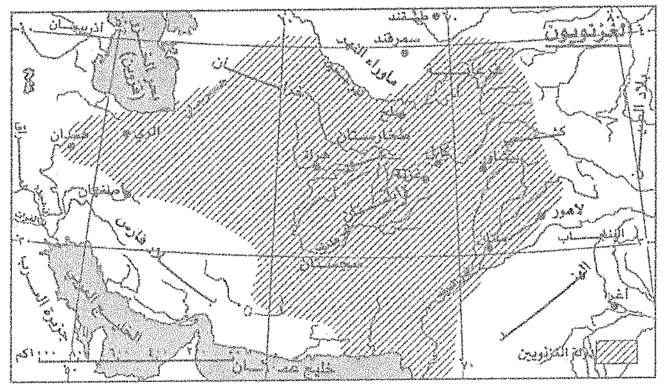
لقد خافته الملوك، واستولى على إقليم خراسان، ونَفَّذ إليه القادر بالله خلع السلطنة، ففرض على نفسه كل سنة غزو الهند، فافتتح بلادًا شاسعة، وكسر الأصنام. كما قال الذهبي رحمه الله.

وكان صادق النية في إعلاء الدين، مظفرًا كثير الغزو، وكان ذكيًا بعيد الغور صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء. كما قال عبد الغافر الفارسي في ترجمته رحمه الله.

وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم تتفق لغيره من الملوك لا قبله ولا بعده، وغنم مغانم كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط من الذهب واللآلئ والسبي، وكسر من أصنامه شيئًا كثيرًا. كما قال ابن كثير رحمه الله.

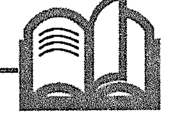
ظل السلطان محمود منتصراً فى معاركه ضد الهنود منتقلا من نصر إلى نصر حتى كانت من أعظم معارك المسلمين وغرة المعارك الإسلامية هي معركة سومنات -والتي مهدت الطريق للدعوة الإسلامية فى الهند ولدخول الملايين من الهنود الى الإسلام- لقد كان في مسيرته وفتوحاته كلما هدم السلطان محمود صنم قالت الهنود: (إن هذه الأصنام والبلاد قد سخط عليها الإله (سومنات) ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء)، فسأل السلطان محمود عن (سومنات) هذا؟،

فقيل له: أنه أعظم أصنام الهنود وكانوا يحجون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع إليه عوالم لا تحصى وتزعم الهنود أن الأرواح بعد المفارقة تجتمع إليه فيبثها فيمن شاء بناء على التناسخ، والمد والجزر عندهم هو عبادة البحر، وكانوا يقربون إليه كل نفيس وذخائرهم كلها عنده، ويعطون سدنته الأموال الجليلة، وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة لقد امتلأت خزائنه أموالا، وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل في كل يوم للعبادة، وثلاثمائة لحلق رؤوس الزوار ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون ولهم على ذلك الجرايات الوافرة!

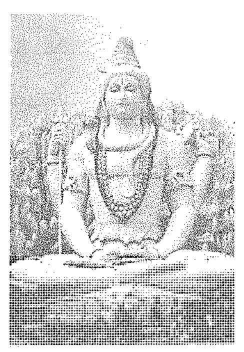


وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات.

سار القائد محمود، وقاد جيوشه بنفسه ووصل إلى (سومنات) في منتصف ذي القعدة بعد عدة معارك ناجحة وواجه الهنود



وانتصر عليهم وقتل في هذه المعركة من الهنود ٥٠,٠٠٠ غير من ألقى بنفسه في البحر ولله الحمد والمنة، لكن الحدث الأهم أنه عندما أراد كسر هذا الصنم أتاه الهنود وبذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم. لكنه كان حكيماً مهيباً رحمه الله، تأمل ونظر وقال أمهلوني إلى الغد.



فلما أصبح قال: (إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة: أين محمود الذي كسر الصنم أحب إلى من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا).

الله أكبر، ثم عزم فكسره رحمه الله فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما يزيد على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة، وكان فيه وعنده خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهبا وفضة عليها معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب. كما كتبها ابن كثير في أحداث سنة ٤١٨هـ.

كنا نرى الأصنام من ذهب
فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها
حلياً وصاغ الحلي والدينارا

حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

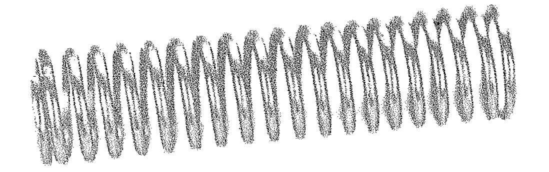
ثالثا

المرونة

من مزايا الحكماء المرونة في من مزايا الحكماء المرونة في إدارة حياتهم، والمقصود بذلك، أنهم لا يجدون غضاضة بالانتقال من تصرف إلى آخر، إنهم يتنازلون عن أشياء تبدوا للناس انهزام لكنها عين الحكمة والإتقان.

○ لقد ترك النبي هدم الكعبة، وترك بناء ابر هيم إلى بناء قريش لأنه خشي على الناس من الفتة.

○ لقد تصرف الحسنُ بن علي بن أبي طالب بحكمة عندما ترك الخلافة على المسلمين لمعاوية -رضي الله عنه-، وقد كان استقبله بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ وبجموع غفيرة من الطرفين،فماذا صنع الحسن؟ تذكر مقولة النبيّ ﷺ - كما جاء في صحيح البخاري: «إنّ ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين». نَزَلَ عن الخلافة لمعاوية من أجل أن يحقن دماء المسلمين.



إذاً لا بُد من المرونة للحكيم، لأنها عنصر من عناصر الثبات، والاستقرار في الأعمال، وعبارة عن مصنع للقائد، ومصدراً لقوته، فالأكثر مرونة هم الأكثر قوة، فتجده يقبل العذر ولا يثرب على صاحبه، لأن أهدافه كبيرة، فلا وقت لديه للشجار والغضب، ويتجدد مع الأحداث و لديه أكثر من خيار دائما، وبسهولة يُغير أفكاره، وقناعاته إذا رأى الصواب في تركها،ويقبل الصواب أينما رآه،فهو ذكي وحكيم يرى أبعاد أفعاله. لذا هو الذي ينجح في النهاية، لأنهُ عدو العناد، والاستبداد.

○ وبعد اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان، رأى علي بن ابي طالب أنه لا يُقتص من القاتل حتى يجتمع المسلمونْ على إمام لهم، كما ذكر القرطبي وغيره.

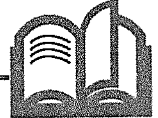
○ قال بشار:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأيُ الناس تصفو مشاربه

○ وقال آخر:

تحمق مع الحمقى إذا ما لقيتهم
وكن عاقلاً إما لقيت أخا عقل

○ لقد كان المثنى بن حارثة مرناً، عندما رأى جيش المسلمين بقيادة أبا عبيد يتقدم للفرس في معركة الجسر، فما كان منه إلا أن أدرك أن الفرس سيحصدون جيش المسلمين،

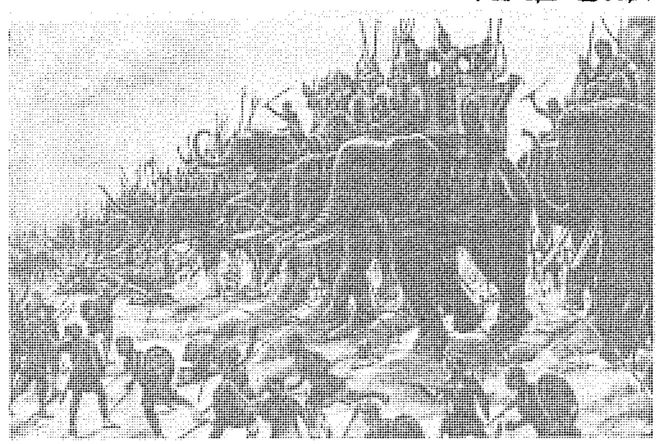


وقد كان عمر بن الخطاب أوصى أبا عبيد قبل أن يخرج إلى القتال قال له: (لا تُفشِينَّ لك سرًا؛ لأنك مالكُ أمرك حتى يخرج سِرُّك من بين جنبيك، ولا تحدِثَنَّ أمرًا حتى تستشير أصحاب رسول الله)، لكنَّ أبا عبيد، خشي من قول الفرس، إنكم جبناء ولن تعبروا لنا أبدًا.

فقال أبو عبيد: إذن نعبر إليهم. وسمع الجنود وأطاعوا وبدأ الجيش الإسلامي يعبر هذا الجسر الضيّق للوصول للناحية الأخرى التي يوجد بها الجيش الفارسي، فدخل في منطقة محصورة بين في أحد روافد نهر الفرات– ونهر الفرات، وكلا النهرين يمتلئ بالمياه، أغلق الجيش الفارسي باقي المنطقة، فلم يبق أمامهم إلا القتال مع الجيش الفارسي، والفرس يدركون أهمية هذا الموقع جيدًا، فأخلوا مكانًا ضيقًا ليعبر المسلمون إليهم، ويتكدس الجيش الإسلامي في منطقة صغيرة جدًا.

وقد كان مع الفُرْسِ عشرةُ أفيال منها الفيلُ الأبيض، وهو أشهر أفيال فارس وأعظها في الحرب، وتتبعه كل الفيلة إن أقدم أقدموا وإن أحجم أحجموا، وتقدمت الجيوش الفارسية يتقدمها الفيلة إلى الجيش الإسلامي المحصور، وخيول المسلمين بمجرد أن رأت الأفيال فزعت وهربت، وكانت سببًا في إعاقة إقدام المسلمين على القتال، وعادت الخيول إلى الوراء وداهمت مشاة المسلمين، ولم تفلح محاولات المسلمين لإجبار الخيول على الإقدام لعدم تمرُّسها على مواجهة الأفيال، بدأت أفيال الفرس تهاجم المسلمين بضراوة،

وأمر أبو عبيد أن يتخلَّى المسلمون عن الخيول ويحاربوا الفرس جميعًا وهم مشاة، وفقد المسلمون بذلك سلاح الخيول وأصبحوا جميعًا مشاة أمام قوات فارسية مجهزة بالخيول والأفيال، واشتد وَطِيسُ الحرب ولم يتوانَ المسلمون عن القتال، وتقدم أبو عبيد بن مسعود الثقفي–رضي الله عنه– لقتل الفيل لكن الفيل قتله –رحمه الله–، تولى القادة بعد أبا عبيد لكن الأمر يضيق، ولم يتسع بقتل القادة، حتى آل الأمر إلى المثنى بن حارثة، فكان متمرساً في القتال، وعلِم أن المعركة بهذه الصورة لا تؤتي ثماراً، رأى بعض المسلمين يلوذون بالفرار عن طريق الجسر إلى الناحية الأخرى من الفرات، وهذه أول مرة في فتوح فارس يفِرُّ فيها بعض المسلمين من القتال، وهذا الفرار في هذا الموقف له دليل شرعي ولا يُعَدُّ فرارًا من الزحف، وهو جائز شرعاً لأن العدد كبير جداً، أضعاف مضاعفة.



أشتد الموقف فذهب أحد المسلمين للجسر فقطعه يريد ألا ينسحب الجيش الإسلامي، فعالج الموقف القائد الجديد الحكيم فأتَى بالرجل -الذي قطع الجسر- فوبخه المثنى بن حارثة، فقال له: ماذا فعلت بالمسلمين؟ فقال: إني أردت ألا يفرَّ أحد من المعركة.فوصل الجسر وبين أن ذلك ليس بفرار.

وبدأ المثنى -رضي الله عنه- وفي هدوء يُحسب له- يقود حركة الجيش المسلم المتبقي بعد الهجمات الفارسية القاسية والشديدة، ويقول لجيشه محمّسًا لهم: يا عباد الله، إما النصر وإما الجنة. ثم نادى على المسلمين في الناحية الأخرى أن يصلحوا الجسر ما استطاعوا، وكان مع المسلمين بعض الفرس الذين كانوا قد أسلموا وكانوا ذوي قدرة على إصلاح الجسور، فبدءوا يصلحون الجسر من جديد، وبدأ المثنى -رضي الله عنه- يقود إحدى العمليات الصعبة، وهي عملية انسحاب في هذا المكان الضيّق أمام القوات الفارسية العنيفة.

أكمل المسلمون التراجع واحدًا تلوَ الأخر ويقاتلون حتى آخر لحظة، وتكسو الدماء كل شيء وتكثر جثث المسلمين ما بين قتيل وغريق في النهرين، ويكون آخر شهداء المسلمين على الجسر هو سويد بن قيس أحد صحابة النبي، وآخر من عبر الجسر هو المثنى بن حارثة -رضي الله عنه-، فقد ظل يقاتل حتى اللحظة الأخيرة ويرجع بظهره والفرس من أمامه، وبمجرد عبوره الجسر قطعه على الفُرسِ، ولم يستطع الفرس العبور إلى المسلمين.

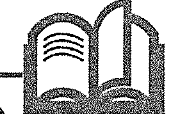
عاد بجيش المسلمين فنظمه ثم أعـاد ترتيبه، فكانت الانتصارات المتلاحقة في سائر الغزوات تجاه فارس، حتى سقطت مملكتهم.

○ قد كتب محمد الخضر (الداهية هو من ينصب لخصمه المكيدة، فيقع كما يقع الأسد في الزريبة العميقة، ومن لم يكن داهية لا يمشي إلى الغرض إلاَّ على خط مستقيم، فإذا اعترضنه عقبة كئود وقف في حيرة أو رجع على عَقِبه يائسًا، والداهية يسير في خطٍّ منحنٍ أو منكسرٍ ولا يبالي بطول المسافة في جانب الثقة بإدراك الغاية المطلوبة).

ولا يملك مزية الدهاء في السياسة، إلا من كان في استطاعته كتمُ تأثراته النفسية من غضب وسرور، ومودَّة وبغضاء، ولهذا يقول الأدباء: (إنَّ أحكم بيت قالته العرب:

و لَرُبَّما ابتَسَم الكريمُ من الأذى
وفُـــؤَادُه مِــنْ حَـــرِّه يَـتَــأَوَّهُ

○ كان معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- يقول: والله، لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يشتفي به القائل بلسانه، فقد جعلت له ذلك دبر أذني، وتحت قدمي، وقد كان يُرمى بالمطاعن، ويرشق بسهام الإنكار، فيُسرُّها في نفسه، ولا تبدو عليه سورة الغيظ، الذي يتخبط كثيرًا من المستبدين.



والأصل في ذلك حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ كما في البخاري أنه قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

ففي الحديث شبه المسلم بالخامة الرطبة من الزرع وذلك أنه تأتيه البلاء فيلين معه، ولا يقاوم فهو مثل الزرع عندما لا يقاوم الريح، وأما المقاوم فمثل المنافق والفاجر شبههم بالأَرزة، -الصنوبر- وهى الشجرة العظيمة التي لا تحركها ولا تزعزعها الرياح، حتى يرسل الله عليها ريحاً عاصفاً فتقلعها من الأرض دفعة واحدة.

أن الزرع ضعيف مستضعف، والشجرَ قويٌّ مستكْبِر متعاظِم، حتى قال الشُراح للحديث: (أن المؤمن يمشى مع البلاء كيف ما مشى به فيلين له فيقلبه البلاءُ يمنة ويسرة، فكلما أداره استدار معه، فتكون عاقبته العافية من البلاء، وحُسن الخاتمة، ويوقى ميتة السوء، وفي هذا لفتة للمؤمنين الذين يقاومون رياح الفساد والعلمنة، أن لا يتصلبوا في كل مواقفهم فربما يُقتلعوا، وهم لا يشعرون، وقد تضرهم بعض لفحات هذه الرياح، لذا لا بد من التلاين مع هذا الرياح دون تنازل في محرم في بعض الفترات، وهذه من كياسة وفطنة المؤمن).

○ وفي أمثال العرب: (إذا رأيت الريح عاصفا فتطامن)، أي: إذا رأيت الأمر غالبا فاخضع له. وقال الحكماء: (لا يرد العدو القوي بمثل الخضوع له، فإن الفاجر لقوته وتعاظمه يتقاوى على الأقدار ويستعصي عليها).

○ وقال زهير:

وَمَن لا يُصانِع فِي أُمورٍ كَثيرَةٍ
يُضَرَّس بِأَنيابٍ وَيوطَأ بِمَنسِمِ

وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِه
عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ

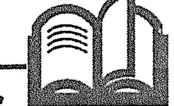
وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِه
يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَتمَ يُشتَمِ

○ قال البشير الأبرهيمي (إن الفكرة ليست ذلك الماء الهادر بين الصخور، بل هي ذلك الماء غير المرئي الذي يرطب التربة ويغذي الجذور).

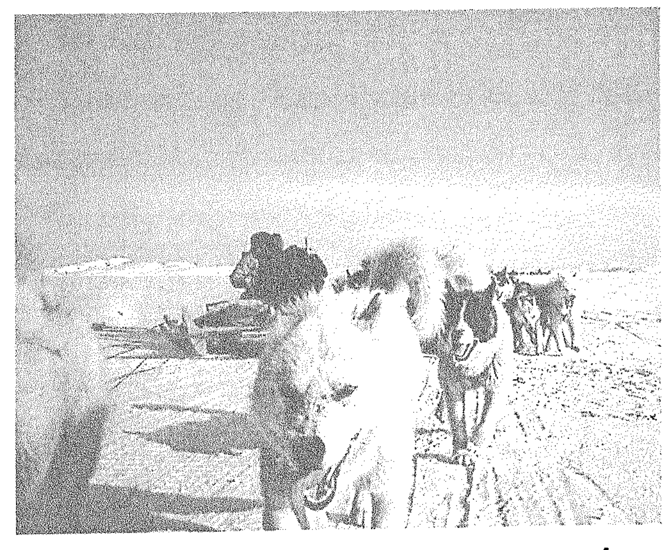
○ مثل العدو مثل الريح العاصف يسلم منها الزرع للينة لها ومعها، ويتقصف منها الشجر العظام لانتصابها لها.

○ إن القائد يجب أن يكون عنده من المرونة والسعة ما يتطلع به إلى النجاح له ولفريقه.

ومما وقع أنه، في عام ١٩١١م بدأت مجموعتان من المستكشفين مهمة مدهشة، وعلى الرغم من استخدامها



استراتيجيتين مختلفتين، فقد كان لقائدي المجموعتين نفس الهدف وهو أن كلا منهما يريد أن يكون أول من يصل إلى القطب الشمالي في تاريخ البشرية، وحكايتهما ترسم صورة حياة أو موت وتوضح أهمية الرؤية.

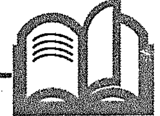


أولى هاتين المجموعتين كان يقودها المستكشف النرويجي (رولد أموندسن)، ومن المفارقات أن (أموندسن) لم يكن يعتزم في الأصل الذهاب إلى القارة القطبية الجنوبية، بل كانت رغبته أن يكون أول إنسان يصل إلى القطب الشمالي. ولكن عندما اكتشف أن (روبرت بيري) سبقه إلى هناك، غير (أموندسن) هدفه وتوجه نحو الجانب الآخر من الأرض، وسواء كان متجها شمالاً أو جنوباً كان (أموندسن) يعرف أن تخطيطه سيؤتي ثماره.

وقبل أن يشرع فريقه في الرحلة، قام (أموندسن) بالتخطيط للرحلة بجهد ومثابرة. لقد درس طرق الإسكيمو وغيرهم من الرحالة في القطب الشمالي، وقرر أن أفضل ما يفعله هو أن يقوم بنقل جميع معداته ومُؤن الفريق بواسطة زلاجات تجرُّها الكلاب.

وعندما قام بتكوين أعضاء فريقه، اختار خبراء في التزلج والتعامل مع الكلاب فكانت الإستراتيجية بسيطة؛ وهي أن تقوم الكلاب بمعظم العمل، بينما ترحل المجموعة لمسافة خمسة عشر إلى عشرين ميلاً في مدة ست ساعات كل يوم. وهذا من شأنه أن يوفر لكل من الكلاب والرجال وقتاً كافياً للراحة اليومية قبل الارتحال في اليوم التالي.

كان تفكير (أموندسن) المسبق وانتباهه للتفاصيل مدهشا؛ فقد قام بتخزين المؤن في مستودعات حدد موقعها بعناية على طول الطريق الذي كان ينوي قطعه، وهكذا لم يضطر الفريق لحمل كل صغيرة وكبيرة من المؤن معه طول الرحلة، كما أنه زود أفراد فريقه بأفضل الملابس والمعدات الممكنة. وباختصار فقد فكر «أموندسن» بعناية في جميع جوانب الرحلة حتى النهاية، وقام بالتخطيط وفقاً لذلك، فآتى التخطيط ثماره؛ فقد كانت أسوأ مشكلة واجهها الفريق في رحلته هي تلوث ضرس أحد أفراد الفريق واضطراره لاقتلاعه.(لقد كان مرناً مع المتغيرات لذا نجح)



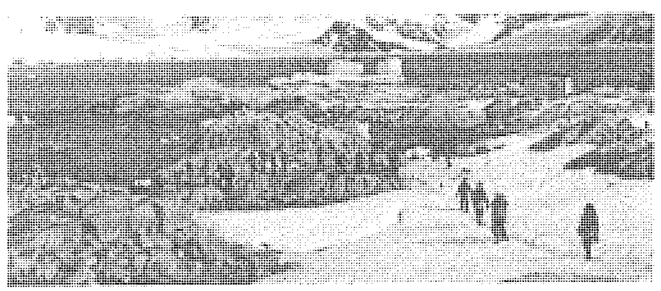
وأما الفريق الثاني فقد كان تحت قيادة (فالكون سكوت)، وهو ضابط بحري بريطاني قام سابقاً ببعض الاستكشاف في منطقة القارة القطبية الجنوبية. كانت حملة (سكوت) مختلفة تماماً عن حملة (أموندسن)؛ فبدلا من استخدام الزلاجات التي تجرها الكلاب، قرر (سكوت) استخدام الزلاجات المزودة بمحركة آلية وخيول، وبدأت مشاكل هذه المجموعة تظهر مبكراً؛ فقد توقفت محركات الزلاجات عن العمل بعد خمسة أيام فقط من بدء الرحلة، ولم تتمكن الخيول أيضاً من الارتحال جيداً في درجات حرارة قارسة البرودة، وعندما وصلوا إلى سفح جبال ترانس أنتاركتيك الممتدة عبر القارة القطبية الجنوبية، أصبح من المحتم أن يتم قتل جميع تلك الحيوانات المسكينة، ونتيجة لذلك اضطر أفراد الفريق إلى سحب الزلاجات التي تزن مائتي رطل بأنفسهم؛ لقد كان هذا عملا شاقاً.

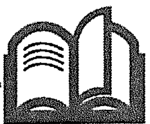
ومن جهة ثانية لم يعر (سكوت) اهتماما كافياً لمعدات الفريق الأخرى أيضاً. لقد كانت الملابس سيئة التصميم إلى أبعد حد؛ حتى إن جميع أفراد الفريق عانوا من لسعة الصقيع؛ لدرجة أن أحد أفراد الفريق كان يحتاج ساعة كاملة كل صباح لمجرد إدخال قدمه المتورمتين المصابتين بالغرغرينا في الحذاء. وكان جميع أفراد الفريق يعانون من عدم القدرة على الرؤية في الجليد بسبب النظارات الواقية غير الملائمة التي زودهم بها (سكوت).

وفوق كل ذلك كان الفريق دائما يعاني من نقص الطعام والماء. وهذا أيضا راجع إلى سوء تخطيط (سكوت)؛ لأن مستودعات المؤن التي حددها سكون كانت غير ملائمة ومتباعدة للغاية عن بعضها البعض، وغير محددة جيداً في كثير من الحالات؛ مما جعل العثور عليها غاية في الصعوبة. ولأنهم كانوا دائماً يعانون من نقص الوقود اللازم لإذابة الجليد، فقد أصيب الجميع بالجفاف. ومما زاد الأمور سوءا أن «سكوت» قرر في اللحظات الأخيرة اصطحاب شخص خامس مع الفريق، على الرغم من أنهم قاموا بتجهيز مؤن كافية لأربعة أشخاص فقط.

وبعد أن قطعت مجموعة (سكوت) المنهكة ثمانمائة ميل شاقة في عشرة أسابيع، وصلت أخيرا إلى القطب الجنوب في ١٧ يناير ١٩١٢، وهناك وجدوا العلم النرويجي يرفرف في الريح مع خطاب من (أموندسن).

لقد سبقهم الفريق الآخر الذي يتمتع بقيادة تمتلك رؤية جيدة وخطة تفصيلية محكمة إلى هدفهم بأكثر من شهر كامل.





تعتبر رحلة (سكوت) إلى القطب الجنوبي مثالاً لقائد لم يتمكن من القيام بملاحة جيدة من أجل تابعيه. ولكن رحلة العودة كانت أكثرا سوءا؛ كان (سكوت) وفريقه يتضورون جوعا ويعانون من داء الإسقربوط ومع ذلك فإن (سكوت) الغير قادر على الملاحة حتى النهاية كان غير مدرك للمأزق الرهيب، ومع نفاذ الوقت وانخفاض مؤن الطعام بشدة، أصر سكوت على جمع عينات جيولوجية تزن ثلاثين رطلا لاصطحابها في رحلة العودة، مما يعني إضافة وزن زائد يحمل رجال منهكون أصلا.

وهكذا أصبح تقدُم الفريق بطيئا أكثر فأكثر، وسقط أحد أفراد الفريق في غيبوبة ومات، وآخر يسمى (لورانس أونس) -وهو ضابط سابق في الجيش - تم اصطحابه في الرحلة أصلا للعناية بالخيول أصيب بلسعة صقيع حادة جعلته يعاني صعوبة في القيام بأي شيء، ولأنه كان يعتقد أنه يعرض حياة باقي أفراد الفريق للخطر، فقد توجه نحو عاصفة ثلجية لكي لا يعيق تقدم المجموعة، وقبل أن يترك خيمته ويتجه نحو العاصفة قال: (إنني ذاهب إلى الخارج؛ وربما أبقى هناك لبعض الوقت).

لم يتمكن (سكوت) ورفيقاه الباقيان من الابتعاد شمالا لمسافة أطول كثيرا قبل أن يستسلموا؛ فإن رحلة العودة كانت قد استغرقت شهرين، وكانوا لا يزالون على بعد ١٥٠ميلا من معسكرهم الرئيسي وهناك ماتوا.

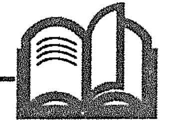
إننا نعرف قصته فقط لأنهم قضوا ساعاتهم في تحديث دفاتر يومياتهم، وكانت بعض الكلمات الأخيرة لسكوت تقول: (سنموت كسادة نبلاء، وأعتقد أن هذا سيدل على أن روح العزم والشجاعة وقوة التحمل لم تفارق جنسنا). لقد كان (سكوت) يتحلى بالشجاعة، ولكن لم يكن يملك القدرة الجيدة على القيادة فمات هو ورفاقه بسبب ذلك.

الحلم والحكمة:

الحلم قرين الحكمة وبينها قدر مشترك من الخُلق الرفيع، والأمر السديد، نحتاج الى الحلم في هذا الزمان لأنه قد قربُ التواصل، فأصبحت الكلمة مؤثرة والرسالة مقومة، أو مُجهزة، فمن الحكمة ألا نفتح أبواباً مغلقة، أو نخوض معارك مهلكه أو الاشتغال بما طائل تحته.

أنَّ الحِلْيم هو: يمهل ويفكر ولا يتسرع فالحِلْيم من يملك الإنسان نفسه عند الغضب. والصبور يملي ويمهل، وينظر ولا يعجل ولا يعاجل، ولا يسارع إلى الفعل قبل أوانه، وينزل الأمر بقدر معلوم، ولا يؤخره عن أجله. كما قال ابن تيمية. ولذا جاء في القرآن مدح الحلم وصاحبه بل هو صفة لله قبل ذاك.

فمن ما، وورد من الأيات تشير إلى الحلم ما مدح الله به خليله ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة هود الآية ٧٥ ،وعندما بشره بولد بعد طول انتظار ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة الصافات الآية ١٠١.



فقد بُشر على أنَّ الولد غلامٌ ذكرٌ، وأنَّه يبلغ الحِلْم، وأنَّه يكون حليمًا، وأيُّ حلم أعظم مِن حلمه حين عرض عليه أبوه الذَّبح فأعلن صبره كما قال ابن تيمية.

○وقال ابن تيمية رحمه الله: (وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقلَّ مِن الحِلْم وذلك لعزَّة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به، لأنَّ الحادثة شهدت بحلمه).

لذا القائد الذي لا يتمتع بالحلم لا تدوم له قيادته، والعالم الذي ليس عنده صبر على تحمل الأذى من الناس لا يدوم له مجده ولا يبارك في علمه، ولله در الشاعر الذكي حين قال معبراً عن الفكرة خير تعبير:

لا يبلغ المجد أقوامٌ وإن كرُموا

حتى يَذلوا -وإن عزّوا- لأقوام

ويُشتَموا فترى الألوان مسفرةً

لا صفحَ ذلٍّ ولكنْ صفحَ أحلام

إن السيادة لا تخلص للجاهل ولا يخلص إليها – وقال ُمرَّةً لعَرَابَة بن أوس: (بم سدت قومك يا عَرَابَة؟ قال: كنت أحْلُم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم،) حتى قال الشماخ فيه:

رأيت عرابة الأوسي يسمو

إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

وكتمان الغيظ ومَلك النفس عند الغضب؛ من العقل فهو ضبط الشَّيء وحبسه. كما أشار لها ابن عبد البر.

وسُئل عمرو بن الأهتم: (أيُّ الرِّجال أشجع؟ قال: مَن ردَّ جهله بحِلْمه).

حتى أنك تجد ذلك الحليم يوازن بين الأمور فيختار الأصلح فلا يركب مطيَّة الجاهل،و لا ينتصف مِن الجاهل.

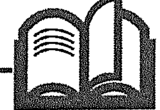
رضيت ببعض الذُل خوف جميعه
كذلك بعض الشرِّ أهونُ مِن بعض

فإذا أستطاع أن يجمع بين العلم والحلم فهو موفق للحكمة والسؤدد، فمع العلم يزين صاحبه بالوَقَار والحِلْم كما قاله: الحسن، وقد فسرت الربانية بالحلم والعلم فسر أبو رزين.

وقال عطاء بن أبي رباح: (ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزين مِن حلمٍ إلى علم).

فهو ركيزة العقل، و دعامة وكما للفهم، فالحِلْم خصلة مِن خصال العقل. كما قال رجاء بن أبي سلمة.

لذا جاء عن النبي ﷺ: «ليليني منكم أولو الأحلام والنُهى». (أي ذوو الألباب والعقول).



ولقد مدح النبي ﷺ أشج عبد القيس: بخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة.

والمقصود بالأناة: التريث، وهو ممدوح في غير الفرائض المأمور بها العبد، فالإنسان يحتاج إلى أناة وتريث؛ حتى يكون قراره صحيحاً قريباً من جادة الصواب.

فهذه الأمور إذا اجتمعت في رجل فإنه يعلم في أي سياق هو، ولا يستطيع أحد أن يستفزه، فإذا وجدت هذه الثلاثة في شخصية رجل أو امرأة سواءً كان عالماً أو سياسياً أو تاجراً أو طالباً فإنه بهذه الطرائق الثلاثة يصل إلى الحكمة. كما قال المغامسي.

لقد تعلم الأمام مالك من نافعاً مولى ابن عمر، وكان في نافع -رحمه الله- حدة، وقد أخذ بسبب مجاورته وخدمته لابن عمر علماً جماً؛ لأن ابن عمر أخذ العلم الجم عن رسول الله ﷺ، فحاجة الناس إلى المقاربة من نافع كانت قوية لكن ليس كل أحد أعطي حكمة في قضية استخراج علم نافع المكنون؛ لأن نافعاً كانت به حدة، فمالك -رحمة الله تعالى عليه- أعطي حكمة في استخراج علم نافع، فكان يسوس نافعاً باللين ويتحمله ويستمع لقوله، وإذا أغلظ عليه نافع تقبلها مالك، حتى استطاع مالك أن يجمع علماً جماً عن نافع، وتصدر وجلس في مسجد رسول الله ﷺ يحدث ويقول: حدثني نافع عن ابن عمر فنقل بذلك علماً جماً عن رسول الله ﷺ، فكان علم مالك بهذه الطريقة

وبهذه السلسلة الذهبية كما يسميها بعض المحدثين، وذلك أن مالكاً عرف بعلمه وحلمه وأناته كيف يصل إلى ذلك المكنون من العلم الذي كان في جعبة نافع -رحمة الله تعالى عليه-، وهذا من طرائق الحكمة.

وبه يستصوب الرأي كما قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبد مبلغ الرَّأي حتى يغلب حِلْمُه جهله، وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلَّا بقوَّة الحِلْم).

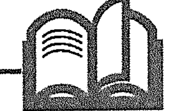
وقال وهب بن منبه: (العلم خليل المؤمن، والحِلْم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمته، والصَّبر أمير جنوده، والرِّفق أبوه، واللِّين أخوه). ومن مزياه أنه لا يستطيع أحد أن يُقلق الحليم، ولا أن يغير من مواقفه، فهم حُلَمَاء: (إنْ جُهِل عليهم لم يجهلوا). كما قال الحسن.

ولقد أعجبت النبي ﷺ أبيات النابغة:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادرُ تحمي صفْوَه أن يُكدَّرا

ولا خيرَ في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

وقال ابن تيميه: (وكل الذين يؤذون الله ورسوله هو الذي مكنهم، وصبر على أذاهم بحكمته، فلم يفتقر إلى غيره، ولم يخرج شيء عن مشيئته، ولم يفعل أحد ما لا يريد).



وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاماً، فقال عمر: (أردتَ أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف رحمك الله).

وقال أحد البلغاء: (ليس من عادة الكرام سُرعةُ الانتقام، ولا من شروط الكرم إزالةُ النعم).

يقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

حلم معاوية جعلت أمر الشام يستقر في ولايته وكان عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-، يفضّله على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه و يقول: (ما رأيت رجلا كان أخلقَ للملك من معاوية، إن كان الناس ليرِدون منه على وادي الرَّحبِ، و لم يكن كالضيّقِ الحصيصِ الضَّجِرِ المُتغضّب (يقصد بن الزبير)).

ومن أقوال معاوية:(إني لست بخيركم، من هو خير مني: ابن عمر و عبد الله ابن عمرو و غيرهم. و لكني عسيت أن أكون أنكأكم في عدوكم، و أنعمكم لكم ولاية، وأحسنكم خلقاً).

لقد صارَ معاوية مضرِبَ المَثَلِ في حُسْنِ التَّدبيرِ والسّياسة، وقد عبّر عن سياسته بمقولته الشهيرة: (إنّي لا أضع سَيفي حيث

يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أنّ بيني وبين الناس شَعْرة ما انقطعت)، فقيل له: (و كيف ذلك)؟ قال: (كنت إذا مدّوها أرخيتها، و إذا أرخوها مددتها).

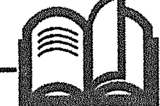
حتى إن معاوية نفسه لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية في موكب عظيم، فاستنكر عمر -رضي الله عنه- ذلك، واعتذر له معاوية -رضي الله عنه- بقوله: (إنّا بأرضٍ جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر عزَّ السلطان ما يكونُ فيه عزٌّ للإسلام وأهله، و نرهبهم به).

فقال عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- لعمر -رضي الله عنه-: (ما أحسن ما صدر عمّا أوردته فيه يا أمير المؤمنين). فقال عمر: (من أجل ذلك جشّمناه ما جشمناه).

إن الاستقصاء والانتباه من الذكاء بمكان، لكنه يجب أن يغِيب أحياناً لمصلحة أعظم، ولتحقيق هدف أسمى، وهذا مما يمتاز به الحكيم عن غيره.

ولذا فإنها من القوة والحكمة وجودها وتطبيقها بالتحلم أو التسامح في التعامل معه، إن التغافل عن الأخطاء ليس تأكيدا له أو عدم اهتمام، وليس سذاجة ولا غباء ولا ضعف ، بل هو الحكمة بعينها.

حتى قال ابن الجوزي: ما يزال التغافل عن الزلات من أرقى شيم الكرام فإن الناس مجبولين على الزلات والأخطاء



فإن اهتم المرء بكل زله و خطيئه تعب واتعب، والعاقل الذكي من لا يدقق في كل صغيره أو كبيرة مع أهله و جيرانه وزملائه كي تحلو مجالسته وتصفو عشرته.

ومن لفتات ابن حزم قوله: احرص على أن توصف بسلامة الجانب، وتحفظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك حتى ربما أضر ذلك بك وربما قتلك.

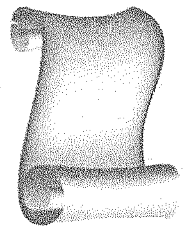
(جاء الأمام أحمد وأبي داوود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ يُبَلِّغُنِى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِى عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».

وترك النبي ﷺ قتل المنافقين بعد أن أستمع لما يقولون وتغافل عن ذلك خشية أن يقال إن محمداً يقتل أصحابه.

لقد كان ابن عمر ملآن حكمة عندما سكت وتغافل عن معاوية -رضي الله عنهما- عندما خطب بهم وتطاول ففي البخاري..(عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَنَسْوَاتُهَا تَنْطُفُ (شعرها يقطر) قُلْتُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَرَيْنَ فَلَمْ يُجْعَلْ لِى مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ فَقَالَت الْحَقْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِى احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فُرْقَةٌ فَلَمْ تَدَعْهُ حَتَّى ذَهَبَ فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِى هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَلَلْتُ حُبْوَتِى وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ

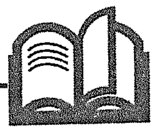
عَلَى الإِسْلاَم فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ وَتَسْفِكُ الدَّمَ وَيُحْمَلُ عَنِّى غَيْرُ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللهُ فِي الْجِنَانِ قَالَ حَبِيبٌ حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ)

○ كان أبا الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان تعامل به لما تولى الحكم بعد أبيه خرج عليه بعض أعمامه - قاروت بن بك صاحب كرمان - فقاتله السلطان ملكشاه وانتصر عليه وأسره فلما أُحضر بين يديه طلب قاروت العفو وأن لا يقُتل فلم يجبه ملكشاه، فأنفذ له خريطة مملوة من كُتب الأمراء، ممن حسّنوا له الخروج، دعا السلطان بالخريطة، كان المتوقع أنّ يفتحها، لكنه رماها في كانون نار قريبة منه، فاحترقت، وقتل عمّه.



قال ابن خلكان: (فسكنت قلوب العساكر وأمنوا، ووطنوا أنفسهم على الخدمة، بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لأن أكثرهم قد كاتبه، وكان ذلك سبب ثبات قدم ملكشاه في السلطة وكانت معدودة في جميل آراء نظام الملك). ثم قال: (واستقرت القواعد للسلطان وفتحت البلاد واتسعت عليه المملكة و، وملك مالم يملكه أحد..)

○ يقول الحسن البصري -رحمه الله-: (ما زال التغافل من فعل الكرام). وقال: (ما استقصى كريم قط فإن الله عز وجل قال: (عرّف بعضه وأعرض).



○ويقول الإمام أحمد -رحمه الله-:(تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل).

○ وقال بعض الحكماء:(وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل).

○ولما قيل للإمام أحمد: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، قال: (العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل).

○وقال الأعمش: (التغافل يطفئ شراً كثيرا).

○وقال سفيان: (مازال التغافل من شِيَم الكرماء).

○ وجاء في لامية ابن الوردي الشهيرة: (وتغافل عن أمورٍ إنهُ.. لم يفزْ بالحمدِ إلا مَن غفلْ).

○ يقول غاندي: (الضعيف لا يمكنه العفو فالتسامح شيمة الأقوياء.

○وفيه حفظ للناس من الفساد وباب شر يغلق)، وقد جاء عند أبي داود عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ».

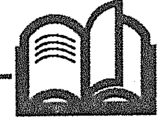
فالدفع أيسر من الرفع، والوقاية خير من العلاج، وراحة النفس بالصد أسهل من مجاهدتها ومعالجتها بعد ورود الخواطر وإساءة الظن والوقوع في وحل الشكوك.

○قال الإمام الشافعي: «الكيس العاقل؛ هو الفطن المتغافل»
و قال جعفر -رحمه الله-: » عظموا أقدراكم بالتغافل «

من كان يرجو أن يسود عشيرة
فعليه بالتقوى ولين الجانب
ويغض طرفا عن إساءة من أساء
ويحلم عند جهل الصاحب

حكمة الداخل:

عندما تشتد الظروف يحتاج القائد صاحب الحزم إلى إدارة حياته بذكاء وحنكة، لقد كان لتتبع العباسيين لبني أمية،أعظم الأثر على رجالات دولة بني أمية، كان عبدا لرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك هو من حكم عشرون سنة (من سنة ١٠٥ هـ إلى سنة ١٢٥ هـ) في بلاد الشام، بين أهله، وأقربائه، مريضا معتزلاً في الظلام في ركن من البيت من أثر رمد في عينه، فما شعر إلا و الرايات السود تحيط به وبأهل بيته فقرر الفرار، أخذ أخاه الوليد بن معاوية - ابن الأربعة عشر سنة -وما معه من نقود، وترك النساء والأطفال وكل شيء؛خرج عبد الرحمن هاربًا نحو الفرات، لكن القوات العباسية لم تزال تحاصرهم، فألقيا بأنفسهما فيه وأخذا يسبحان، ومن بعيد ناداهما العباسيون أن ارجعا ولكما الأمان، حينها كان الوليد بن معاوية أخو عبد الرحمن بن معاوية قد أُجهد من السباحة، فأراد أن يعود، فناداه أخوه الأكبر أن لا تعد





يا أخي، فإنهم سوف يقتلونك، فردّ عليه إنهم قد أعطونا الأمان، ثم عاد راجعًا إليهم، فما أن أمسك به العباسيون حتى أن قتلوه أمام عين أخيه، عَبَر عبد الرحمن بن معاوية النهر وهو لا يستطيع أن يتكلم أو يفكر من شدة الحزن على أخيه ابن الرابعة عشرة، ثم يمّم جهة بلاد المغرب لأن أمّه كانت من قبيلة من قبائل البربر، فهرب إلى أخواله هناك، عبر فيها الحجاز ومصر وليبيا والقيروان، وبعد أن وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى القيروان،اختفى في تلك البلدان، وأخذ يفكر كيف ينجوا؟

ومن سوء حظه أنه قد وجد ثورة كبيرة للخوارج في الشمال الأفريقي كلّه وعلى رأسها عبد الرحمن بن حبيب، وكان قد استقلّ بالشمال الإفريقي عن الدولة العباسية، ولأنه كانت هناك كراهية شديدة جدًا بين الخوارج والأمويين.

كان عبد الرحمن بن حبيب يسعى هو الآخر للقضاء على عبد الرحمن بن معاوية حين علم بأمره، فحين قدم عبد الرحمن بن معاوية إلى القيروان اجتمع عليه الخوارج وكادوا أن يقتلوه، فهرب من جديد إلى برقه (في ليبيا)، وظل مختبئًا فيها عند بعض أخواله هناك طيلة أربع سنوات كاملة، حتى سنة ١٣٦ هـ وكان قد بلغ من العمر ثلاث وعشرين سنة.

وظل عبد الرحمن بن معاوية يفكر في أمره، أيظهر فيُقتل أم يظل مختبئا طوال العمر؟! ففي أي قطر من بلاد المسلمين هو مطلوب الرأس، ففي الشام في بلاد المشرق الإسلامي مطلوب من العباسيين، وفي الشمال الإفريقي في بلاد المغرب الإسلامي مطلوب من الخوارج، فهل يظل مختبئًا طوال حياته وهو سليل الأمراء والخلفاء؟

كانت أحوال الأندلس أنسب الأحوال إليه لأنها،أبعد الأماكن عن العباسيين والخوارج، ولأن الوضع في الأندلس ملتهب جدًا،في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري، خطط لدخول الأندلس، ثم كان التنفيذ في سنة ١٣٦ هـ وذلك بأن

أرسل مولاه بدر إلى الأندلس لدراسة الموقف، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها،و راسل كل محبي الدولة الأموية في أرض الأندلس بعد أن علِمَهم من مولاه بدر، والحق أن كثيرًا من الناس في عهد الدولة الأموية وفي غيرها كانوا يحبون الأمويين كثيرًا،وفي ذكاءٍ شديد وحرصٍ أشدّ راسل عبد الرحمن بن معاوية البربر، يطلبُ معونتهم ومساعدتهم، وكانوا في ذلك الوقت على خلاف شديدٍ جدًا مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري؛ لأنه فرّق بينهم وبين العرب، فهم يريدون أن يتخلّصوا من حكم يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي عاملهم بهذه العنصرية.

وأيضاً راسل كل الأمويين في كل الأماكن التي هربوا إليها يعرض عليهم فكرته، وأنه يعزم على دخول الأندلس ويطلب معونتهم ومددهم.

استغرق ذلك عامين ثم قدم عليه رسول من عند مولاه بدر سنة ١٣٨هـ يقول له إن الوضع قد تجهّز لاستقبالك هناك، وحينما سأله عن اسمه فقال: غالب التميمي، فردّ مؤملا مستبشرًا بهذا الاسم: الحمد لله، غلبنا وتم أمرنا. وبدأ يعدّ العدّة ويجهّز السفينة التي أخذته منفردًا إلى بلاد الأندلس.

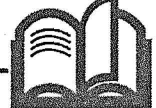
نزل عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله على ساحل الأندلس بمفرده، واستقبله هناك مولاه بدر، ثم انطلق معه إلى (قرطبة)، كان يحكم الأندلس في ذلك الوقت يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

تجمع الناس من حوله،من محبّي الدولة الأموية، والبربر، وبعض القبائل المعارضة ليوسف بن عبد الرحمن الفهري، وقد جاء بعض الأمويين من بقاع الأرض المختلفة، ومع ذلك لم يجد العدد كافيًا والذي يستطيع به أن يغيّر من الأوضاع.

لكنّه فكّر عبد الرحمن في اليمنيين الذين كانوا على خلاف مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري الحجازي رغم كونه أيضًا من الحجاز، لكنهم رأوا أنهم ليس لهم طاقة بيوسف بن عبد الرحمن الفهري، فقبلوا أن يتّحدوا مع عبد الرحمن بن معاوية، وعلى رأسهم أبو الصباح اليحصبي، وكان المقرّ الرئيسي لهم أشبيلية، وهي المدينة الكبيرة التي تعدّ حاضرة من حواضر الإسلام في ذلك الوقت، فذهب عبد الرحمن بن معاوية بنفسه إلى إشبيلية واجتمع طويلًا مع أبي الصباح اليحصبي، واتفقا على أن يقاتلا سويًا ضد يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

قبل القتال كان عبد الرحمن بن معاوية قد أرسل عدة رسائل إلى يوسف بن عبد الرحمن الفهري يطلب ودّه وأن يسلم له الإمارة ويكون الفهري رجلًا من رجاله في بلاد الأندلس، لكن يوسف الفهري رفض كل ذلك، وجهز جيشًا وجاء ليحارب عبد الرحمن بن معاوية ومن معه.

استعد الجيشان للقتال وهنا تصرف الداخل بحكمة عندما سمع بعض المقولات من اليمنيين تقول: إن عبد الرحمن



بن معاوية غريب عن البلاد، ثم إن معه فرس عظيم أشهب، فإن حدثت هزيمة فسيهرب من ساحة القتال ويتركنا وحدنا للفهريين، فقام وفي ذكاءٍ شديد يفوق سن الخامسة والعشرين وذهب بنفسه إلى أبي الصباح اليحصبي وقال له: إن جوادي هذا سريع الحركة ولا يمكنني من الرمي، فإن أردت أن تأخذه وتعطيَني بغلتك فعلت، فأعطاه الجواد السريع وأخذ منه البغلة يقاتل عليها،– لا بُد من المرونة في القيادة– حينئذ قال اليمنيون: إن هذا ليس بمسلك رجل يريد الهرب، إنما هو مسلك من يريد الموت في ساحة المعركة، فبقوا معه وقاتلوا قتالًا شديدًا، ودارت معركة قوية جدًا، انتصر فيها عبد الرحمن بن معاوية، وفَرَّ يوسف الفهري.

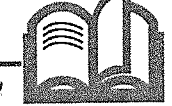
وفي ذي الحجّة سنة ١٣٨ هـ وفي موقعة كبيرة عُرفت في التاريخ باسم موقعة المسارة، دار قتال شرس بين يوسف بن عبد الرحمن الفهري من جهة وعبد الرحمن بن معاوية الذي يعتمد بالأساس على اليمنيين من جهة أخرى، فكان الانتصار لعبدالرحمن بن معاوية ومن معه، وقد تصرف بحكمة حينما لم يسمح بأن يتبع الجيشُ المنتصرُ فلول المنهزمين والفارّين، ليقتلوهم ويقضوا عليهم، ومن ثَمّ على ثورتهم، وحين بدأ اليمنيون يجهّزون أنفسَهم ليتتبعوا جيش يوسف الفهري منعهم عبد الرحمن بن معاوية وقال لهم قولةً ظلّت تتردد في أصداء التاريخ، أمارةً على علم ونبوغ، وفهم صحيح وفكر صائب في تقدير الأمور، قال لهم:لا تتّبعوهم، اتركوهم، لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم، واستبقوهم لأشد عداوة منهم.

وهذا يدل على أن ليس في قلبه غلّ ولا حقد على من كان حريصًا على قتله منذ ساعاتٍ قليلة، لأنه كان يركز على العدو الحقيقي (النصارى في الشمال). بعدها واجهته مشكلة اليمنيين، فأرادوا نزع يد الطاعة منه، فما كان منه إلا أن أسرّها في نفسه، ولم يُبْدها لهم، ولم يُعلمهم أنه يعلم بما يضمرونه له، لكنه أصبح على حذرٍ شديدٍ من أبي الصباح اليحصبي.

لم يرد عبد الرحمن بن معاوية أن يحدث خللًا في الصفّ المسلم في هذه الأوقات، لم يرد أن يحدث خللًا بين الأمويين ومحبي الدولة الأموية وبين اليمنيين في ذلك الوقت المليء بالثورات والمعارك الداخلية، إنما كان كل همّه هو تجميع الناس ثم حرب النصارى بعد ذلك، وبالفعل وهناك وبعد إحدى عشرة سنة من هذه الأحداث عزل أبا الصباح اليحصبي عن مكانه، واستطاع أن يتملك زمام الأمور كلها في الأندلس.

ومنذ أن تولّى عبد الرحمن الداخل الأمور في بلاد الأندلس عُرفت هذه الفترة بفترة الإمارة الأموية، وتبدأ من سنة ١٣٨هـ وتنتهي سنة ٣١٦ هـ وسميت (إمارة) لأنها أصبحت منفصلة عن الخلافة الإسلامية،ولم يرد تسميتها بالخلافة لأموية خشية من استثارة خلفاء بني العباس وهذا من الحكمة.

بدأ عبد الرحمن الداخل ينظّم الأمور في بلاد الأندلس، كانت هناك ثورات كثيرة جدًا في كل مكان من أرض الأندلس،

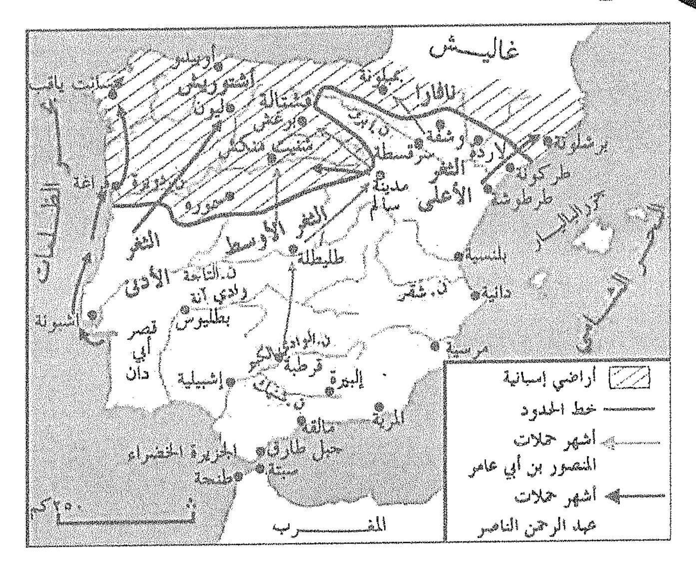


وبصبر شديد وأناة عجيبة أخذ عبد الرحمن الداخل يروّض هذه الثورات الواحدة تلو الأخرى، وبحسب ما يتوافق معها أخذ يستميل بعضها ويحارب الأخرى.

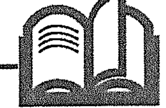
قال عنه المؤرخون: (لولا عَبْد الرَّحْمَن الدَّاخِل لانتهى الإسلام من الأندلس بالكلية). وقد عاش حياته كلها مجاهدًا، وتُوُفِّي بقرطبة، ودفن بها في جمادى الأولى سنة ١٧٢هـ.

قال أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي وقد كان جالسًا مع أصحابه فسألهم: أتدرون من هو صقر قريش؟فقالوا له كعادة البطانة السوء: بالتأكيد هو أنت... فقال لهم: لا، عدّدوا له أسماء حتى ذكروا له معاوية وعبد الملك بن مروان من بني أمية، فقال أيضا: لا. ثم أجابهم قائلا: بل هو عبد الرحمن بن معاوية، دخل الأندلس منفردًا بنفسه، مؤيّدًا برأيه، مستصحبًا لعزمه، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلدًا أعجميًا فمصّر الأمصار وجنّد الأجناد، وأقام ملكًا بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه. وهكذا كان أبو جعفر المنصور العباسي معجبًا جدًا بعبد الرحمن بن معاوية، وهو ما يمكن أن نسميه إعجاب اضطرار، أو هو إعجاب فرض نفسه عليه.

إن من أنجح القيادات هي القيادة التي تستطيع أن تزيل خلافاً وتقيم خلافة، لقد كان ذا مع عبدالرحمن الداخل (صقر قريش).



قال بعض المؤرخين السبب في نجاح الداخل أنه، كان راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئًا من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، بعيد الغور، شديد الحدّة، قليل الطمأنينة، بليغًا مفوّهًا، شاعرًا محسنًا، سمحًا سخيًا، طلق اللسان، وكان قد أعطي هيبة من وليّه وعدوّه، وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها، ويصلي بالناس الجمع والأعياد إذا كان حاضرًا، ويخطب على المنبر، ويعود المرضى. انتهى كلامه -رحمه الله- و شخصية تُشخِص الأبصار وتبهر العقول، فمع رجاحة عقله وسعة علمه كان لا ينفرد برأيه، فإذا اجتمعت الشورى على رأي كان نافذ العزم في تطبيقه - رحمه الله -مع شدته، وحزمه وجهاده وقوته.



ما قاله النبيء ﷺ لوفد عبد القيس بعد أن استحملوه وحلف أن لا يحملهم إذ ليس عنده ما يحملهم عليه ، فجاءه ذود من إبل الصدقة فقال لهم :«واني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وفعلت الذي هو خير».

كيف تُكتسب الحكمة ؟

١- كثرة التفكر:

قال الحسن: إن أهل العلم لم يزالوا يعودون يالذكر على الفكر والفكر على الذكر يناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة . مفتاح دار السعادة.

○ قيل لأحد العباد إنك لتطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل.

○ وفي المثل الأغريقي (كما تفكرون تكونون).

٢- المشورة :

قال بعض الحكماء : لا بأس بذوي الرأي أن يشاور من دونه كالنار يزيد ضوؤها وسخ الحديد.

٣- حسن الانتباه:

كان .أبو تمام الشاعر.. يكتب قصيدة له فلم وصل عند قوله:وأحسن من نور تفتحه الصبا (أغلق عليه) فسمع سائلاً يقول : بياض العطايا في سواد المطالب فأثبتها في القصيدة.

○ حاول تعلم الحكمة من الأعمى يتحسس المكان قبل أن يضع قدمه فيه.

○ ومن طريف ما جاء أن لأمام الرازي جالساً في المسجد بعد صلاة الفجر يدرس الناس الفلسفة، فتكتفت حمامة من البرد فوقعت على بردته فأخذها فضمها، فقال أحد الشعراء وهو جالس هناك:

جاءت إليك حمامة مشتاقة
تشكو إليك بقلب صبٍ واجف
من أخبر الورقاء أن مكانكم
حرمٌ وأنك ملجأ للخائف

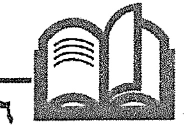
○ قال الشيرازي: (في المنهج المسلوك آداب الملوك).

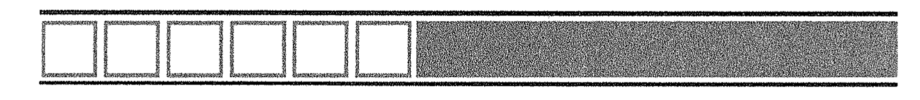
○ مما قاله الحكماء:(من حسنت سيايته دامت رياسنه).

○ سئل بعض الحكماء عن العقل فقال: (الإصابة بالنظر، ومعرفة مالم بكن بما كان)

○ قال المبارك الطبري (ليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه بل العاقل الذي يُدبر قبل الوقوع حتى لا يقع).

توازن الحكيم: اعلم أنه لا ينبغي للملك أن يسستعمل الرفق واللين في جميع الأحوال المواطن .





بل يجعل الرعية ثـلاث طبقات فيسوسهم بثلاث سياسات:

فالخواص بالرفق واللين..

وخواص الأشرار فيسوسهم بالعنف والشدة..

والعامة فيسوسهم باللين تارة وبالعنف تارة .ص٢٨٨.



حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

رابعا

التوازن

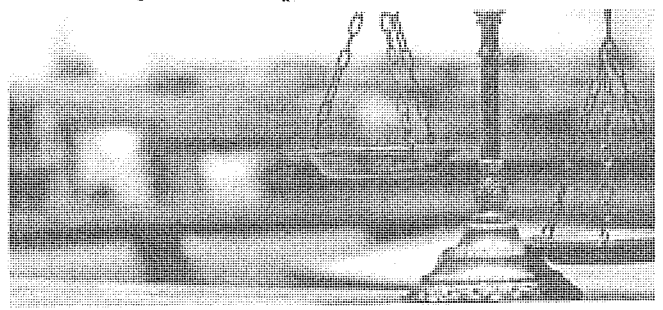
للحكماء تصرفات متزنة، رزينة قد نالت حظها من التفكير والدراسة والعمق والفحص مهما اتهموهم بالبط، فالحكيم لا يميل إلى جانب ويترك الآخر، بل يسير على خطوط متوازنة حتى لو تأخرت النتائج، لكن يجب أن يكون متوازناً.

○لقد وازن النبي ﷺ بين خيانة حاطب بتسريبه خبر الجيش وبين وشهوده بدراً فكان العفو منه، وأيّد القرآن الكريم موقف النبي ﷺ في (سورة الممتحنة)، واصفًا حاطبًا بالإيمان رغم ما ارتكبه.

○وعن أبي وائل قال: (كان ابن مسعود -رضي الله عنه- يُذكرنا في كل خميس مرة، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوَددتُ أنك ذكّرتنا كلَّ يوم، فقال: أما إنه يَمنعني من ذلك أني أكره أن أُملّكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة الحسنة كما كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بها مَخافة السآمة علينا).

إنه عندما تنزل بالحكيم نازلة فإنه لا يندهش بل يسارع بحلها لكن بطريقة الحكماء فهو يبدأ بالأهم ثم الأقل أهمية وهكذا.

ومن التوازن مراعاة بيئة كل مدعو، وضرْب الأمثال النافعة له من واقع بيئته، ولفْت نظر المدعوين إلى نِعَم الله عليهم، وإحسانه إليهم دون قسوة أو غِلظةٍ، بل يزن الكلام وزنًا، ويُقدره تقديرًا قبل أن يتكلَّم به، ثم يستشعر الداعية في نفسه موقف المدعو وكأنه هو، وأن مراده من دعوته إنما هو سعادته في الدنيا والآخرة.

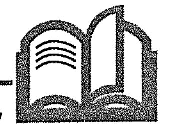


○ كان أبو إسماعيل الأنصاري إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، ويقول: (إنما أفعل هذا إعزازا للدين، ورغما لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام)، ثم إذا انصرف إلى بيته عاد لما كان عليه.

○ والحكيم يعرف متى يعمل ومتى يترك فقد جاء عن النبي كما عند البزار ورجح البخاري إرساله: (أن المنبت لا أرض قطع ولا ظهر أبقى)أي أن المسافر على الراحلة، يريد قطع المسافة بسرعة فيُهلك راحلته، ولم يصل إلى مراده، ولو وازن لوصل براحة، دون تعب.

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد

كلا طرفي قصد الأمور ذميم



○ «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا». البخاري.

○ «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ». البخاري.

○ «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق». رواه الإمام أحمد وحسّنه الألباني.

ذكر دابيل كارنجي عن عظماء كانوا يوازنون في تصرفاتهم مثل:

١- تشرشل كان عمره ستين سنة، ومع ذلك استطاع أن يقود الحرب العالمية الأخير وذلك لأنه كان يغفو إلى الصباح وله وقت قيلولة بعد الغداء وفي الثامنة يخلد إلى فراشة، فكان يعطي جسده الطاقة، ويدير الحرب وهو نشيط.

٢- أن جون د.روكلفر قد تجاوز عمره الثامنة والتسعين سنة ومع ذا استطاع جمع أعظم ثروة، لأنه وببساطة كان لا يترك القيلولة مهما كان مشغولاً.

٣- وكان أديسون المخترع لا يدعها -الإغفاءة- مهما كان عنده من عمل.

لذا لا تستغرب عندما تقرأ في انجازات القوم.

لذا يقال أن من سمات الحكماء أنهم لا يكتفون بالنظرة التي يشاركهم فيها الناس بل لهم حدة في النظر و دراسة المحتمل مع جميع جوانبه

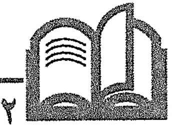
فلهم توازن في الحياة نابعة من اتزان نظارتهم ومقدرتهم على التسوية بين أعمالهم فلا يطغى شيٌء على آخر ولا يسمَح بتفريط لأجل مكاسب، إنه يسير كصاحب الدراجة الهوائية يدفع بهذه وهذه بالدفع نفسه للأمام في البدء ببطئ ثم الانطلاق، حتى إنه يستطيع الموازنة بين تصرفاته فللعزة مكان وللتواضع مكان فالحكيم يستطيع أن يُنزل كل منهما في محله فلا مهانة ولا تكبر (فعزة النفس تمتاز في الأذهان عن الكبرياء امتياز الصُّبح من الدجى؛ إذ العزة ارتفاع النفس عن مواضع المهانة، والكبرياء استنكاف النفس أن تأتي صالحًا؛ بتَخَيُّل أنَّ ذلك العمل لا يليق بمنزلتها، أو تعظمها عن أن تجامل ذا نفس زكية؛ بزعم أَنه غيرُ كفءٍ لها).

ويقابل العزة الضِّعة، وهي انحدار النفس في هُوَّة المهانة، ويقابل الكبرياء التواضع، وهو إذعانها للحق ونظرها إلى ذي النفس الزاكية أو المستعدة لأن تكون زاكية نظر احترام أو عطف وإشفاق.

وفي الناس من عدَّ التواضع ذلَّة

وعدَّ اعتزاز النفس من جهله كبرا

○ قال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما:



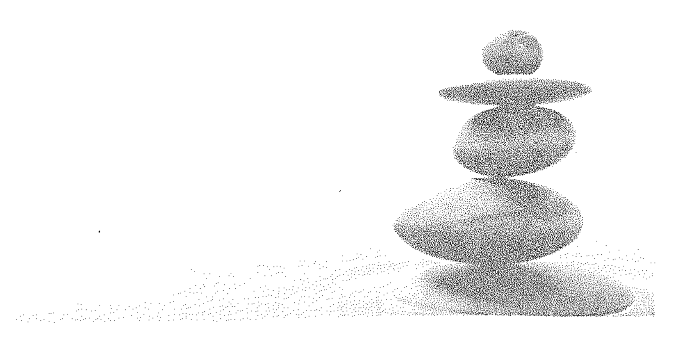
إنَّ الناس يزعمون أنَّ فيك تيهًا، فقال: (ليس بتيه ولكنه عزة).

○وقال عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس لابنه المنذر: إنَّ فيك لتهيًا مفرطًا، وإن العيون تَمُجُّ التيَّاه، والقلوب تنفر عنه، فقال المنذر: إن لهذا السلطان رونقًا يريقه التبذُّل، وعلوًا يخفضه الانبساط، ولا يصونه إلا التيه والانقباض.

○ومن أمدح الأبيات ما قاله أبي تمام:

مُتبذِّلٌ في الحيِّ وهو مُبجَّلٌ
متواضعٌ في القومِ وهو مُعظَّمُ

فيوازن ومن جميل ما كتبه الشيخ محمد الخضر حسين في مقالة له (فإذا رأى فيه كبرًا عاتيًا، وتيهًا مسرفًا- خفّف من غلوائه، وساسه بالحكمة، حتى يتعلَّم أن المجد المؤثَّل لا يقوم إلا على دعائم العزة والتواضع، فوزن المعاملات الخاصة، وإلحاقها بإحدى خصلتي العزة أو التواضع، أو طرحها إلى الكبرياء أو المهانة- يرجع إلى اجتهاد الشخص نفسه).



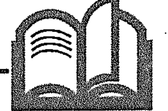
ولقد حفظ لنا في التاريخ عن من أنصفوا غيرهم مع كرههم لهم أو عدم قبولهم لأفعالهم.

وقد أفتى شيخ الإسلام بأن السارق تقطع يده، ويعطى من بيت المال لفقره.

○ وعند أبي شيبة أن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: أتاه رجلٌ فقال: يا أبا عباس، أرأيتَ رجلاً قتل مؤمنًا متعمِّدًا، ما جَزاؤه؟ قال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ قال: أرأيتَ إن تاب وآمنَ وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ فقال: وأنَّى له التوبةُ؟ ثَكلَتْكَ أمُّك! إنه يجيءُ يومَ القيامة آخذًا برأسه تَشْخَبُ أوداجُهُ حتى يقفَ به عندَ العرشِ فيقولُ: يا ربِّ، سَلْ هذا فيم قتلني، لقد كان ابن عباس -رضي الله عنه- يوازنْ، فلما سُئل عن توبة القاتل؟ فقال: لا توبةَ له. وسأله آخَرُ؟ فقال: له توبة. ثم قال: أما الأولُ فرأيتُ في عينيه إرادةَ القتل فمنعتُه، أما الثاني فجاء مُستكينًا قد قَتل، فلم أُقَنِّطْه.

○ قال بعض حكماء الفرس: (أحزم الملوك من غلب جدُّه هزله، وقهر رأيه هواه، وعبَّر عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن كيده).

○ إن الشاعر الموفق هو من يتقن الموازنة فتجد أنه عند الإطلاع على بعض القصائد نلحظ أنَّ بعض الشعراء يستوقفك بحسن أبياته وجمال منطقها، وذلك لأنَّ الحكمة قد أتت على القصيدة فكانت تحمل العبرة، والتوازن من غير إجحاف ولا ازدراء للنفس.



ففي أبيات عنترة:

يُخْبِرك مَنْ شَهَدَ الوَقيعَةَ أنّني

أَغْشى الوَغى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ

وأبيات أبا تمام:

هو السيف إن لا ينته لا ن متناه

وحـــداه إن خـشـنـتـه خشنان

قال المتنبي:

وَوَضْعُ النّدى في مَوْضعِ السّيفِ بالعلى

مضرٌ كوضْعِ السيفِ في موضِعِ النّدى

وَلكنْ تَفُوقُ النّاسَ رَأياً وَحِكمَةً

كما فُقتَهمْ حالاً وَنَفساً وَمحْتِدَا

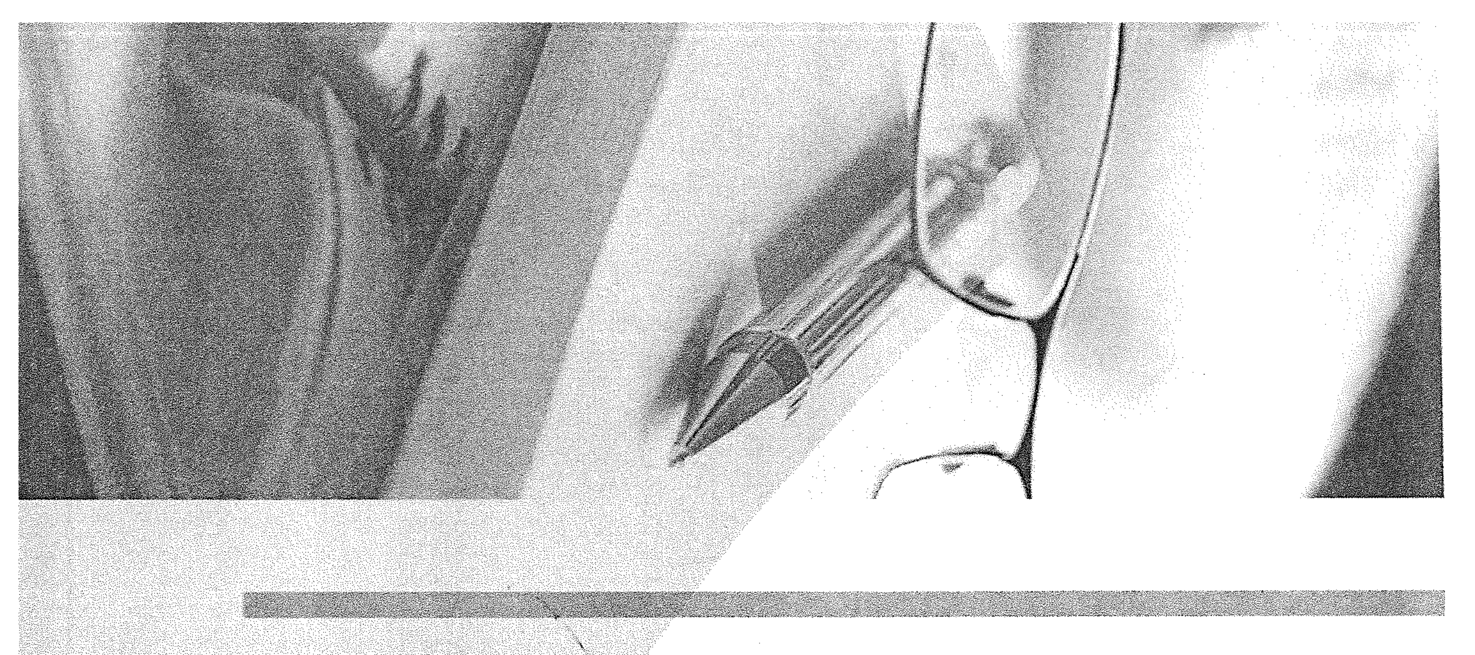
وقال آخر:

والعاقل النّحرير مُحتاج إلى

أن يستعين بجاهل طيّاشِ

فهذه الأبيات تعطي الباحث عن الحكمة الموقف الرشيد لموافقه في حياته.

وكذلك فإنه يرتب الأولويات فلا يقدم شيء على ما هو أهم في الوقت الحاضر، فعند رغبات وطموح لكن ليس هذا وقت الأخذ بها.



حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

خامسا

مجرب

غالباً ما تكون الحكمة مع كبار السنّ، وقد تأتي مع غيرهم، لأن مرور الأيام والليالي أكسبتهم الخبرات، وعلمتهم إحكام الرأي، و غيرت كثيراً من القناعات، وبددت كثيراً من النظريات، فإذا كانت هناك تجارب في الحياة فإنها تجعل الإنسان أكثر حكمة، وكلما كان الإنسان كثير الأسفار،والسير و الترحال يخالط الناس بكثرة، كان أقرب إلى الحكمة، ولذلك كانوا يكرهون الرأي الفطير الذي يؤخذ بسرعة من غير تأمل.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ سورة فاطر الآية ١٤.

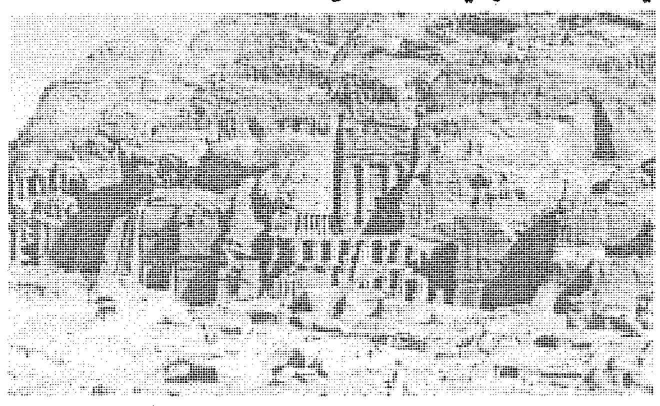
ومن أمثال العرب قولهم على الخبير سقطت أي سألت عارفاً، ولقد تمثل بها الفرزدق فقالها للحسين بن علي عليهما السّلام حين سأله عن أهل الكوفة فقال: (القلوب معك والسّيوف عليك).

حتى قال: بعضهم (الحكمة وليدة العقل الثاقب تصقلها التجربة ويبلورها العمر المديد، فإن أتى صاحبها فصاحة لسان وحضور منطق ودَمغة حجة، جاء منها بالبين المُعجز والجامع الموجز).

وبما قيل (النظر في العواقب تلقيح للعقول).

إن سِر المسألة هو إلحاق النظير بنظيره، والشبيه بمثيله فالإنسان العاقل لا يفرق بين متماثلين، ولا يجمع بين متناقصين، ولهذا فالشرع لا يوجد فيه جمع ما بين متناقضين ولا تفريق مابين متماثلين، فالأشباه والنظائر يساق بعضها إلى بعض، فعلى الإنسان أن يطلع على أحوال العباد، ويقرأ في تاريخ من سبق، فإذا أدلهم به الأمر، ونزلت به نازلة تحتاج إلى تصرف حكيم جمع الأشباه والنظائر فقاس النظير على النظير.

لقد أخبارنا الله عن الأمم السابقة؛ حتى نكون حكماء فنعلم بالنظير، فإذا الأمم قد أهلكت بذنوبها فقطعاً نحن إذا أذنبنا فسنهلك بذنوبنا، وإلا ما معنى قوله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٠، ولهذا أمر الله جل وعلا بالسير في الأرض والنظر في الديار والتأمل في الآثار؛ حتى نأخذ منها العظة.



○لقد كان دريد بن الصمة صاحب تجارب يشهد الغزوات ويحضر المعارك، وقد عُمِّر حتى تجاوز التسعين عاماً فكان الناس يستشيرونه في غزواتهم، وذلك لكثرة تجاربه، و أصابة آرائه.

ما استقامَتْ قناةُ رأيِـي إلاَّ
بعدَ ما قوَّسَ المَشيبُ قنَاتي

○يقول المتنبي:

من عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روى رمحه غير راحم

○يقول أبو الفتح:

(وميزّة المجرب أنه غواص فهو لا ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة بل تكون له النظرة الشاملة التي تحيط بكل الزوايا).

○ كان رسام مشهور يتردد على مطعم، وقد قضى أربعين سنة في عمله وإبداعه، ذات يوم دخل المطعم فطلب منه المالك أن يرسم له باقة ورد ليزين بها مطعمه، رسمها له حسب الطلب، وحين ذكر له المبلغ الذي ينبغي أن يدفعه، اندهش صاحب المطعم وقال: كيف تطلب مني هذا المبلغ وأنت رسمتها في دقائق؟ فقال: صحيح لقد رسمتها في دقائق، لكنها تمثل تجربة أربعين سنة من الرسم! فقال الرسام: أتدفع هذا المبلغ أم لا؟ رفض صاحب المطعم، فمزق الرسام رسمه.

○ كل شيء محتاج إلى العقل والعقل محتاج إلى التجارب.

○ قال: ابن القيم (كثرة المزاولات، تعطي الملكات).

○ قال: النووي في أحد شروحه: (إن التثبت وقوة البصير تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل).

○ رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

○ وقال الليث: (يقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب.

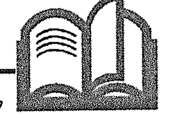
○ يقول محمد الخضر: (وربما جنح إلى السِلم والحربُ أشرف عاقبة، أو أَذَّن بحرب والصلحُ أقرب وسيلة إلى سعادة الأمة؛ فلا بُدَّ للدهاء في فنٍّ سياسي من الوقوف على شيء من سننه، إمَّا بتقلب الإنسان في الوقائع بنفسه ومشاهدته لها عن رؤية عين، وهي التجارب الملوَّح إليها)

○ يقول أبي تمام:

من لم يُقَد فيطير في خيشومه
رهجُ الخميس فلن يقود خميسا

(والمقصود بالخميس الجيش)

تنشأ قوة الإرادة من التجارب، فمن تعلق همه بأمر كان قد عُرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح، انقلب همه في الحال عزمًا صادقًا، أما من لم تسبق له تجربة فقد يتخيل



الأمر بمكان لا تناله يده، أو يخشى من أن يلاقي وراء السعي إليه خيبة؛ فيقف في تردد وإحجام، فذو العمر الطويل من أولى الألباب قد يكون أسرع إلى بعض الأمور وأشد عزمًا عليها من حديث السن، لما تفيده التجارب من إمكانها ونجاح السعي لها.

وذلك ما يعنيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: (ولكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث، والمكيث من لا يخف إلى الهجوم إلى بعد روية وتدبر).

إننا نحتاج للشباب بشجاعة، وللشيوخ بتجاربهم، فإذا صدرت شجاعة شباب الأمة عن آراء شيوخها الحكماء، فلا جرم أن يكون لها الموقف الحميد، والأثر المجيد، ولذا يقال أن الحكمة هي خلاصة تجربة الشخص، وعلى نطاق أوسع، هي تمثل ثقافة المجتمع وفكره، وتوجد عدة طرق يستمد الإنسان منها حكمته مثل الحكم والأمثال والقصص والحكايات. والأهم منها التجربة الذاتيّة للشخص.

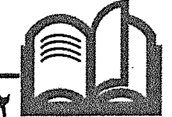
لقد حفظت لنا كُتب الأدب وصية زُهير بن جناب الكلبي لبنيه -وكان ممن طال عُمره- فقال: (يابنِيَّ قد كبرت سنّي، وبلغت حيناً من دهري، فأحكمتني التجاربُ، والأمورُ تجربةٌ واختبارٌ، فاحفظُوا عني ما أقُولُ إيَّاكُم والخور عِند المَصائب والتَّواكُلَ عند لنوائب..)

عرفت الليالي بؤسها ونعيمها

وجربت حتى أحكمتك التجارب

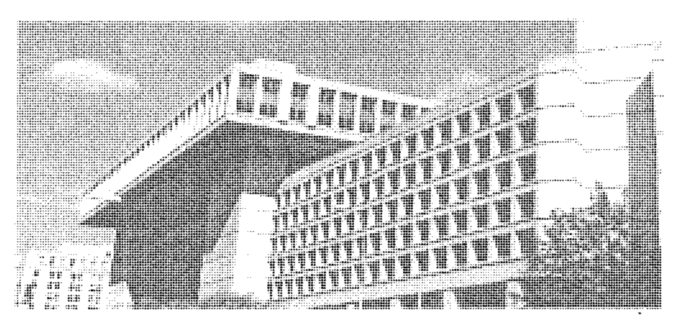
○ تعاقدت شركة وارك بفيلادلفيا على بناء مبنى (مكاتب ضخمة و صالات وغيرها..) في فيلادلفيا في موعد محدد،كان كل شيء يسير على ما يرام، فالمبنى قد انتهى تقريباً، و فجأة أعلن المقاول الفرعي -المسؤول عن إعداد التمثال البرونزي الذي سيزين واجهة المبنى- أنه لن يستطيع التسليم في الموعد المحدد، ماذا؟ مبنى كامل يتأخر؟ جزاءات ثقيلة؟ خسائر فادحة؟ كل هذا بسبب رجل واحد؟ مكالمات هاتفية؟ مجادلات؟ حوارات ساخنة؟ كل هذا دون جدوى؟ كان عليهم أن يتصرفوا بحكمة، وأن يختاروا موقفاً جيداً، وقع الاختيار على السيد (جاو) وكان من (من وفِق للحكمة) وكثرة التجارب، ذهب السيد (جاو) إلى هذا الأسد البرونزي كما كان يلقب، وعندما قابل السيد (جاو) رئيس المقاولات الفرعية وبعد تعارفهما بقليل قال له: هل تعرف أنك الشخص الوحيد الذي في بروكلين يحمل هذا الاسم؟ فاندهش الرئيس قائلا: لا، لا أعرف هذا.

فقال (جاو): (عندنا نزلت من القطار هذا الصباح نظرت في دليل الهواتف لأعرف عنوانك فإذا بي أجد أن اسمك منفرد، وأنه ليس في بروكلين أحد غيرك يحمل هذا الاسم). فقال هذا المقاول: لم أكن أعرف هذا أبداً، ثم قام وفحص دليل الهواتف باهتمام، وقال بفخر: حسناً، إنه اسم غير عاد، لقد جاءت أسرتي من هولندا وأقامت في نيويورك منذ مائتي عام تقريبا، واستمر بتحدث عن أسرته وأجداده لعدة دقائق، وعندما انتهى من هذا الحديث هنأه



(جاو) على ضخامة مصنعه، وأخذ يقارن بينه وبين مصانع أخرى كان قد زارها، وكانت المقارنة لصالح هذا المصنع بالتأكيد، وقال (جاو): إنه واحد من أكثر مصانع البرونز نظافة وتنسيقاً.

فقال المقاول: لقد قضيت عمراً في إنشاء هذا المصنع، وأنْ فخور جداً به، هل تريد أن تلقي نظرة على المصنع؟ فقال السيد (جاو): نعم. وخلال هذه الجولة التفقدية هنأ السيد (جاو) هذا الرجل على نظام التصنيع، وأخبره كيف ولماذا تتفوق منتجاته على بعض من منافسيه، وعلق (جاو) على بعض المعدات الغريبة، وأوضح له المقاول أنه اخترع هذه الآلات، وما تنتجه من أعمال رائعة، وأصر الرجل على اصطحاب ضيفه إلى الغداء -لاحظ أنه حتى الآن لم يتكلم (جاو) بكلمة عن هدف زيارته- وبعد الغداء قال رئيس المصنع: دعنا نتحدث الآن عن العمل، أنا أعرف طبعاً لماذا أنت هنا، ولم أكن أتوقع أن يكون لقاؤنا ممتعاً هكذا، يمكنك أن تعود إلى فيلادلفيا مع وعد مني أن يتم تصنيع ما تريد وشحنه في الموعد، وحتى لو أدى ذلك بي إلى تأخير بعض الطلبيات الأخرى.



وهكذا حصل (جاو) على ما أراد دون أن يطلبه، وصلت المواد المطلوبة في الموعد المحدد، وتم تشطيب المبنى في الموعد المحدد في عقد. إنها الحكمة التي تأتي به التجارب.

○ لما سُئل سلم الحراري عن منزلة الكاتب الجيدة فقال: (أن يكون مطبوعاً على المعرفة، محتنكاً بالتجربة، عارف بحلال الكتاب وحرامه، وبالدهور في تصرفها وأحكامها).

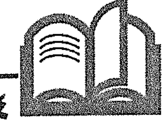
○عَنْ أَبِي سَعِيد قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ «لاَ حَلِيمَ إِلاَّ ذُو عَثْرَةٍ وَلاَ حَكِيمَ إِلاَّ ذُو تَجْرِبَةٍ» رواه الأمام أحمد وغيره.

○ لذا قال كونفوشيوس يمكن تعلم الحكمة بثلاثة أساليب، الأول، عن طريق التأمل، وهو الأسلوب الأنبل؛ الثاني من خلال التقليد، وهو الأسهل؛ والثالث عن طريق التجربة، وهو الأكثر مرارة.

○ وقال جوزيف أديسون: إذا أردتِ أن تنجح في حياتك: فأجعل المواظبة صديقك الحميم، والتجربة مستشارك الحكيم، والحذر أخاك الأكبر، والرجاء عبقريتك الحارسة.

○قال جورج برناردشو: خطأ الشباب أنهم يرون أن الذكاء يغني عن التجارب، وخطأ الشيوخ أنهم يرون أن التجارب تغني عن الذكاء.

○ قال العقاد: التجارب لا تقرأ من الكتب لكن الكتب تساعد على الانتفاع بالتجارب.



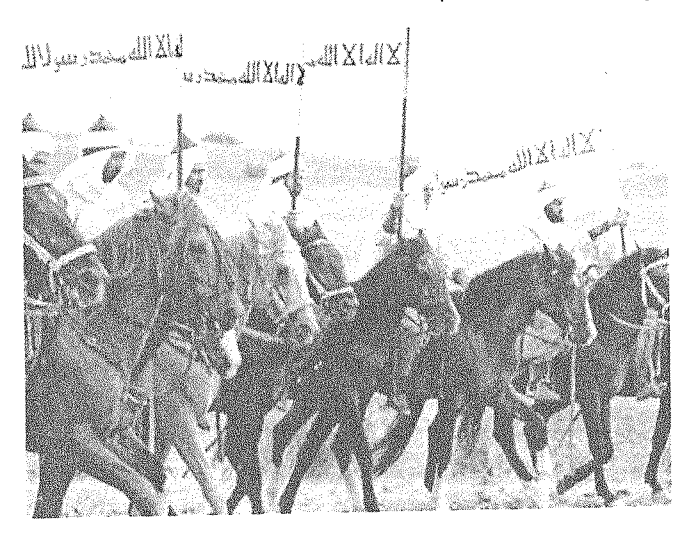
○ ومن أمثلة العرب، (فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَه) وهو مثل يقال: للرجل المجرب الأمور، أي قاسى الشدة والرخاء، وتَصَرَّفَ في الفقر والغنى.

الجيوش الإسلامية تتحرك إلى أجنادين:

عندما تجمع الروم ، كانت قوتهم قد بلغت في أجنادين نحو مئة ألف مقاتل أو يزيد، في حين بلغت الجيوش الإسلامية كلها ثلاثةً وثلاثين ألف مجاهد، وكان آخر الجيوش وصولاً إلى أجنادين من المسلمين جيش شرحبيل بعد أن خرج من الصحراء.

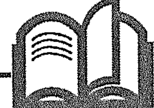
عسكر الجيش الإسلامي في أجنادين، وتجمع الجيش الرومي هناك، و الروم لم يختاروا أجنادين للقتال، وإنما اختاروها للتجمع، فهي تقع في مفترق الطرق، فمنها طريق إلى بيت المقدس، وطريق واضح إلى دمشق، وطريق إلى البحر الأبيض المتوسط، وطريق إلى الرملة وطريق إلى غزة، مما يجعل تجمع الجيوش الرومية عندها ميسورًا، فهي مجرد مكان تجمع، لكن لا يوجد به أسوار عالية، أو حصون منيعة، فلم تكن مهيئة للحرب، وإنما للتجمع، ثم الانتقال إلى بيت المقدس أو الخليل، أو غيرها من المناطق المعدة للقتال، إلا أن جيش خالد بن الوليد بعيونه ومخابراته -وكان مُجرباً- استطاع أن يفاجئهم في أجنادين، وكذلك بقية الجيوش الإسلامية، التي جاءت بسرعة مذهلة، إلى حيث أمرهم القائد الأعلى آنذاك..

أرسل جيش الروم أحد الجواسيس من العرب الموالين للروم إلى الجيش الإسلامي، اسمه ابن هزارز، وقد أسلم بعد ذلك، فدخل ولم يعرفه أحد، وقد وصاه تذارق أن يأتيه بخبر القوم، فمكث يومًا بليلة، ثم عاد إليهم فقال: والله إني وجدتهم، رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم، لإقامة الحق فيهم.



فقال القائد الرومي: لئن كنت صدقتني، فَلَبَطْن الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددتُ أن حظِّي من الله أن يخلِّي بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليَّ..

كان خالد بن الوليد لا يهدأ في مكان حتى بدء المعركة، وكان كلما مر على قبيلة من القبائل، أو طائفة من الجيش أوصاهم بتقوى



الله، وقال لهم: قاتلوا في الله من كفر بالله، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، أقدموا كإقدام الأُسد، وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا، واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولنكم كثرة أعدادهم، فإن الله منزلٌ عليهم رجسه، وعقابه عليهم.

وفي جُمادى الأولى عام ١٣هـ، تواجه فيها الروم بـمئة ألف مقاتلٍ، مقابل جيش المسلمين البالغ ٣٣ ألفًا، نظم خالد بن الوليد جيشه، فجعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى الميسرة سعيد بن عامر وقسم قلب الجيش نصفين، نصفًا للمشاة بقيادة أبي عبيدة ونصفًا للخيل في المقدمة بقيادة سعيد بن زيد، ووقف خالد بنفسه في مقدمة الجيوش الإسلامية، وقد قال لهم: إذا حملتُ على القوم فاحملوا.

أما الجيش الرومي فقد كان قائده وردان في المؤخرة، وقد كان هذا ديدنهم في كل المعارك، مثلما فعل رستم في القادسية أيضًا، وهكذا يؤمِّنُ نفسه تمامًا..

وفي صبيحة يوم السبت، وجاء وقت القتال عند صلاة الظهر، كان خالد يفضل أن يقاتل بعد صلاة الظهر، كما أن في ذلك أيضًا سيرًا على سُنة رسول الله ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يجاهد في هذه الأوقات، من طلوع الشمس حتى قبيل الظهر، أو بعد صلاة الظهر، وكان يقول: «تهب نسائم النصر في هذه الأوقات». كما روى الترمذي وأبو داود.

لكن الجيش الرومي استغل الفرصة وبدأ هو بالهجوم، فهجمت ميمنة الجيش الرومي على،،ميسرة جيش المسلمين فثبتت لها فرقة سعيد دفاعًا فقط، ولكنها لم تهاجم؛ لأن خالدًا لم يعط الأمر ببدء القتال بعد!

وبعد ذلك تحركت ميسرة الجيش الرومي إلى ميمنة المسلمين فرقة معاذ بن جبل وثبت لها أيضًا، وظل الحال كذلك مدةً من الزمان، حتى قال سعيد بن زيد لخالد بن الوليد: يا خالد إن رماح الروم تنال منا!! فهم قد بلغ بهم الجهد من الدفاع، وفي الوقت نفسه لا يريدون أن: اصبر فإن في الصبر رجاء.! يخالفوا أمره ولكن خالداً رد عليه. كان خالد بن الوليد يدير الأمر بحكمة ويحاول أن ينتهز الفرصة. فرأى أن الميسرة والميمنة لدى كلا الجيشين قد هاجمتا، فيكون من اليسير على قلب جيشه بقيادته أن يتقدم إلى قلب جيش الروم، مما يُعجل ويُيسر من وصوله إلى قائد الروم (وكان يعلم أنه في مؤخرة جيشه)، ويعلم أنه إذا قُتل قائدهم، فإن الجيش لن يصمد لحظة، وسيفكر في الهرب، وسيكون قد انتصر عليهم،وهذه نقطة ضعفهم فأراد أن ينتهزها.(خبرة من حنكته التجارب)

ولما غدا الطريق خاليًا للوسط أمام جيش المسلمين، فأشار خالد بالبدء بأن حمل عليهم بنفسه، وقال: احملوا عباد الله على من كفر بالله ، فكان كمن أزاح صخرة أمام الطوفان، فاقتحم المسلمون جيش الروم كالسيل الهادر، وقاتلوهم قتالاً عنيفًا شديدًا.

استمر القتال بين الفريقين وقتًا قليلاً كما ذكر الرواة (فما صبروا لهم فواقًا الناقة، أي مدة حلبها) وانتصر الجيش الإسلامي انتصارًا عظيمًا، ووصل الجيش الإسلامي -كما خطط خالد بن الوليد- إلى خيمة قائدهم العام، الذي قال: والله ما رأيت يومًا في الدنيا أشدَّ عليَّ من هذا، وكانت آخر كلماته، إذ اجتُثَّ رأسه بعد هذه الكلمة. ولا عجب إذًا أن يقول فيه الخليفة الأول للمسلمين وهو أبو بكر الصديق: (والله لأنسينَّ الرومَ وساوس الشيطان بخالد بن الوليد)، وقال عنه أيضًا: (لقد عجزت النساء أن يَلدن مثل خالد)، ولقد سمَّاه المسلمون: (سيف الله المسلول)؛ بعد أن قال له الرسول ﷺ يوم دخوله الإسلام: «أنت سيف من سيوف الله، سلَّه على المشركين».

سفهاء الأحلام:

تتبين الأشياء بضدها من يسمع كلام النبي ﷺ، عن سفهاء الأحلام، يعرف كم هي الحكمة مفيدة، ويتعنى لطلبها أينما كانت.

عندما كان النبي ﷺ يوزع الغنائم بحكمة، قال ذلك المشمر لإزاره، أعدل يا محمد، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟!».

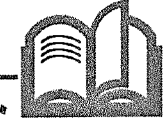
قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله

قال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» ثم نظر إليه وهو مقفٍ فقال: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود». وأخبر أنه: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة» صحيح البخاري

إن هذه الصفات لهذه الفرقة لا تزال موجودة، وقد حملت جهلاً، وعجلة، وطيشاً، فلا تسأل عن سرعة خروجهم من الدين، ولا تسأل عن عداء بعضهم البعض، وسرعة إلصاق الاتهامات لغيرهم والتصنيف المقيت. فإذا ضاق العطن وقصُر النظر وقل الصبر وضعفه البصيرة، ابتعدت الحكمة.

لذا توجد هذه الصفات عند فئة الشباب حدثاء الأسنان قليلي العلم والتجربة،وعند أصناف من المثقفين والمتعالمين من ذوي التدين والغيرة، مع قلة الفقه الشرعي.

إن هذه الصفات تجتمع مع أعداء الحكمة، ويعتقد أصحابها أنهم أصحاب حق، وغيرهم على باطل، لذا لا يقبلون النقاش، ولا ينتفعون بمجالسة العلماء إذا جالسوهم.



ولذا تجد المجرب يستوعب ويغوص.

لا بد للحكيم من تمييز وعقل يرشده، إنه إذا واجه صعوبة، أعمل عقله، واختار الفعل المؤثر النافع كي يحقق جميع ما يريده بأيسر الأفعال، وأكثرها مكسباً.

من أهم تجليات الحكمة: إدراك حُجُوم القضايا على وجهها الصحيح ؛ فالحكيم يرى الأشياء الكبيرة كبيرة، كما يرى القضايا الصغيرة صغيرة كما هي، وتقدير القضايا بصورة غير صحيحة من أخطر المشكلات التي ظلت تواجه البشر على مدار التاريخ، وهل دُمّرت الحضارات إلا من وراء مشكلات وأَخطاء ظنها الناس تافهة، فإذا هي عواصف هوجاء تأتي على كل ما تمرّ عليه!.

العالم (الحكيم) الذي وصفناه، أما أهل الاختصاص، الذين أذهبوا العمر في تفتيق المعرفة حول شيء بالغ الصغر، أو حول (لا شيء) فهؤلاء جنود التقدم العلمي، لكن حظوظهم من إشراقات الحكماء محدودة للغاية !.

ومن أقوال الإمام أحمد (لا تستطيع الحُكم على حديث ما لم تجمع طرقه) ترتفع درجة المرارة في داخلنا على مقدار فقدنا للحكمة؛ والنزق والبَرَم الذي نبديه حول كل ما لا يعجبنا سببه جهلنا بالأسباب والجذور والسنن وطبائع الأشياء ومنطق سيرورتها.

أما الحكيم: فإن مرارته لا تنبع من مفاجآت الأحداث وفواجعها، وإنما من غفلة الناس، واستخفافهم بالمواعظ التي ألقيت عليهم، ونبهتهم إلى النهايات المحتومة التي يندفعون إليها دون أي حساب أو تقدير لفداحة الخطب الذي سيواجهونه. إن للحكمة أنواراً وفضائل وهي غيض من فيض، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي الخير الكثير.

ففي القدرة على الكتمان والتخفي والتمويه، كان النبي ﷺ لم يقصد غزوة إلا ورّى بغيرها إلا غزوة تبوك، وكان يخرج بالجيش فيكمن نهاراً ويسير ليلاً، وقال للسائل في طريق بدر: «نحن من ماء»، وقال لعمرو بن عبسة حين سأله عمّن معه على هذا الإسلام: «حر وعبد»، وقال أبو بكر: (هذا يهديني السبيل للذي سأله عن الرجل الذي بين يديه، وبيّن النبي ﷺ «أن في المعاريض مندوحة عن الكذب».

وكان يقول عمر -رضي الله عنه- يقول لابن عباس -رضي الله عنهما-: (غص غوّاص) فكان يقرأ ما لم يحدث من خلال فهمه للقرآن، فعن زهدم الجرمي، قال: كنا في سمر ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقال: لما كان من أمر هذا الرجل ما كان، يعني (قتل عثمان -رضي الله عنه)، قلت لعلي -رضي الله عنه-: اعتزل الناس، فلو كنت في جحر لطلبت حتى تستخرج، فعصاني، ويم الله ليتأمّرن عليكم معاوية -رضي الله عنه-،

وذلك أن الله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ سورة النحل الآية ٣٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من كان ذكياً كان دركه للأمور الدقيقة أشد).

ذكر ابن القيم في الطرق الحكمية:

ومن ذلك أن بعض الولاة سمع في بعض ليالي الشتاء صوتا بدار يطلب ماء باردا فأمر بكبس الدار فأخرجوا رجلا وامرأة فقيل له من أين علمت؟ قال: الماء لا يبرد في الشتاء إنما ذلك علامة بين هذين.

فمن لم ينظر في الشؤون العامة بفكر ثاقب، ضاع من بين يديه كثيرٌ من المصالح، ووقع في شراك الخداع والمخاتلة، وكم من أمة قضى عليها بَلَهُ زعمائها أن تعيش في هاوية الذل ونكد الحياة. وإنما استقام ظهر الخلافة لعهد عمر بن الخطاب؛ لأنه كان–مع سلامة ضميره وصفاء سريرته– نافذَ البصيرة في السياسة، بعيدَ النظر في عواقبها. كما قال محمد الخضر

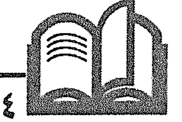
ومال إلى مقتضى أدلّته؛ قال ابن تيميّة –رحمه الله تعالى–: (أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تُستوعَبَ الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبّه على الصحيح منها، ويُبطَل الباطل، فأمّا مَن حكى خلافًا في مسألة، ولَم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي ترَكه).

○ خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه وراح إليه في موكب، فقال عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين، إننا في بلد العدو بها قريب منا، ولهم عيونٌ وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً. فقال عمر: لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين مرني بما شئت أصر إليه، قال: ويحك، ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أو أنهاك.

○ ومما كان يذكره شيخ الإسلام كثيراً: (إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات).

إنَّ الإنسان يحتاج أيضا إلى الحكمة في كل تصرف وفي كل قرار يصدر منه. والإنسان الحكيم يلزمه أن يضع أمامه ردود الفعل لكل ما ينوى عمله: فقبل أن ينطق بكلمة يعمل حساب وقعها على من يسمعها، وفي كل تصرف له يحسب ردود فعله عند الآخرين: كيف سيفهمونه؟ وماذا يكون موقفهم إزاءه؟

إن التصرفات العشوائية لا تليق بالحكماء بل كل ما يفعلونه إنما يحسبون حساب نتائجه قبل أن يفعلوه.إن الحكيم ينتقي أفعاله كما ينتقى أحب الأشياء إليه.



ولذلك تجده محترزاً فلا يفتح باباً يصعب إغلاقه، ولا يتكلم بما يحتج أن يعتذر منه، ولا يدخل مكاناً يصعب الخروج منه، بل هو حذِرٌ كيِّسٌ فطن.

ولذا قد جاء عن الحسن -رضي الله عنه- أنه قال له رجل: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال له الحسن -رضي الله عنه-: (أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت قد أضللت دينك، فالتمسه).

وآخر أتى لمالك من بعض أهل الأهواء، فقال له: (أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه) فكانت هذه الحجة هي أسخن لعينه، وأغيظ لقلبه، إنه يعرف من أين يأتي ويؤتى.

إنَّ الانتقاء للفعل، وللقول دلالة على أنَّ صاحبها حكيماً، فهو لا يحرص على الحديث وكثرته بل يسكت إذا كان هو الأنفع ويتحدث عندما يحتاج إلى البيان وكما قيل: إذا تم العقل نقص الكلام، فلا يقول الكلام قبل وزنه وإنضاجه.

لذا يقال اختر كلامك قبل أن تتحدث وأعط للاختيار وقتاً كافياً لنضج الكلام فالكلمات عبارة ثمرات له لم يتم نضجها فهو بتعاهدها ثم إذا نضجت قدمها.

أشبع العقلَ حكمةً واختبارا

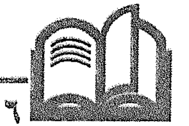
وامـلإِ القلبَ رحمةً وحنانا

إنَّ الحكيم: رجل يرى ما قبل اللحظة الراهنة، ويستشرف ما بعدها، وهو لا يرى نسقاً أو نظاماً من التداعيات الترابطية، لكنه يرى أنساقاً ونظماً تتوازى، وتتقاطع، وتتصادم، إنه يحسّ بالعاصفة قبل هبوبها، فيحذر قومه وينذرهم. كلنا نرى القضايا بحجمها الحقيقي، لكن بعد فوات الأوان، وبعد أن نكتوي بنارها، وتفوتنا فرصها الذهبية، لكن الحكيم يأتي في الوقت المناسب، كما قال سفيان الثوري: إذا أدبرت الفتنة عرفها كل الناس، وإذا أقبلت لم يعرفها إلا العالم.

تلك حُجتُنا:

وُلِد إبراهيم -عليه السلام- بغوطة دمشق في قرية يقال لها: برزة، ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس فأقاموا بحران، وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان، كانوا يعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي، ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة، القديمة هيكل لكوكب منها، ويجعلون لها أعيادا وقرابين، فقد كانوا كفّاراً، سوى إبراهيم الخليل، وامرأته، وابن أخيه لوط عليهم السلام.

واجه -عليه السلام- أهل الشرك وكان في مقدمتهم أبيه، وكان لابُد من دعوته وقد جاء ذكر الأب مع قوم إبراهيم لأن العرب كانت تزعم أن أبا إبراهيم لم يكن مشركاً -وهو أبو العرب- فأتت هذه الحُجج الدامغة، والأنوار الساطعةُ. كما قال: ابن عاشور.



خاطب أباه بالفطرة فحرّكها، بأسلوب استفهامي بصيغة المضارعة فقال: أتتخذ أصناماً آلهة وتتكلف بعبادتها، إنها تماثيل أتكونون لها عابدين؟، و هل تسمعكم أو تضركم!، أو تجلب لكم نفعًا أو ضُراً!.

ثم زجرهم بقوله (أفٍ) لكم ولما تعبدونْ.

ثم رجع --عليه السلام-- بمخاطبة أباه بأسلوب أجمل وبدعاء أرق معظماً والده، فكان يحاوره بأبوته ويترفق معه فيقول ياأبت لما تعبد مالا يسمع، ولا يعقل، ولا يغني عنك شيء؟.

ثم عاد إبراهيم -عليه السلام- فكرر لأنَّ داعِي له الإنكار هو عِلم قد بصّرهُ الله به، وإن كُنت أصغر منك لكن الله قد أعطاني الهداية، ولأن اتبعتني هديتك الصراط السوي، المستقيم.

ثم فكرر فقال: ياأبتي إن الشيطان يدعوك لترك طريق الحق لتكون معه ممن عصى الله، وأنا ياأبتي أخاف عليك أن يمسك عذاباً من الرحمن عندما تكون ولياً للشيطان.

كان -عليه السلام- يترفق، ويتحَنَنَ لوالده، لكن كل ذلك قُوبل بهجمة شرسة دامغة من الأب وبرد غليظ زجره فيه، وتوعده بالرجم، والهجر.

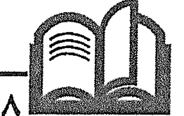
لكن الابن اتخذ أسلوب الحكمة فلم يقطع الصلة، ولم ييأس من دعوة والده، بل واصل أسلوب اللطف واللين معه فقال: (سلامٌ عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً) ثم هاجر واعتزل .

ثم انتقل إلى مرحلة أخرى وهي دعوة الصابئة -أصحاب الكواكب- فأراد أن يقنعهم ببطلان معتقداتهم، لعبادتهم الكواكب من دون الله!، فبينما كان ابرهيم -عليه السلام- يسير معهم، ليلاً رفع رأسه للسماء فرأى كوكباً صغيراً فقال على سبيل الدرج والمجاراة، بأنه يريد عبادت هذا الكوكب -لتتقبل نفوسهم ذلك وتهُش لذلك- فقال: -عليه السلام- سأتخذ هذا الكوكب رباً لي.

لكن بعدها غاب ذاك المعبود، وهو يريد معبوداً لا يغيب -هو يريده أن يحفظه فلا يغيب عنه إذا لا يصلح- ثم رأى القمر بازغاً ظاهراً قال: هذا ربي، يستحق العبادة دونَ غيره، لكن القمر أفال وغاب، فغير أسلوبه وانتقل لأسلوب آخر بأن هذا الإله لئن لم يهدني لأكون ضالاً.

بعدها طلعت الشمس فزعم أنها هي التي تستحق العبادة لكبرها وكمال نورها، لكنها غابت ! وبعد تلك المجاراة أعلن -عليه السلام- أنه بريء من الشرك لأن الله هداه للتوحيد هداه للفطرة مائلاً إلى الحق غير مشرك .

التفت القوم إليه يريدون تحذيره، أو ثنيه، لكنه ثبت و أخبرهم بأن الوجه توجه لله والهداية أتت من عندالله فلا ينصرف عنه، ثم انتقل -عليه السلام- إلى دعوتهم وتحذيرهم بأن عاقبة شركهم لا تأتي لهم بالأمن فأنتم يجب أن تحذروا من غبة أفعالكم .

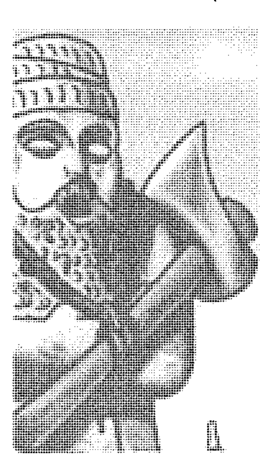


أعلن وصرح -عليه السلام- بأن الأمن لا يتحقق إلا بالتوحيد، فعنده علم بذلك ، ليس عندكم علم، فمن آمن استحق الهداية، وقرب من الله عز وجل.

لقد كان أبا الحنيفية وخليل الله ينتقل بدعوته من قوم إلى آخرين، فقد انتقل إلى أرض بابل وكان قومها يعبدون الأصنام، ولهم أعياد و أماكن يجتمعون فيها لمناسبات وثنية، وأعياد دينية جاهلية شركية.

كان يحاور أهل تلك الأوثان ومنوعاً الأسلوب فمن تلطف في العبارة إلى شدة وزجر إلى محاورة عقلية بعيدة عن العاطفة، وكان من أكثر الأنبياء محاورة، لعل ذلك يجد شيئاً.

لكن لا فائدة فأعمل الحيلة، بأن إستغل ذهابهم لعيدهم فاعتذر عن الذهاب، ثم مال على أصنامهم وسار إليها سيراً مسرعاً، بعد أن ذهب عنها سادنوها، فخاطبها، لكنه لم يجد منها إجابة!.



فعندها أعمل فيها معوله وحطمها بفأسه فأضحت جذاذاً حطاماً صخوراً مكسرة. ثم وضع فأسه معلقةً على كبير الأصنام، لحكمةٍ في زيادة التبكيت على القوم.

ولما رجع القوم وجدوا الأصنام قد حُطمت، والآلهة قد حُقِّرت، اندهشوا من الذي تجرءا عليها، إنه إبراهيم.

كان قرارهم بأن يجمعوا الناس ويحاوره أمامهم -وكان ذاك ما يريده -عليه السلام- بأن تقام الحجة على الجميع- وقد كان مؤيداً من قبل الله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية ٨٣.

بدأت المحاورة

أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا أبرهيم؟

بل الفاعل أكبر صنم فيهم انظروا فالفأس معلق عليه.

فهو صاحب الفعلة ومدّبر الجريمة...

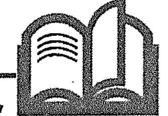
لقد غار أن تُعبد آلهة معه لذلك كسرها وحطمها، واستفرد بالأمر له ..

عندها وقع القوم في حيرة، وهل الصنم يُسأل؟

عندها قال -عليه السلام- : إذا كان لا يُسأل فلماذا يُدعى ويطلب منه النفع والضر.

لقد انتكست فطرتهم، وغابت حُجتهم، و ابرهيم واقفاً أماهم محاوراً بلغة الواثق غير منقطع.

صدر خطابة - عليه السلام-، بعدها بالتسفيه لهم على رؤوس الأشهاد﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة الأنبياء الآية ٦٦.



وزاد فقال: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ سورة الصافات الآية ٩٥-٩٦.فلا هي تنفع ولا هي تدافع عنهم، فيا للعجب أي سفه تحمل هذه العقول في طيّاتها!، ثم وبّخهم على مسمع من الناس أجمعين قائلا: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء الآية ٦٧.

لكن الانتكاس كانت لهم حاضراً فاستبدت لغة القوة بعد أن انقطعت لغة الحجة، حرّقوه بلغة غليظة تُبين مدى الحقد الذي في قلوبهم، وانتقموا لآلهتكم إذا أردتم برّها.

جمع القوم الحطب أرادوا الانتصار والغلبة، عندها قال -عليه السلام-: حسبنا الله ونعم الوكيل، فجرت رياح التغيير ضدهم، عندها سكنت النار وانطفأت فخرج ابرهيم -عليه السلام- منها يمشي ما به من قلبة أرادوا الكيد فخسروا ولانتصار فما ربحوا، آية ظاهرة لكل من له عينين.

لذا تجدهم يتحسسون مواطن الإبداع فهم دائماً يحسنون أجود القرارات وأنفعها بعد أن سبر أغواره ودرس أبعاده، فليس هو ممن يُلقي الفعل جزافاً، ولا يتعجل في اتخاذه، بل يدرك أفضل الأمور وأولاها لأن يفعله، وكيف يجتنبه، لقد كان كمال أتاتورك مغرماً بالغرب مندفعاً، لأن يصل بالأتراك إلى مصاف الدول المتقدمة، من تقدم ومدنية، فأخذ الشكل الظاهر منهم وترك الفعل الموصل للتقدم فتأخرت دولته، و تكاثرت عليها الديون، وأرهقتها المحن.

○ ذكر ابن الجوزي في أخبار الأذكياء قصة الطبيب الذي تتبع مريضاً رآه بعد أيام من الكشف عليه وليس به شيء، وقد كان قدر أنَّ مثله لا يعيش أكثر من أيام، فسأله: ألم تأني قبل أيام، وقد قررت لك أن مرضك لا يدعك تعيش أكثر من أيام؟

فقال: نعم، ولكني عندما خرجت من عندك رأيت تاجراً يبيع جراداً، فاشتهيته فقلت مادام أنه لم يبقى لي إلا أيام لعلي أستمتع بهذا الجراد فذهبت به إلى البيت فأصلحوه، ثم أكلته وبعدها شعرت بتحسن.

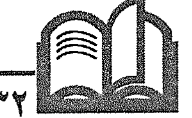
فقال: الطبيب عجباً!

من أين اشتريت الجراد؟ فقال: من فلان بائع الجراد.

فذهب الطبيب إليه، فطلب منه أن يريه من أين أحضر الجراد، فأخبره أنه قد جمعه من المكان الفلاني -وكانت فيه عشبة سامة قد تغذى عليه الجراد- فنظر الطبيب فإذا جسم الجراد قد عالج تلك الأكلة، ثم بعد الطبخ قد أكمل على الباقي، فأصاب موقعاً في جسم المريض فأزاله بحمد الله. أ هـ

إن القضية هل كيفية الوصول إلى السر، ومصدر ومكمن الأثر وسبره بعد طول تفكير.

وجاء في كتاب الأمثال يقال للحكيم إنه لنقاب -وهو الفطن الذكي الفهم- قال أوس بن حجر يمدح أحد الحكماء



كـــريمٌ جـــوادٌ أخـــو مـــأقـــط

نـقـــابٌ يُـحـــدثُ بـالـغـائـب

○ولما سُئل بعض الحكماء العرب عن العقل فقال: الإصابة بالظنون، ومعرفة مالم يكن كيف يكون.

○ اعترض أبو العلاء ببيتين مشهورين على دية اليد، فقال:

يد بخمس مئ من عسجد وديت

ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض مالنا إلا السكوت له

وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجابه القاضي المالكي بقوله:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها

صيانة المال فافهم حكمة الباري

قال بعض الفضلاء: لما كانت أمينةً كانت ثمينة، فلما خانت هانت.

○ أراد الخليلي المبتدع مناظرة ابن باز رحمه الله فقد أتى مكة، والتقى بالشيخ ابن باز -رحمه الله-، وناصحه الشيخ ابن باز فرفض كلامه، وافق ابن باز -رحمه الله- لكن الخليلي اشترط شروطاً، أن تكون المناظرة في الحرم المكيّ، بين الركن والمقام، أن تنقل عبر الشاشات للعالم. لكن الشيخ ابن باز رفض ذلك. (أراد الخليلي نشر بدعته، لكن الله أخزاه).

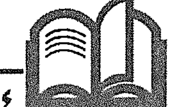
○يقول الشاعر (وليام ماثيوس): (إن موهبة واحدة مصقولة جيدا تساوي ١٠٠ موهبة ضحلة وسطحية).

وبالتالي فعلى القائد أن يعمل على صقل مواهبه بالتركيز على الأهم منها، والبدء بتعلم مهارة التركيز؛ لأن التركيز لا يأتي تلقائيا.

خالد بن الوليد يفك الطوق:

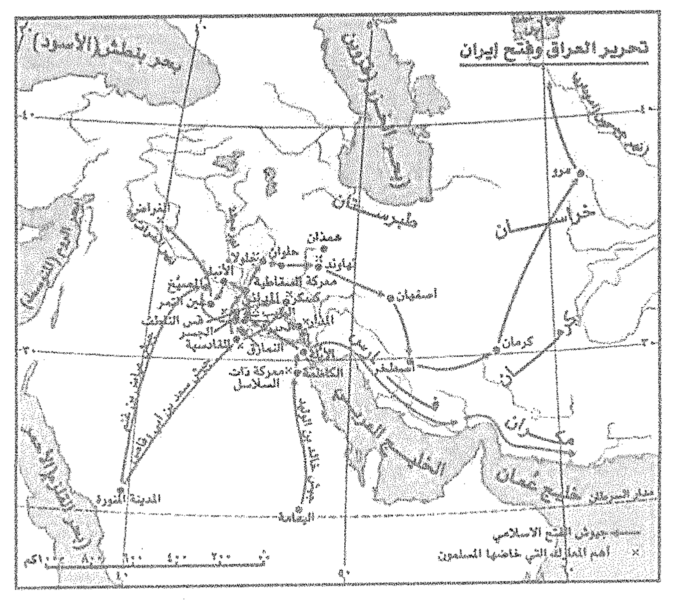
كان خالد –رضي الله عنه– في المعارك كأنما ينظر لنتائجها من وراء غشاء رقيق، فقد كان مُلهماً في تصرفاته، حتى إنك لتعجب من حُسن اتخاذ الموقف حتى في أصعب ظروفه، لقد سحب جيش قوامه ثلاثة الآلف من مقابل مائتان ألف من الروم، ولم يجرؤا على الملاحقة خوفاً من الكمين، أخبر النبي ﷺ أصحابه بخبر معركة مؤتة، وأشاد بسيف الله.

كان رضي الله عنه متوجها لقتال الفرس في طريقه لمدينة (الأبلة)، وكانت ذات أهمية استراتيجية كبيرة، حيث أنها ميناء (الفرس) الوحيد على الخليج العربي، ومنها تأتى كل الإمدادات للحاميات الفارسية المنتشرة بالعراق، وكانت هذه المدينة تحت قيادة أمير فارسي كبير الرتبة اسمه (هرمز) وكان رجلاً شريراً متكبراً، شديد البغض للإسلام والمسلمين، وللجنس العربي بأسره، وصل خالد بالجيوش الإسلامية هناك، وكان تعداد هذه الجيوش قد بلغ ثمانية عشر ألفاً –بعد أن طلب –الإمدادات من الخليفة، أرسل برسالة للقائد (هرمز) تبين حقيقة الجهاد الإسلامي، وفيها أصدق وصف لجند الإسلام، حيث جاء في الرسالة:



(أما بعد فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة).

لكنَّ (هرمز) رفض الرسالة الإسلامية التي تدعوه إلى الإسلام أو الجزية، راسل هرمز كسرى لطلب الإمداد وبالفعل أمده كسرى بإمدادات كبيرة جداً، ويجتمع عند (هرمز) جيش جرار عظيم التسليح، ويبنى (هرمز) خطته على الهجوم على مدينة (كاظمة) ظناً منه أن المسلمين سوف يعسكرون هناك، ولكنه يصطدم أمام العقلية العسكرية الفذة للقائد (خالد بن الوليد).

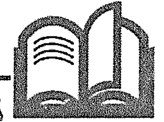


لكنَّ خالد استنزف الجيش الفارسي، فقام خالد وجيشه بالتوجه إلى منطقة (الحفير)، وأقبل (هرمز) إلى (كاظمة) فوجدها خالية وأخبره الجواسيس أن المسلمين قد توجهوا إلى (الحفير)، فتوجه (هرمز) بسرعة كبيرة جداً إلى (الحفير) حتى يسبق المسلمين، وبالفعل وصل هناك قبل المسلمين، وقام بالاستعداد للقتال، وحفر خنادق، وعبأ جيشه، ولكن خالد يقرر تغير مسار جيشه ويكر راجعاً إلى مدينة (الكاظمة)، ويعسكر هناك ويستريح الجند قبل القتال.

وصلت الأخبار إلى هرمز فاستشاط غضباً، وتتوتر أعصابه جداً، وتحرك بجيوشه المرهقة المتعبة إلى مدينة (الكاظمة) ليستعد للصدام مع المسلمين، فاستطاع (هرمز) أن يسيطر على منابع الماء بأن جعل نهر الفرات وراء ظهره، حتى يمنع المسلمين منه، ولكن الأمر غير ما خطط له هرمز، فقد كان سبباً لاشتعال حمية المسلمين وحماستهم ضد الكفار، وقال خالد بن الوليد كلمته الشهيرة تحفيزاً بها الجند: (ألا انزلوا وحطوا رحالكم، فلعمر الله ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين).

دارت رحى المعركة، لكن النصر كان للمسلمين ولله الحمد.

بعدها توجه خالد -رضي الله عنه- إلى العراق، واستطاع أن يحقق عددًا من الانتصارات على الفرس في (الأُبُلَّة) و(المذار) و(الولجة) و(أُلَّيْس)، وواصل خالد تقدمه نحو (الحيرة) ففتحها



بعد أن صالحه أهلها على الجزية، واستمر خالد بن الوليد في تقدمه وفتوحاته حتى فتح جانبًا كبيراً من العراق، ثم اتجه إلى (الأنبار) ليفتحها، ولكن أهلها تحصنوا بها، وكان حولها خندق عظيم يصعب اجتيازه، ولكن خالدًا لم تعجزه الحيلة، فأمر جنوده برمي الجنود المتحصنين بالسهام في عيونهم، حتى أصابوا نحو ألف عين منهم، ثم عمد إلى الإبل الضعاف والهزيلة، فنحرها وألقى بها في أضيق جانب من الخندق، حتى صنع جسراً استطاع العبور عليه هو وفرسان المسلمين تحت وابل من السهام أطلقه رماته لحمايتهم من الأعداء المتربصين بهم من فوق أسوار الحصن العالية المنيعة. فلما رأى قائد الفرس ما صنع خالد بن الوليد-رضي الله عنه- وجنوده، طلب الصلح، وأصبحت الأنبار في قبضة المسلمين.

المحاور بحكمة:

يعتبر فرعون رأس الفساد ووجه التكبر وعنوان للاستبداد، وحلقة من حلقات العتو والتجبُر، لقد علا في الأرض،واستضعف الناس، مابين قتل، وأسر، و اغتصب للنساء، إنه الطغيان، الذي علا به فاحتقر،واستخف من حوله، وكذّب،وادعى الإلوهية، بل عزم على قتل موسى عليه السلام.

بعد أن جادله موسى وبينً له الآيات،وأنها من الله، شرق بالحق، واستعان بقومه، قائلاً: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ ﴾ سورة غافر الآية ٢٦.

كان هذا الخطاب محل إجلال ومحط إعجاب لزبانيته، وجُلاسه، لكنَّ هناك رجل منهم قد وفقه الله للحكمة، مؤمن كاتم للإيمان عنده حكمة عندما أخفى الإيمان لكي ينصح ويُشير -وكتمان الإيمان ليس عيبا إذا كان لمصلحة- ومن هنا أظهره عندما كان الإظهار هو اللازم والواجب ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ سورة غافر الآية ٢٨.

حاورهم بحكمة فقال: لماذا تقتلون هذا الرجل لأنه يقول بالفطرة؟! ربي الله ولم يلزمكم بذلك.

فهل نستطيع مقاومته؟!

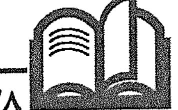
وهل استطعنا رد الآيات والمعجزات التي أتى بها؟!

و لو كن موسى كاذباً فإنه سينفضح وسيسقط، فلا تتعبوا أنفسكم، وإنَّ كان صادق فلن نستطيع مقاومته أبداً مهما كنَّا أقويا لأنه يلتجئ إلى من أرسله، وهو الله فمن يقاوم.

ولو آمنا فإن ما يعِدُ به موسى من الخيرات والأمن والفوز الأخروي سينالنا.

ثم لو عصينا ونزل بأس الله فهل نستطيع مقاومته؟! حتى ولو كُنَّا ملوكاً ظاهرين!

(إنه وعظ من جهة شهواتهم، وتحذير من زوال ترفهم، ونصيحة لهم في أمر دنياهم). كما قال ابن عطية رحمه الله.



ثم ذكرهم فقال: لقد أتى هذا البأس على أقوم قد سبقونا مثل نوح و عاد وثمود لقد كذبوا رسلهم فأهلكهم الله، فأخاف أن يأتينا مثلهم.

جعل الأمر مشترك بينه وبينهم وهذا من حُسن دعوته كما قال السعدي، ولم يوجه الخطاب لفرعون لأن المقام لا يناسب ذلك.

كان هذا التدرج المنطقي وتبيين الحكمة من هذا المؤمنَّ مصدر إغاظة لفرعون، خشي فرعون من هذا النور وتلك الحجة والبيان الذي يقنع العقل، و يستميل النفس، فسفه الأراء وحكَّم رأيه لأنه هو الصواب بزعمه، ثم أشغلهم بشيء محسوس بأن يبنى له برج أو منارة لكي يصعد عليها ليطلع على إله موسى هل يراه؟!

إنه لا يراه فهو ليس موجوداً !

لكنَّ فرعون كان كاذباً متحرياً للكذب، فأُعجب برأيه وأيَّده الفُساق ممن حوله خفيفِي الرأي البعيدين عن الحكمة وباركوا له هذا الرأي.

لكنَّ ذلك المؤمن لم ييأس، بل عاد لهم بأسلوب آخر من المحاورة، لقد بينَّ أن الحق معه، وأنَّ حياتهم حقيرة ومتاعها يسير، أمام الأخرة التي فيها الخلود الأبدي.

فمن أتى بالسيئة فإنه يجازى بها ومن جاء بالحسنة والصلاح فله جنة، يعطيها الله إياه بغير حساب، لماذا تصرون على الباطل؟! لماذا لا تستجيبون لله فهو من ينجيكم؟!

أنا أدعوكم لله والنجاة، وأنتم تصرون على الباطل وطريق النار.

أنا أدعوكم التوحيد وأنتم تدعون للإشراك بالله؟

أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار وأنتم تدعونني إلى تركه.؟!

ما تدعونني إليه ليس له مستند لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنَّ مقر أصحاب الشرك يوم القيامة النار.

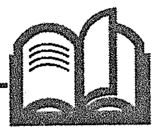
لقد بينَّ لهم هذا المؤمن بأسلوب فيه منطق قسا فيه لأنَّ المقام يحتاجها، وأدخل في محاورته أساليب أخرى علها أن تنفع.

لكنه قوبل بالتكذيب، و التحيز، عندها أعلن أن ما قاله حق ستتذكروه وترك أمر لله وفوضه عز وجل.

فنزل بهم البأس ونجا الناصح مع موسى عليه السلام وقومه.

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ﴾ سورة غافر الآية ٤٥.





سادسا

الدقة

عندما يتقدم الحكيم في أمر أو يعوزه قيادة، فإن من أهم الأمور عنده، أن يكون دقيقاً في تصرفاته، واختياراته، حتى ألفاظه يجب أن تكون دقيقة متوازنة، أرأيت فعل الرسول الكريم كيف استطاع قيادة أمته من غير أن تحفظ له زلة أو يتلبس بخطيئة مقصودة.

○ كان حُسن اختيار صلاح الدين موقعه في معركة حطين أثر في الانتصار على الصليبين وذلك أنه عسكر غرب بحيرة طبرية بجيش عدده ٢٥ ألف مقاتل، فجعل البحيرة خلفه ودمر الصهاريج التي بينه وبين الصليبين فكان يشُن عليهم الهجمات ليستدرجهم إلى وادي حطين وكان يبعد عنهم ١٦ ميل، وقد تم له ما أراد فلما وصل جيشهم إلى حطين كانوا في غاية التعب والعطش، وقد كان الجو حاراً فلم يواجههم حتى طلعت الشمس وارتفعت وأصبحت على وجوههم، وهي خلف جيش صلاح الدين. وكان من الطبيعي أن يرتبك جيش الصليبيين ويختلط أمرهم،

وانتظم جيش صلاح الدين، فسار للمواجهة فكان له الانتصار في تلك المعركة بعد توفيق الله وحُسن التدبير. حتى قال: أحدهم ليس بعد انتصارات الصحابة في الشام ما مر على الصليبيين مثل حطين.

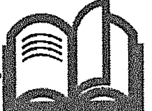
○ وصية أبي تمام للبحتري: قال أبا تمام له: (تخير الأوقات وأنت قليل الهم صِفر من الغموم، وأعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر وقد أخذت النفس حظها من الراحة وقسطها من النوم).

○ كان قلم ابن المقفع يقف كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: (إن الكلام يزدحم في صدري، فيقف قلمي ليتخير).

○ قيل لبشار بن بُرد: بما فقت أهل عمرك، وسبق أهل عصر في حُسن المعاني، وتهذيب ألفاظه؟

فقال: (لأني لم أقل كل ما توارد على قريحتي ويناجي به طبعي، ويبعث به فكري،ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيد، وغريزة قوية فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقيقتها، واحترزت من متكلفها، ولا والله ما أملك قِيادى قطَ الإعجاب بشيء مما آتي به).

○ قال ابن رشيق في عمدة الشعر: (والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد محابهم،



ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره، ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه: (لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك) وقال كلاما نحو هذا، فقال الملك: إن الموت حق، وإن لنا منه نصيباً، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها، وينغص لذتها، فلا تأتنا بشيء مما نكره ذكره).

○ قال ابن عباس: العلم أكثر من أن يحصى فخذو أرواحه، ودعوا طرفه.

○ دخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده: أتصحو أم فؤادك غير صاح...، فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا بن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه. ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئاً، وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً: كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً... وحسب المنايا أن يكن أمانيا... فالعيب من باب التأدب للملوك، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء، لا سيما وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي الطيب، وأشرف مآثر شعره إذا ذكر الشعر. ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً من شعره، فأنشده قصيدته: ما بال عينك منها الماء ينسكب... وكانت بعين عبد الملك ريشة وهي تدمع أبداً، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟!! فمقته وأمر بإخراجه. وكذلك فعل ابنه

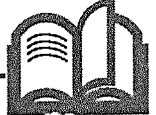
هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة: والشمس قد كادت ولما تفعل... كأنها في الأفق عين الأحول... وكان هشام أحول، فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته، يسمر عنده، ويمازحه.قد تكون من أصعب مهام الحكيم الالتزام بهاتين الصفتين، وذلك بأن يكون دقيقاً في كلامه منصفاً مع نفسه وصديقه وخصمه على حد سواء.

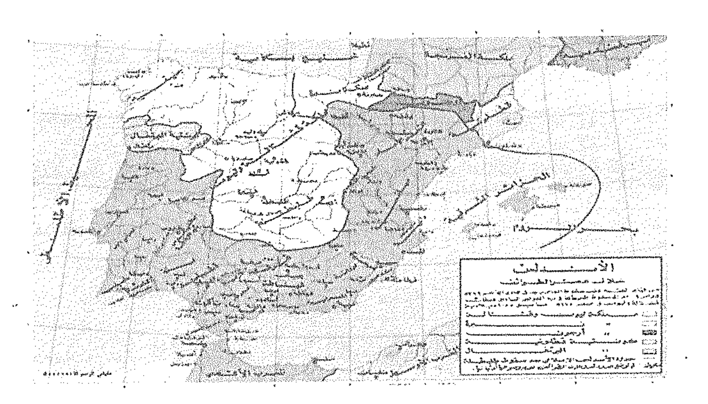
○قال ابن القيم: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم.فهم الواقع والفقه فيه،وفهم الواجب في الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر).

معركة الزلاقة:

كانت في الأندلس في القرن الخامس فقد كان يحكم أشبيليا وما حولها، وكان بينه وبين ملوك الطوائف نزاعات، وقد انقسمت دولة الأندلس إلى دويلات وأقاليم صغيرة، وانفرد كل حاكم بإقليم منها، فيما عرف بعد ذلك بعصر ملوك الطوائف، وانشغل الحكام بعضهم ببعض، واشتعلت بينهم النزاعات والخلافات، مما أغرى بهم عدوّهم من الأسبان النصارى الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر.

وفي الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف منقسمون على أنفسهم، يتآمر كل واحد منهم ضد الآخر، ويستعين بالنصارى ضد إخوانه من أجل الحفاظ على ملكه وسلطانه، كان النصارى قد بدؤوا في توحيد صفوفهم والاجتماع على كلمة سواء.

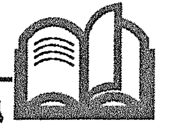




وأكثر شيء يقلق المعتمد وملوك الطوائف هو التمدد الصليبي القادم من الشمال لجزيرة الأندلس فقد استولى ألفونسوا السادس على طليطلة، فسالمها ملوك الطوائف بالجزية لكنه طمع بعد أن أصبح مجاوراً لمملكة (إشبيلة) التي كان يحكمها المعتمد بن عباد، فبالغ في إذلاله وإهانته، حتى إنه أرسل إليه يهودياً ليأخذ منه الجزية، فرفض تسلُّمها بحجة أنها من عيار ناقص، وهدَّد بأنه إذا لم يقدم له المال من عيار حسن فسوف تُحتل مدائن (إشبيلية)، فضاق المعتمد ذرعاً باليهودي وأمر بصلبه وسجن أصحابه، وبلغ الخبر ألفونسو فازداد حنقاً وغيظاً على المعتمد، وبعث جنوده للانتقام والقيام بعمليات السلب والنهب، وأغار هو على حدود (إشبيلية) وحاصرها ثلاثة أيام ثم تركها، وفي أثناء ذلك أرسل له رسالة يتهكم فيها ويقول فيها: (كَثُرَ -بطول مقامي- في مجلسي الذباب، واشتدَّ عليّ الحرّ، فأتْحِفْني من قصرك بمروحة أُروِّح بها عن نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي).

فأخذ المعتمد الرسالة وكتب على ظهرها: (قرأت كتابك، وفهمت خُيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوِح من الجلود اللمطية تُروِّح منك لا تروح عليك إن شاء الله تعالى) فارتاع لذلك وفهم مقصود الرسالة.

وكان المعتمد قد عزم على الاستعانة بدولة المرابطين وأميرها يوسف بن تاشفين لمواجهة ألفونسو، فاجتمع بأمراء الطوائف وعرض عليهم الأمر، ولكنهم أبدوا تخوفهم من أن يسيطر ابن تاشفين على بلاده وينفرد بالسلطان دونه، فقالوا له: (المُلْك عقيم، والسيفان لا يجتمعان في غِمْد واحد)، وقال له ولده: (يا أبت أتُدخِل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا، ويبدّد شملنا)، فقال المعتمد: وأستمع لحكمته ودقته: (أي بني والله لا يُسمع عني أبدًا أني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم اللعنة عليّ في الإسلام مثلما قامت على غيري)، وقال: (يا قوم إني من أمري على حالتين: حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من إحداهما، أما حالة الشك: فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش فيمكن أن يفي لي ويبقى على وفائه، ويمكن ألا يفعل، فهذه حالة شك، وأما حالة اليقين: فإني إن استندت إلى ابن تاشفين فأنا أرضي الله، وإن استندت إلى الأذفونش أسخطت الله تعالى، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه؟!



ثم قال كلمته المشهورة التي سجلها التاريخ: (رعي الجمال عندي-والله- خير من رعي الخنازير).

راسل المعتمد القائد يوسف بن تاشفين الموجود في شمال أفريقيا، وكان ابن تاشفين قائد محنك وقوي وعمره ثمانون سنة، من الدولة المرابطية الفتية التي قامت على أسس الجهاد.

فأجاب ابن تاشفين النداء وقال: (أنا أول منتدِب لنصرة هذا الدين)، وعبر البحر في جيش عظيم، وقد رتب له المعتمد الطريق وجهز له المؤن، ولما علم ألفونسو بتحرك ابن تاشفين كتب إليه يهدّده ويتوعّده، فرد عليه ابن تاشفين بقوله: (الذي يكون ستراه) فلما عاد الكتاب إلى ألفونسو ارتاع لكلامه، فزاد استعداداً وتأهّباً، واستنفر الصغير والكبير للقتال، ولم يدع أحداً في أقاصي مملكته يقدر على القتال إلا استنهضه، وتجمع النصارى من شمالي إسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، معهم القسس والرهبان يحرضونهم على القتال. فجمعوا عددًا ضخمًا من المقاتلين، بلغ في بعض التقديرات أكثر من ثلاثمائة ألف مقاتل.

ولما رأى جيشه قال: بهذا الجيش أقاتل الجنَّ والإنس، وأقاتل ملائكة السماء. فهو يعرف تمامًا أنها حرب صليبية ضد الإسلام.

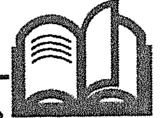
وبعد أن دخل يوسف بن تاشفين والمرابطون أرض الأندلس، توجه إلى إشبيلية والناس يستقبلونه استقبال الفاتحين،

واجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضًا، وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير، وقصده المطوِّعة من سائر بلاد الأندلس، وبدأ يلحق بركب يوسف بن تاشفين المجاهدون المتطوعة من قرطبة وإشبيلية وبطليوس، وهكذا حتى وصل الجيش إلى الزلاقة في شمال البلاد الإسلامية، وعدده يربو على الثلاثين ألف رجل.

تحرَّك الثلاثون ألف رجل بقيادة يوسف بن تاشفين ليصلوا إلى الزلاقة، وهو ذلك المكان الذي دارت فيه موقعة هي من أشهر المواقع الإسلامية في التاريخ.

أرسل يوسف بن تاشفين برسالة إلى ألفونسو السادس يقول له فيها: (بلغنا يا أذفونش أنك دعوت إلى الاجتماع بنا، وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر بها البحر إلينا، فقد عبرنا إليك، وقد جمع الله تعالى في هذه الساحة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ سورة الرعد الآية ١٤ وخيَّره يوسف بن تاشفين بين الإسلام والجزية والحرب.

تَسَلَّم ألفونسو السادس الرسالة وما أن قرأها حتى استشاط غضبًا وجاش بحر غيظه، وزاد في طغيانه وكفره، وقال: (أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني، وأنا وأبي نغرم الجزية لأهل مِلَّته منذ ثمانين سنة؟!) ثم أرسل ليوسف بن تاشفين متوعِّدًا ومُهَدِّدًا: فإني اخترت الحرب، فما ردُّك على ذلك؟



وعلى الفور أخذ يوسف بن تاشفين الرسالة، وقلبها وكتب على ظهرها: (الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأُذنك، والسلام على مَنِ اتّبع الهدى. فلما وقف ألفونسو على هذا الجواب ارتاع له، وعلم أنه بُلي برجل لا طاقة له به.

وفي محاولة ماكرة لخديعة المسلمين أرسل ألفونسو السادس يُحَدّدُ يوم المعركة، فأرسل أن: غدًا الجمعة، ولا نُحِبُّ مقاتلتكم فيه؛ لأنه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود، وهم كثيرون في محلّتنا، ونحن نفتقر إليهم، وبعده الأحد عيدنا، فلنحترم هذه الأعياد، ويكون اللقاء يوم الاثنين، تَسَلّم يوسف بن تاشفين الرسالة، وكاد ينخدع بها لأنه كان يعتقد أن الملوك لا تغدر ولقد كانت هذه أولى جولاته مع النصارى، إلاّ أن المعتمد بن عباد فهم الخديعة ونبّه يوسف بن تاشفين إلى ما قد يكون فيها من الغدر.

بحذر تامّ لم يلتفت يوسف بن تاشفين إلى ما جاء في رسالة ألفونسو السادس، وقام بتعبئة الجيش وتجهيزه يوم الخميس، ووضعه على أتمّ الاستعداد.

إنها لحظة لم يتذوّقها الأندلسيون منذ سنوات في أرض الأندلس، يقوم جيش مسلم ويستعد لحرب النصارى من بعد سنوات الذل والهزيمة والجزية، ولا شكّ أنها لحظات تتلقاها قلوب المؤمنين باشتياق، كاشتياقها إلى الشهادة، ويأمر يوسف بن تاشفين بقراءة سورة الأنفال، ويأمر الخطباء بتحفيز الناس على الجهاد،

ويمرُّ هو بنفسه -رحمه الله- على الفصائل ينادي ويقول: (طوبى لمن أحرز الشهادة، ومَنْ بقي فله الأجر والغنيمة).

جاء في الروض المعطار: ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما، وقام الفقهاء والعُبَّاد يعظون الناس ويحضُّونهم على الصبر، ويُحَذِّرُونهم الفرار

كان المعتمد بن عباد يراقب -فيما يراقب- معسكر المرابطين أيضًا خوفًا عليهم من مكائد ابن فرذلند؛ إذ هم غرباء لا عِلْمَ لهم بالبلاد، وجعل يتولَّى ذلك بنفسه.

وبعد ترتيب الجيش وصلاة فجر يوم الجمعة الموافق ١٢ من شهر رجب ٤٧٩هـ، نقض ألفونسو السادس عهده، وبدأ بالهجوم في ذلك اليوم؛ إذ الغدر والخيانة ومخالفة العهود هو الأصل عندهم.

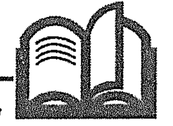
كان الجيش الإسلامي قد انقسم إلى ثلاث فرق رئيسة:

الأولى: فرقة الأندلسيين:

وتضم الجيش الأندلسي وعلى رأسه المعتمد بن عباد ومعه ملوك الأندلس؛، وقد اختار المعتمد أن يكون في المقدمة وأول مَنْ يصادم الجيش الصليبي.

الثانية: فرقة من جيش المرابطين:

وعلى رأسهم البطل المرابطي الكبير داود ابن عائشة، وكانت هذه الفرقة خلف الجيش الأندلسي.



الثالثة: جيش المرابطين الرئيسي:

بقيادة يوسف بن تاشفين يختفي خلف أحد التلال على مسافة من الجيش، بحيث لا يُرى هذا الجيش، فيُظَنُّ أن كل جيش المسلمين هو الفرقتان الأوليان: جيش الأندلسيين وجيش المرابطين الذي يقوده داود ابن عائشة.

لقد أراد يوسف بن تاشفين من وراء ذلك أن تحتدم الموقعة فتُنْهك قوى الطرفين حتى لا يستطيعا القتال، فيقوم هو ويتدخَّل بجيشه ليَعدل الكِفَّة لصالح صفٍّ المسلمين.

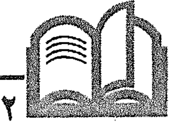
(والحرب خدعة والحكيم يعرف متى يتدخل).

هجم ألفونسو السادس بجيشه الضخم على الجيش الأول للمسلمين (الجيش الأندلسي)، مال ألفونسو السادس على المعتمد بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فاستحر القتل فيهم، وصبر ابن عباد -وجيشه الأندلسي- صبرًا لم يُعهد مثله لأحد، واستبطأ يوسف وهو يلاحظ طريقه، وعَضَّته الحرب، واشتدَّ البلاء، وأبطأ عليه الصحراويون، وساءت ظنون أصحابه، وانكشف بعضهم وفيهم ابنه عبد الله، وأُثْخِنَ ابن عباد جراحات وضُرِبَ على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه، وجرحت يمنى يديه، وطُعن في أحد جانبيه، وعُقرت تحته ثلاثة أفراس، كلما هلك واحد قُدِّمَ له آخر، وهو يقاسي حياض الموت يضرب يمينًا وشمالاً، ثم ما هو إلا أن انضم إليه القسم الأول من جيش المرابطين وقائده داود ابن عائشة،

وكان بطلاً شهمًا فنَفَّس بمجيئه عن ابن عباد.إلا أن ألفونسو كان قد قسَّم هو الآخر جيشه إلى قسمين، فانهال بالقسم الآخر على جيش المرابطين الذي يقوده داود ابن عائشة بأعداد ضخمة، فاقتتلوا قتالاً عظيمًا، وصبر المرابطون صبرًا جميلاً، وداسهم اللعين بكثر جنوده حتى كاد يستأصلهم، وكانت بينهم مضاربة تفلّلت فيها السيوف، وتكسَّرت الرماح، وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رذمير نحو ملحة (لعله يقصد محلة) ابن عباد، فداسوها، واستمرَّت الهزيمة على رؤساء الأندلس إلى جهة بطليوس، ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه، فإنهم ثبتوا في ناحية يُقاتلون لم ينهزموا، وقاتلوا قتالاً شديدًا، وصبروا صبر الكرام لحرب اللئام..

بدا المعسكر الإسلامي مرة أخرى في حالة الهزيمة، بعدها تحرك الجيش المرابطي الرئيسي الذي يقوده ابن تاشفين، بعد أن كانت قد أُنهكت قوى الطرفين من المسلمين والنصارى -لاحظ دقته ومتى تدخل فبعد طول صبر نزل يوسف بن تاشفين بالقسم الرئيسي من جيش المرابطين الذين كانوا معه، وهم في كامل قوتهم، فحاضروا الجيش النصراني.

أرسل فرقة بقيادة سير ابن أبي بكر -ليساعد جيش المسلمين الذي يقوده داود ابن عائشة والمعتمد بن عباد، والقسم الثاني بقيادته هو ومعه يلتفُّ خلف جيش النصارى، ويقصد مباشرة



إلى معسكرهم، فأضرمها نارًا وأحرقها، وقتل مَنْ كان بها من الأبطال والرجال والفرسان، الذين تركهم ألفونسو بها يحرسونها ويحمونها، وفرَّ الباقون منهزمين نحو ألفونسو، فأقبلت عليهم خيله منْ محلته فارِّين، وأمير المسلمين يوسف فِي أثرهم بساقته وطبوله وبنوده، وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون في الكفرة سيوفهم، ويروونها من دمائهم، فقال ألفونسو السادس: ما هذا؟! فأخبر الخبر بحرق محلته ونهبها، وقتل حماتها، وسبي حريمها، فردَّ وجهه إلى قتاله، وصمم أمير المسلمين نحوه، فانتشبت الحروب بينهما، فكانت بينهما حروب عظيمة لم يُسمع قط بمثلها.

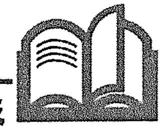
وحين علم النصارى أن المسلمين من ورائهم، وأنهم محاصَرونْ ارتاعت قلوبهم، وتجلجلت أفئدتهم، ورأوا النار تشتعل فِي محلتهم، وأتاهم الصريخ بهلاك أموالهم، وأخبيتهم، فسُقط فِي أيديهم، فثَنَوْا أعنَّتهم، ورجعوا قاصدين محلتهم، فالتحمت الفئتانْ، واختلطت الملتان، واشتدت الكَرَّات، وعظمت الهجمات، والحروب تدور على اللعين، وتطحن رءوس رجاله، ومشاهير أبطاله، وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله، وتداعى الأجناد والحشم والعبيد للنزال، والترجُّل عن ظهور الخيل، ودخول المعترك، فأمدَّ الله المسلمين بنصره، وقذف الرعب في قلوب المشركين.

وهكذا حوصر جيش النصارى بين الجيش الأندلسي منْ الأمام، وجيش المرابطين من الخلف، وبالفعل بدأ الاضطراب

والتراجع في صفوف النصارى، وقد التفَّ جنود النصارى حول ألفونسو السادس يحمونه، ثم حدثت خلخلة عظيمة في جيشهم.

فبادر إليه يوسف، وصدمهم بجمعه، فردَّهم إلى مركزهم، وانتظم به شمل ابن عباد، ووجد ريح الظفر، وتباشر بالنصر، ثم صدقوا جميعًا الحملة، فتزلزلت الأرض بحوافر خيولهم، وخاضت الخيل في الدماء، وصبر الفريقان صبرًا عظيمًا، ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف، وحمل معه حملة نزل معها النصر، وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين فصدقوا الحملة. كما قاله الحميري

تزداد شراسة الموقعة حتى قُبيل المغرب، ثم ومن بعيدٍ يُشير يوسف بن تاشفين إلى أربعة آلاف فارسٍ من رجال السودان المهرة، وهم حرسه الخاص فيترجلون عن خيولهم، ليقتحموا جيش النصارى. ولم تزل الكرَّات بين المحلات تتعاقب، والهجمات سجالاً تداول، والحرب تدور، وأَمَرَ الأميرُ يوسف العبيدَ فترجَّلوا عن الخيل في نحو ألف، ودخلوا المعرك بالمزارق (الرماح القصيرة الخفيفة) لعجز السلاح عن الخيل الدارعة، فأثرت فيها بالطعن، وجعلت ترمح بفرسانها، ولصق منهم بالأذفونش عبد قبض على عنانه، وضربه بخنجر. كما قال ابن الخطيب وبقي أثر الطعنة مع ألفونسو بقية عمره، فكان يعرج منها.



ثم لجأ ألفونسو إلى تل يحتمي به كان قريبًا من معسكره ومعه نحو الخمسمائة فارس كلهم مكلوم، وأباد القتل والأسر مَنْ عداهم من أصحابهم.

ولما جاء الليل تسلل وهو لا يلوي على شيء، وأصحابه يتساقطون في الطريق واحدًا بعد واحد من أثر جراحهم، فلم يدخل طُلَيْطلَة إلا في دون المائة،وبعض الروايات تقول بأن الذين نجوا أقل من الثلاثين، وغنم المسلمون كل ما لهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك، واستشهد من المسلمين فيها حوالي ثلاثة آلاف رجل.

فوائد:

١- كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس الإسلامي إذ أنها أوقفت زحف النصارى المطرد في أراضي ملوك الطوائف الإسلامية وقد أخرت سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس لمدة تزيد عن قرنين ونصف.

٢- سميت بهذا الاسم، نسبة لكثرة انزلاق المتحاربين على أرض المعركة بسبب كمية الدماء التي أريقت ذاك اليوم وملأت أرض المعركة. تسمى لدى المؤرخين الغربيين بنفس الاسم العربي لها.

٣-بعد هذه المعركة جمع المسلمون من الغنائم الكثير، لكن يوسف بن تاشفين وفي صورة مشرقة ومشرِّفة من صور الإخلاص والتجرُّد، وفي درس عملي بليغ لأهل الأندلس عامَّة،

ولأمرائهم خاصَّة يترك كل هذه الغنائم لأهل الأندلس، ويرجع في زُهدٍ عجيب وورع صادق إلى بلاد المغرب.

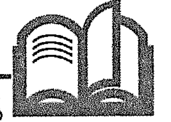
قال المقري في نفح الطيب: وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام؛ حتى جمعت الغنائم، واستُؤْذِن في ذلك السلطان يوسف، فعفَّ عنها، وآثر بها ملوك الأندلس، وعَرَّفهم أن مقصدَه الجهاد والأجر العظيم، وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم، فلمَّا رأتْ ملوك الأندلس إيثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه، وأحبُّوه وشكروا له ذلك.

عاد يوسف بن تاشفين -رحمه الله- إلى بلاد المغرب بعد أن جمع ملوك الأندلس وأَمَرَهم بالاتفاق، وإطراح التنابذ والتخاصم؛ حتى لا يُضيعوا بحماقاتهم ثمار هذا النصر، وعاد يوسف بن تاشفين البطل الإسلامي المغوار وعمره آنذاك تسع وسبعون سنة.

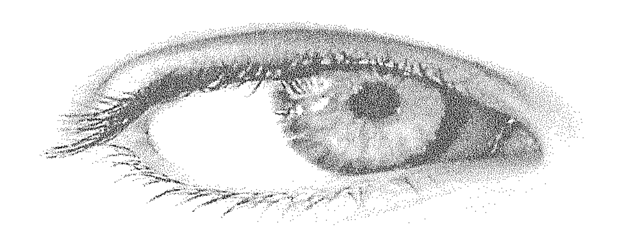
عاد ملوك الأندلس فيما بعد إلي التنازع، والتخاصم فظلت حكمتهم، وظهرت أطماعهم ثم سلبت منهم بلدهم.

دقة زرقاء اليمامة:

تحدث البعض عن زرقاء اليمامة، وانبهر الكثير من الكتاب، والمعاصرين بقوة بصرها، بل قد ضمنها الشعراء السابقين في قصائدهم، فمما قيل :أنها امـرأة نجدية من جديس من أهل اليمامة،و يقال انها كانت ترى الشخص على مسيرة ثلاثة أيام، فكان قومه يستعدون للعدو قبل أن يأتيهم، لكن قوماً قد قطعوا الأشجار واستتروا بها أتقاء لنظرها الحاد، أنذرت قومها



لكنهم لم يصدقوها، فوصل الأعـداء إلـى قومها أبادوهم وهدموا بنيانهم، وقلعوا عين زرقاء اليمامة فوجدوها محشوة بالإثمد (الكحل).



وجاءت في أمثال العرب الإشارة لزرقاء اليمامة فكان يقال: (أبصر من زرقاء).

لكن الأمر الأكثر غرابة هي أنها كانت دقيقة في حساباتها فكانت تعرف عدد الطير وهي مارة مسرعة على ديار قومها، فمما قيل أنها رأت مجموعة من الحمام يطير فقالت:

يا ليت ذا القطا لنا

ومثل نصفه معه

إلى قطاة أهلنا

إذا لنا قطا مائه

وكانت عدة الحمام الذي رأته ستاً وستين فتمنت، أن يكون لها هذا الحمام، ومثل نصفه وهو ثلاثة وثلاثون، ومجموع ذلك تسع وتسعون، فإذا ضم إلى حمامتها كان مائة.

حتى إن النابغة الذبياني قال في معلقته:

فاحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد

يحفه جانبا نيق وتتبعه
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد

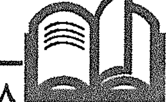
فحسبوه فألفوه كما ذكرت
تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مائة فيها حمامتها
وأسرعت حسبة في ذلك العدد

أصب في أمري كإصابتها في حدسها بالنظر الصحيح.

○إنَّ الدقة عند التجار وأصحاب الشركات لا بُد أن تكون حاضرة حتى يحقق صاحبها النجاح في عمله والمكاسب لشركته، لقد كان شركة (ساوث ويست أيرلاينز) تبدو اليوم هائلة القوة والنفوذ ويبدو أن كل شيء سر لصاحبها، إنها تسيطر على السوق في الخطوط التي تعمل فيها، وتحقق الشركة معدل نمو ثابت، وأسهمها تؤدي بشكل رائع.

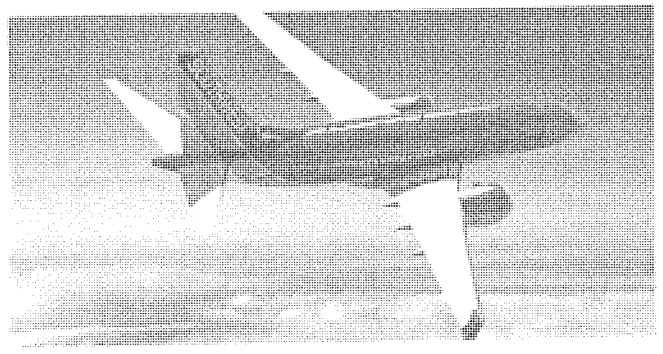
إنها شركة الطيران الأمريكية الوحيدة التي حققت أرباحاً في كل عام بلا استثناء منذ عام ١٩٧٣م ؛ بالرغم من أن شركات



طيران أخرى أفلست واختفت،وهي الشركة الطيران الأمريكية الوحيدة التي نمت وازدهرت في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر.

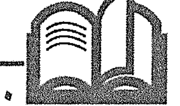
إن العاملين يحبون العمل في الشركة، ومعدل تغير العمالة منخفضة بشكل هائل، والشركة تمتلك قوة العمل الأكثر إنتاجية في صناعة الطيران؛ كما أن الشركة شهيرة جداً لدى العملاء؛ فهي تحصل باستمرار على تصنيفات فائقة في جودة خدمة العملاء. ولقد حافظت (ساوث ويست أيرلاينز) على أقل عدد من شكاوى العملاء في صناعة الطيران منذ عام ١٩٨٧م وحتى الآن.

وفي ضوء الوضع الحالي للشركة يمكن أن تعتقد أنها طالما كانت بهذه القوة. ولكن هذا ليس صحيحا، فالشركة تدين في الحقيقة لعزيمتها في المثابرة لتحقيق بقائها حتى اليوم. لقد تأسست شركة الطيران ١٩٦٧م على يد (رولين كينج) الذي كان صاحب شركة طيران صغيرة لنقل الركاب في تكساس؛ و(جون باكر) الذي كان مدير بنك، و(هيرب كليهر) الذي كان محامياً.



ولكن الأمر تطلب منهم أربع سنوات قبل أن تقلع أول طائرات الشركة في أول رحلة لها، وبمجرد أن حصلت الشركة على تصريح عمل، حاوت شركات برانيف، وترانس تكساس، وكونتنتال أيرلانز إخراجها من سوق العمل، وكانت أن تنجح في ذلك؛ وكانت هناك معارك قضائية تتبع بعضها بعضا، ورجل واحد دون غيره جعل المعركة معركته الخاصة؛ إنه (هيرب كليهر). فإنه عندما نفذ رأس المال الابتدائي وبدا أن الشركة هزمت، أراد مجلس الإدارة الاستسلام، ولكن (كليهر) قال: (دعونا نخوض معهم جولة أخرى، سأستمر في تمثيل الشركة أما المحاكم، وسأقوم بتأجيل أي رسوم قضائية وسأدفع التكاليف القضائية من مالي الخاص). وعندما وصلت القضية أخيرا إلى محكمة تكساس العليا، فاز أصاحب الشركة الثلاثة، وتمكنوا أخيرا من إطلاق طائراتهم في السماء.

بمجرد أن بدأ العمل قامت شركة ساوث ويست بتعيين القائد المخضرم في مجال الطيران (لامار موس) رئيسا تنفيذيا، فقاد هذا الأخير بدوره بتعيين أفضل التنفيذيين الذين وجدهم، وبينما كانت شركات الطيران الأخرى مستمرة في محاولة إخراج الشركة من سوق العمل، ظهر (كليهر) و(موس) يقاتلان في المحاكم وفي سوق العمل، وعندما واجهت الشركة متاعب في ملء الطائرات المتجهة إلى هيوستن والقادمة منها بالركاب، بدأت في التوجه نحو مطار هوبي أيربورت في هيوستن؛ وهو المطار الذي كان أكثر سهولة



بالنسبة للمسافرين بسبب قربه من وسط المدينة؛ وعندما تحولت جميع شركات الطيران الكبرى إلى مطار لاف فيلد الأكثر ملاءمة وعندما اضطرت الشركة لبيع إحدى طائراتها الأربع لكي تتمكن من البقاء، توصل التنفيذيون إلى وسيلة لجعل باقي الطائرات لا تقف على الأرض إلا لفترة قصيرة بصورة مدهشة لا تزيد عن عشر دقائق بين الرحلات. (لا حظ الدقة)

وبهذه الطريقة استطاع ساوث ويست الحافظ على خطوطها وعلى مواعيدها كما هي.

وعندما لم تتمكن الشركة من التوصل لطريقة أخرى لملء طائراتها بالمسافرين، ابتكرت أسلوب وقت الذروة وغير وقت الذروة في التسعير، مما أعطى مسافري وقت الفراغ خصماً هائلاً على تكلفة السفر.

لقد ظل (كليهر) يقاتل وتمكن من إبقاء شركة ساوث ويست وسط كل هذا، وفي عام ١٩٧٨ م وبعد سبع سنوات من مساعدته على إطلاق أسطول الطائرات الصغير الأول لشركة في السماء، أصبح (كليهر) رئيساً للشركة.

وفي عام ١٩٨٢ م أصبح الرئيس والرئيس التنفيذي. وهو اليوم رئيس مجلس إدارة الشركة.

ولا زال (كليهر) وزملاؤه مستمرين في القتال والعثور على طريق تحقق النصر للشركة.

يلخص (كولين باريت) رئيس شركة ساوث ويست الأمـر قائلا: (عقلية المحارب، ومعارك البقاء هي حقا ما صنع ثقافتنا).

إن الموهبة تعطي الأمل بتحقق الإنجاز ولكن المثابرة تضمن تحقق هذا الأمل، إن النحات المحترف يضرب الإزميل والنحات الهاوي يضرب الإزميل والنتيجة مختلفة؛ الوحيد الذي أثبت الفرق بينهما هو المثابرة؛ فالمثابرة ليست موهبة، ولا هي مسألة وقت، ولكنها تتعلق بإنهاء الأشياء وإكمالها.

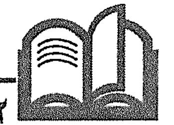
أسـلوب الحكيم:

يستخدم الأذكياء هذا الأسلوب في تحقيق أهداف مشروعة يريدون الوصول إليها وهو أن يتلقى المخاطب بغير ما يترقب وحمل كلامه على خلاف مراده.

فقد توجه إليه أسئلة محرجة أو لا يُريد الإجابة عنها أو من المصلحة ترك الإجابة عنها أو أن السائل يُريد استنقاصه ويلزمه بما ليس له لازم ويكون الجواب حاجزاً له عن الكذب كأن يسأله كم عدد أولادك؟ أو كم هو راتبك الشهري؟

فأسلوب الذكي يكون بأني أحبهم جميعاً و أعيش بهناء ورغد والحمد لله.

وقد حفظ لنا في التاريخ أجوبة دلت على ذكاء أصاحبها.



ولقد سأل العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- فقيل له أنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال: (هو أكبر مني وأنا ولدت قبله).

وكان النبي ﷺ يستخدم هذا الأسلوب ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ -رضى الله عنه- أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِىَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: لاَ شَىْءَ إِلاَّ أَنِّى أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَىْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِىِّ ﷺ «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِىَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّى إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

○ قال الكرماني سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه.

○ وعن عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً يَأْتُونَ النَّبِىَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ «إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ» قَالَ هِشَامٌ يَعْنِى مَوْتَهُمْ.

قال ابن حجر وهذا جواب من معاريض الكلام.

وذكر الجاحظ: أن رجلاً سأل بلال بن رباح وقد اقبل بلال من الحلبة (موضع سباق) فقال له من سبق؟ فقال: بلال المقربون. قال: إنما اسألك عن الخيل. قال: وأنا أجيبك عن الخير.

وذكر ابن الأثير في كامله: أنه لما حضر السيد بن أنس الأزري عند المأمون قال له المأمون أنت السيد؟ قال: أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس فاستحسن ذلك منه.

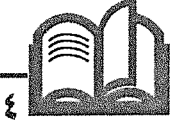
ومما يستظرف في هذا الباب: ما جاء أن رجلاً من الخوارج يسمى ابن القبعثري قد غضب عليه الحجاج بن يوسف فلما أحضر بين يديه قال الحجاج متوعداً له: لأحملنك علي الأدهم (أي لأقيدنك بالحديد)، قال القبعثري: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب (صرفه للخيل وهذه أنها أدهم وأشهب)، قال الحجاج: أقصد الحديد (يعني القيد)، فقال الرجل: لأن يكون حديداً (قوي نشيط) خيراً من أن يكون بليداً. (فقيل أن الحجاج قد عفى عنه بعد أن ضحك).

أسلوب الحكيم في القرآن الكريم:

جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم في عدة مواضع منها ما ذكره العلامة الألوسي رحمه الله:

١- ما جاء في سورة يونس عند قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة يونس الآية ٢٠.

طلب آية تدل على صدق نبوة محمد ﷺ كما هو الحال مع الأنبياء السابقين لكن طلبهم هذا ليس الغرض منه التثبت والتأكد بل القصد التعنت والمكابرة وإلا فقد أتاهم النبي ﷺ



بآيات باهرات تفوق كل ما جاء به الأنبياء السابقين ولما كان الحال كذلك أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (فكان هذا الجواب من أسلوب الحكيم يعني لابد أن يستأصل شأفتكم لكن لا أعلم الغيب وأنتم كذلك فانتظروا ما يوجبه اقتراحكم إني معكم من المنتظرين.

٢- ما جاء في سورة السجدة في ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) ﴾ سورة السجدة الآية ٢٩.

السائل هنا هم الكفار والمسؤول عنه الفتح فجاء الجواب على طريقة أسلوب الحكيم حيث أن المشركين كانوا يسألون على سبيل التهكم عن وقت الفتح أي النصر والقضاء وظهور أهل الإيمان فجاء أن ذلك اليوم يجيء الحكم والعذاب ولا ينفعكم إيمانكم فعلى كل منكم يحتاط لنفسه ويعمل لنجاتها.

٣ – ومثله جاء في قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) ﴾ سورة طه الآية ١٠٥.

مع العلم أن هذا الأسلوب لا يجوز أن يستخدم في رد الحق والمراوغة عنه فإن ذلك من باب الحيدة عن الإجابة وهو فعل أهل البدع عندما يريدون الفرار من الاعتراف بالصواب.



حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

سابعا

الثقة

عندما يرتبك الناس تجد الحكيم من بينهم واثقاً، من تحقق نتائجه حيث أن هذه الدنيا تسير على مقدمات ومعطيات، تتبعها نتائج، هي في عين الحكيم موجودة، لذا هو دائماً يتمتع بالثقة فيبُز ويبرز.

○ في مواقف كثيرة ثبت النبي ﷺ وكان واثقاً من تحقق نتائجه.

فقد كان في الغار واثقاً من النصر، وفي الخندق يرى قصور الشام واليمن، إنها الثقه بالله في أعظم المواقف صعوبة ففي الخندق يبشر بالمفاتيح وبيده المعول ويقول: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثم ضرب بالمعول وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».

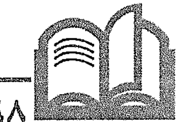
وعندما انتهى النبي من بعض معاركه منتصراً، وصف كعب بن مالك، انتصاره فقال:

قضينا من تهامة كل وتر
وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت فقالت
قواطعهن: دوسا أو ثقيفا

فجاءت قبيلة دوس فأعلنت أسلامها خوفاً، أن يحل بهم ما حل بغيرهم.

○ ومما ذكره شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن علياً بن أبي طالب -رضي الله عنه- عندما أراد المسير لقتال الخوارج عرض له مُنَجِّم فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسافر؛ فإن القمر في العَقْرب؛ فإنك إن سافرت والقمر في العَقْرب هُزم أصحابك. فقال علي -رضي الله عنه-: بل نسافر ثقة بالله وتوكّلاً على الله وتكذيبًا لك. فسافر فبورِكَ له في ذلك السفر حتى قتل عامّة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُرَّ به -رضي الله عنه-.

○ وخالد بن الوليد كان رضي الله عنه يتحدى ويثق بنصرته للإسلام فقد أخرج ابن أبي شيبة أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة قيل له احذر السم لا تسقيكه الأعاجم فقال ائتوني به فأتوه به فأخذه بيده ثم قال بسم الله واقتحمه. فلم يضره شيء.



إن الثقة كما أنها تملأ النفس طمأنينة، إلا أنها لتنزل الرعب في قلب الخصم، وتدحر الشيطان.

○ كان الشيخ الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- من أكثر العاملين في المجال الدعوي وكان كثير ممن نذر نفسه للدعوة في سبيل الله فقد كان يستنهض الهمم، ويشحذ العزائم، ويسعى إلى أهل الخير، من المحسنين والصالحين من التجار، ليجمع المال منهم لينفقه للدعوة في إفريقيا وإطعام الجائع وعلاج المريض وحفر الأبار وبناء المساجد، ذكر أنه تحدث بعد صلاة الجمعة في مسجد بالكويت وعرض حال مجاعة بأثيوبيا وطلب مليون ديناراً لدعمهم وحلف بالله لا يخرج من المسجد حتى يجمعها ولو بقي شهراً، و ما صلى المغرب في اليوم نفسه حتى اكتمل المبلغ، وسار إلى الدعوة والإغاثة حتى آخر لحظات حياته، رحمه الله.

○ كان بعض الشعراء عندهم ثقة بأنفسه وبقصائدهم فمما جاء أنه وفَد أبو الفضل بن شرف إلى المعتصم-أحد أمراء الأندلس- في زيٍّ تظهر عليه البداوة، وأنشد قصيدته التي يقول في طالعها:

مُطِل الليلُ بوعدِ الفَلَق

وتشكّى النجمُ طولَ الأرق

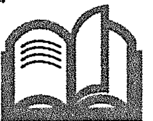
فاهتزَّ المعتصم لسماعها طربًا، فحسد أبا الفضل من الحاضرين ابن أخت غانم، وقال له: من أيِّ البوادي أنت؟ فقال أبو الفضل: أنا من الشرف في الدرجة العالية، وإن كانت البادية عليَّ بادية، ولا أنكر خالي، ولا أعَرَّف بحالي؛ فانقبض ابن أخت غانم خجلًا.

○ يقول ديل كارنيجي: كان هارولد أبوت مدير معهدي منذ سنوات، وذات يوم التقينا فأوصلني إلى مزرعتي، وخلال الطريق أخبرني قصة مثيرة لن أنساها أبدًا.

قال: كنت دائم القلق، لكن في أحد أيام الربيع من عام ١٩٤٣م، كنت أتمشى في أحد الشوارع وإذا بي أرى منظرًا أزال عني القلق، حدث ذلك خلال عشر ثوان فقط تعلمت فيها ما لم أتعلمه في السنوات العشر السابقة.

فمنذ سنتين، كنت أدير مخزن بقالة في مدينة (وبي) وقد خسرت جميع مدخراتي، وغرقت في ديون تحتاج إلى سبع سنوات من العمل لسدادها، وقد أقفلت مخزني وذهبت إلى بنك التجار والصناعيين؛ لاستدانة المال الكافي لانتقالي إلى مدينة كنساس للبحث عن عمل.

كنت أسير كرجل مهزوم فقد ثقته بنفسه وشجاعته، وفجأة رأيت رجلاً وقد بترت قدماه، كان يجلس على مقعد يرتكز على عجلات، ويزحف في الشارع بمساعدة قطع من الخشب أثبتها في كل يد.



التقيت به بعد أن عبر الشارع يرفع نفسه، ليصعد إلى الرصيف، وفيما هو يفعل ذلك، التقت عيناي بعينه فابتسم لي ابتسامة رائعة قائلاً: صباح الخير يا سيد إنه صباح جميل، أليس كذلك؟

وفيما أنا واقف أنظر إليه، عرفت كم أنني غني، فأنا أملك ساقين، وأستطيع السير، شعرت بالخجل من نفسي وقلت في نفسي: إذا كان هذا الرجل الفاقد لساقيه سعيدًا واثقًا من نفسه، فكيف يجب أن أكون أنا بوجود ساقي؟

شعرت بالارتياح، وكنت قد قررت أن أستدين مبلغ مائة دولار فقط من البنك، فأصبح لدي الشجاعة الكافية لطلب مائتين، وكنت أنوي أن أقول: إنني ذاهب إلى مدينة كنساس للحصول على عمل، فحصلت على المال وحصلت على العمل، ويومها ألصقت هذه الكلمات على المرآة حيث يمكنني قراءتها كل صباح: (شعرت بالكآبة لأنه لا حذاء لدي، حتى التقيت في الشارع برجل قُطِعت ساقاه).

○ يقول مونتغمري في كتابه الحرب عبر التاريخ: أهم مميزات الجيوش الإسلامية لم تكن في المعدات أو التسليح أو التنظيم، بل كانت في الروح المعنوية العالية.

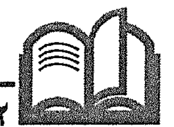
الثقة عادة يمكن تنميتها بالتصرف و كأنك تمتلكها بالفعل مفتاح الثقة بالنفس هو أن تحدد ما تريد، و أن تتصرف و كأنك من المستحيل أن تفشل.



○ إن من يتأمل في قصة الملاكم العالمي محمد علي كلاي، فبعد أن جُـرِّد من لقبه العالمي نتيجة رفضه الخدمة العسكرية في حرب فيتنام، عانى هذا البطل من الديون المتكاثرة ورفضت كثير من الولايات الأمريكية أن تمنحه تصريحًا لمزاولة الملاكمة على أرضها، ولم يكن أمامه من بُد للعودة إلى الملاكمة سوى أن يتحدى أحد عمالقة الملاكمة وقتها وهو جورج فورمان، وهو ملاكم يهاب الجميع لقاءه، فماذا حدث؟

كان محمدِ علي كلاي خائفًا جدًّا من اللعب أمامه، ولكنه قبِل التحدي، وكانت النتيجة الهزيمة الساحقة، فقد أصابه فورمان بإصابات عديدة منها ١٢ غرزة في وجهه، وكذلك إصابة في فكه وكسر في ذراعه، ليودع المستشفى في حالة سيئة جدًّا، فنصحه الناس ألا يلعب مرة أخرى، ولكنه استطاع أن يلعب ثانية وليس هذا فقط بل قرر أن يلعب أمام جورج فورمان نفسه.

أخذ يشاهد الفيلم التسجيلي للمباراة التي لعبها مع فورمان كي يتعلم منها حتى استوعبها تمامًا وبعد أن خرج من المستشفى بدأ يتدرب بشكل مكثف ليلاً ونهارًا، ثم تحدى فورمان مرة أخرى، فرد عليه فورمان قائلاً: سوف تشتاقون للقاء هذا الرجل مرة أخرى، فهذه هي آخر مرة يمكنكم أن تروه فيها، فإنه لم يستوعب الدرس من المرة الأولى، فودعوه بشدة؛ لأنني سوف أخلصكم منه تمامًا.



فماذا يصنع محمد علي كلاي أمام هذا التحدي؟ فجورج فورمان أقوى منه بنيانًا وأطول قامة وأشد في ضرباته ويتمتع بجمهور كبير وتأييد جارف، وكل الظروف ضده.

سافر محمد علي قبل البطولة بشهر كامل إلى أفريقيا لأن البطولة هناك، كانت شخصية جذابة فقد أحبه الناس جدًّا، وكان ينزل إلى الشارع ويتدرب ويركض وسط الناس، حتى باتوا يهتفون باسمه ويشجعونه قائلين: محمد الفائز.. محمد الفائز.

ولما بدأت المباراة أراد محمد علي أن يقنع فورمان أن ضربته مهما بلغت من قوة فلن تؤثر فيه، في حين أن أي ملاكم آخر كان يتقي ضربة فورمان ولا يثبت أمام أكثر من جولتين أو ثلاث، ولكن محمد علي اعتمد على قوته الذهنية وابتكر أسلوبًا جديدًا وهو الارتماء على الحبال التي تحيط ملعب الملاكمة لتمتص الصدمة الناتجة عن ضربات فورمان الموجعة.





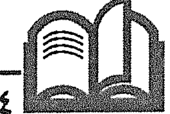
واستمر الحال على ذلك لمدة ١٢ جولة، وفي النهاية خارت قوة فورمان الذي لم يتعود على الصمود لجولات كثيرة، بينما استطاع محمد علي كلاي أن ينقض على منافسه بضربات متتالية قوية انتهت بضربة قاضية أجهزت على فورمان.

لقد كان كلاي يعتمد على، الثقة الكبيرة بالنفس،وكانت قد تولدت لمحمد علي كلاي من تركيزه على نقاط قوته، وهي الصبر والاحتمال لقوة اللكمات، والاعتماد على القوة الذهنية وابتكاره لأسلوب الارتماء على الحبال الذي لم يكن معروفًا من قبل، ثم اختياره للوقت المناسب لينقض على منافسه.

إن فقدان الفرصة لن يعوقك، بل فقدانك الثقة بالنفس هو الذي يعوقك.

○ إذا أردت النجاح والتوفيق، فلا عليك إلا أن تسير بالاتجاه الصحيح، وبمواصلة المسير، ستصل إذا كنت واثقاً.

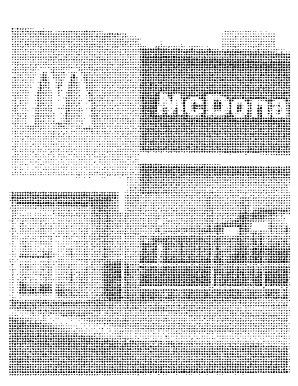
والثقة تجعلك تنجح في بناء نفسك وتكسب في تجارتك، ففي عام ١٩٣٠م انتقل أخوان شابان اسمهما (ديك) و(موريس) من نيوهامبشر في المملكة المتحدة إلى كاليفورنيا في الولايات المتحدة بحثاً عن الحلم الأمريكي بالثراء، وكانا قد تخرجا للتو من المدرسة العليا ولم يريا في موطنهما فرصاً كافية، ولذا فقد توجها مباشرة إلى هوليوود حيث عثرا على وظيفتين في استوديو سينمائي.



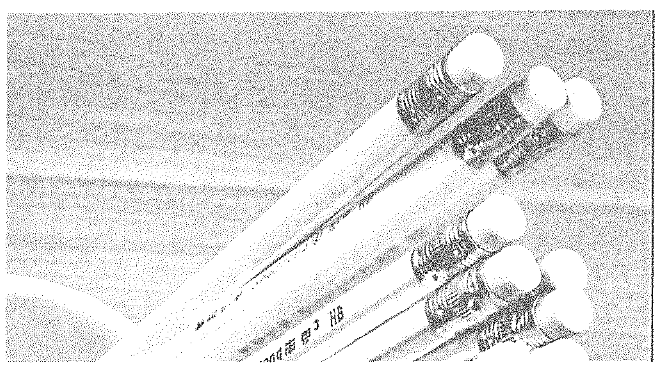
وبعد فترة قصيرة حثتهما روحهما المحبة للعمل المستقل واهتمامهما بمجال الترفيه على افتتاح مسرح في جليندال، وهي مدينة على بعد خمسة أميال تقريباً شمال شرق هوليوود، ولكن على الرغم من المجهود الذي بذلاه لم يتمكن الأخوان من جعل المشروع يحقق النجاح والربح، ففي خلال السنوات الأربع التي أدارا فيها المسرح، لم يتمكنا من الحصول علي ما يكفي من النقد لدفع إيجار المسرح الذي يبلغ مائة دولار شهرياً. ولما كانت رغبة الأخوين في النجاح شديدة القوة فقد ظلا يبحثان عن فرص عمل أفضل.

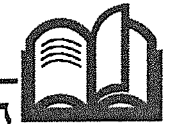
وفي عام١٩٣٧م عثرا أخيرا على مشروع حقق النجاح؛ لقد افتتحا مطعما صغيرا لتقديم الطعام في السيارات في مدينة باسادينا التي تقع شرق جليندال. كان الناس في جنوب كاليفورنيا قد أصبحوا يعتمدون بشدة على سياراتهم، وكانت الثقافة آخذة في التغير لملاءمة هذا الوضع، وكذلك المشاريع التجارية.

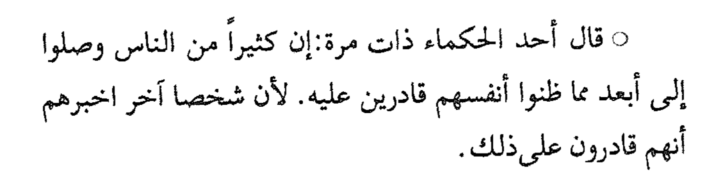
انطلقا بتوسيع المشروع، فمن مطعم واحد حتى دخلا أكثر العالم وكان القائد لهما رجل يدعى (راي كروك) تعرفا في عام ١٩٥٤م عليه أثناء تطويرهما للمطعم فكان سبب لنقلة مطعم ماكدونالدز حيث أعطى أمتيازات ووسع المشروع بطُرق مذهلة.



○ شاب يبيع أقلام الرصاص في إحدى أركان مترو الأنفاق المهجورة..كان هناك صبي هزيل الجسم.. شارد الذهن يبيع أقلام الرصاص.. ويشحذ، مرَّ عليه أحد رجال الأعمال. فوضع دولارا في كيسه ثم.. استقل المترو في عجله،وبعد لحظة من التفكير،خرج من المترو مرة أخرى،وسار نحو الصبي، و تناول بعض أقلام الرصاص،وأوضح للشاب بلهجة يغلب عليها الاعتذار، أنه نسي التقاط الأقلام التي أراد شراءها، وقال: إنك رجل أعمال مثلي ولديك بضاعة تبيعها وأسعارها مناسبة للغاية، ثم استقل القطار التالي،بعد سنوات من هذا الموقف وفي إحدى المناسبات الاجتماعية تقدم شاب أنيق نحو رجل الأعمال وقدم نفسه له قائلا:إنك لا تذكرني على الأرجح، وأنا لا أعرف حتى اسمك،ولكني لن أنساك ما حييت. إنك أنت الرجل الذي أعاد إليّ احترامي وتقديري لنفسي.لقد كنت أظن أنني (شحاذا) أبيع أقلام الرصاص إلى أن جئت أنت أنني (رجل أعمال).





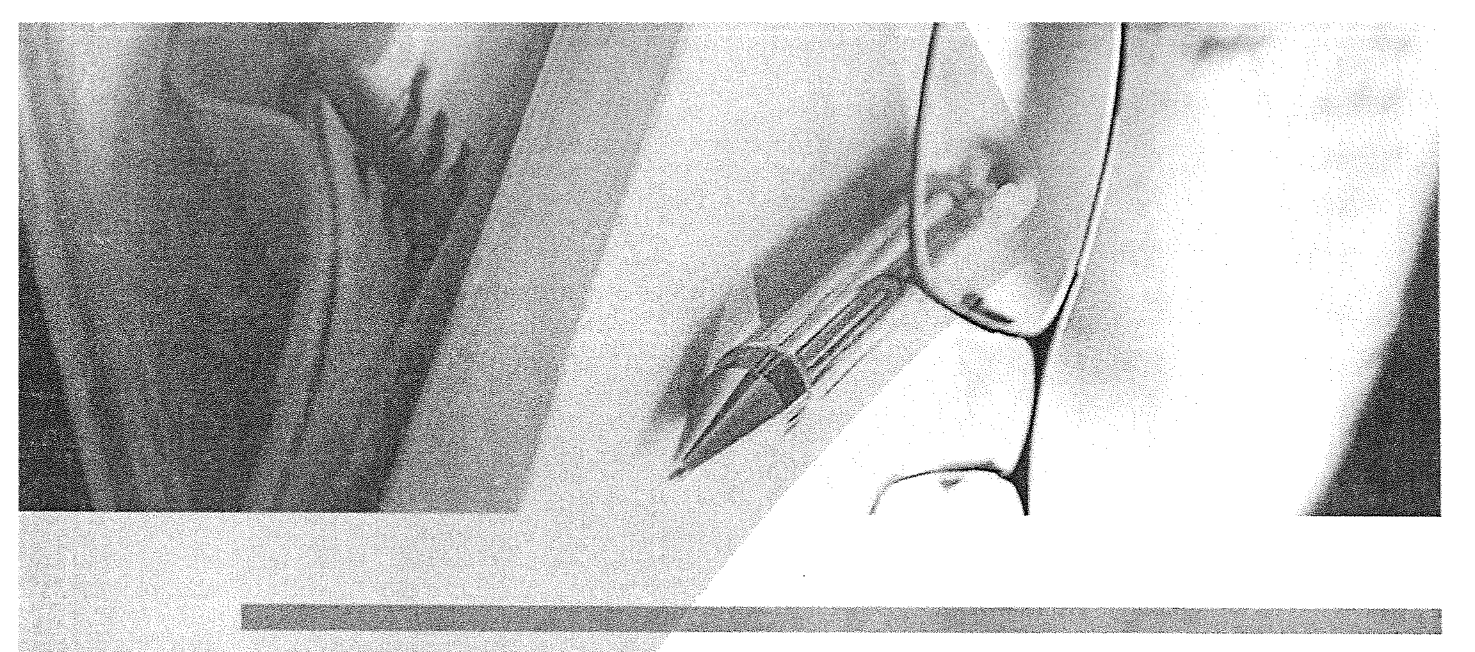


○ قال أحد الحكماء ذات مرة: إن كثيراً من الناس وصلوا إلى أبعد مما ظنوا أنفسهم قادرين عليه. لأن شخصا آخر اخبرهم أنهم قادرون على ذلك.

○ من يتصرف بدافع الخوف يضل خائف، ومن يتصرف بدافع الثقة يتطور. روجر فريتس.

الواثق بنفسه يقول الأمر صعب لكن ممكن، وغيره يقول ممكن لكن صعب. توماس كارليل.





حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

ثامنا

الحكيم يصنع نفسه وينصف من حوله

من مزايا الحكماء أنهم عندما يحققون شيء يذكر فإنهم لا ينسبون ذلك لأنفسهم، بل يسعون لإبراز من كان معهم ويشيدون بأفعالهم، فهم لا يميلون، لأنفسهم ولا يظلون غيرهم، ولا يسحبون البساط لصالحهم.

تبرز قضية الإنصاف مع الحكماء حيث يسكنُ الناسُ إليهم، ويثقون بآرائهم، ويلتفون حولهم.

إن المنصف لا يحابي أحداً، فهو موفق لا يخجل أن ينصف ولا يتردد في إعطاء الحق لصاحبه حتى إنه يتحسب لتصرفاته ويزن أموره فهو يتقدم ويبدع ويثق به كل من تعامل معه.

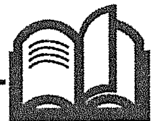
إنه يتعامل بتاج الأوصاف، التي يُتَحلَّى بها في لُجج الخلاف، فهو ممسك بخُلُقُ العدل والإنصاف.

○ بعد ما فتح النبي ﷺ مكة اتجه إلى الطائف، قابلته جموع هوازن، وقد ساقوا أنعامهم وأموالهم، كي يقاتل كل رجل منهم عن نفسه، كما قرر ذلك قائدهم مالك بن عوف، لكن الغلبة كانت لجيش النبي ﷺ، ولما سمع الرسول عنها قال «تلك غنيمة باردة».

لقد انتصر عليهم وجمع الغنائم، ووزعها على مسلمة الفتح فقد أعطى كبار أهل مكة، غنائم وخصهم بها، لكن ذلك لم يعجب الأنصار حتى قال قائلهم لقد (لقي والله رسول الله قومه).

فما كان من الحكيم إلا أن جمعهم في خيمة، ثم بدأ معهم الحوار فقال: «هل وجدتم في نفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم» قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل.

قال ﷺ : «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا. ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما، وحظا. ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا.



لقد كان من إنصافه ﷺ أن حفظ للأنصار، ما كان منهم يوم أن بايعوه على الإسلام.

لا تركَنَنّ إلى مَنْ لا وَفاءَ لهُ
فالذئبُ من طبعِه إنْ يَقتدِر يَثِبِ
عُودوا لنا كُنتُم عَلَيه مِنَ الوَفا
كَرَماً فإنّي ذَلكَ الخِلُّ الوَفِيْ

○لقد كان زيد بن حارثة بن شرحبيل من بني قضاعة،أبو أسامة، حبُّ رسول الله ﷺ، وقد كان زيد قد أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة، وهي سوق بناحية مكة كانت مجمعاً للعرب يتسوقون بها في كل سنة، اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثمان سنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشر سنين وقد قيل بعشرين سنة وطاف به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبناه على حلق قريش يقول: «هذا ابني وارثا وموروثا». يشهدهم على ذلك.

لكنَّ أباه توجد عليه فكان ينشد فيه الشعر ومما قاله حين فقده:

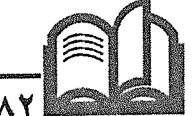
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحي يرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإن كنت سائل
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعه
وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

ولما حضر موسم الحج، حج ناس من كلب -قبيلته- فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي فقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائي
فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة
كرام معد كابرا بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال: ابني ورب الكعبة ووصفوا له موضعه وعند من. فخرج حارثة وكعب ابنا شرحبيل لفدائه وقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد



فدخلا عليه فقال: يا بن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه. قال: «ومن هو» قالو: زيد بن حارثة. فقال رسول الله ﷺ: «فهلا غير ذلك»؟

قالو: وما هو قال: «ادعوه فأخيره فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا». قال: قد زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء» قال: نعم. قال: «من هذا» قال: هذا أبي. وهذا عمي. قال: «فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما». قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت مني مكان الأب والعم. فقال: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك!

قال: نعم قد رأيت من هذا الرجل شيء. ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبداً. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا.

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «يا من حضر. اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه». فكان ابن للرسول ﷺ، حتى جاء نسخ التبني.

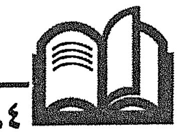
○لقد كان أصحابه أهل أنصاف فقد جاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه أخذ فرساً من رجلٍ على سوم، فحمل عليه،

فعطب، فخاصمه الرجل، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلًا، فقال الرجل: إني أرضى بشريح العراقي. فقال شريح: أخذته صحيحًا سليمًا، فأنت ضامنٌ له حتى ترده صحيحًا سليمًا، قال الشعبي -وهو راوي القصة-: فكأنه أعجبه، فبعثه قاضيًا، ومع ذا لم يمنعه الإنصاف أن يؤدب الناس ويقول: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

○ ولقد كان علياً يمتثل بمثل ذلك فقد جاء عنه أنه، تكلم في مسألة، فقال له أحد الحاضرين: ليس الأمر كذلك يا أمير المؤمنين، ولكنه كذا وكذا، فقال علي: (أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم).

إن عشاق الأخـلاق الكريمة يجلون الإمـامَ عليًا لهذا الإنصاف إجلالهم له عندما يفتي، فيصيب الحق، أو يعظ، فينطق بالحكمة.حتى مع الخصم يجب أن يكون الأنصاف وهو يدلُ على الرسوخ في الفضيلة أن يتحدث الرجل عن خصمه، فينسب إليه ما يعرفه له من فضل.أُنشِد في مجلس الإمام علي بن أبي طالب قول الشاعر:

فتىً كان يُدنيه الغنى من صديقه
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا عُلِّقت بجبينه
وفي خَدِّه الشِّعرى وفي الآخر البدر



فلما سمعها علي بن أبي طالب، قال: هذا طلحة بن عبيد الله، وكان السيف ليلتئذ مجردًا بينهما.

وقد ذكر صاحب الوفيات أنه جاء عنه أنه رأى درعه بيد يهودي يبيعها في السوق، فعرفها - رضي الله عنه- وكان أميراً للمؤمنين فطلبها من اليهودي، إلا أن اليهودي أنكر وأبى أن يردها فترافعا إلى القاضي شريح.

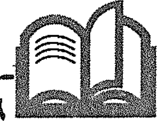
فقال القاضي لعلي -رضي الله عنه-: يا أمير المؤمنين ألك بينة؟ شهادة اثنين؟ قال نعم: ابني الحسن وغلامي قنبر. قال القاضي: أما قنبر فنعم وأما الحسن فلا نقبل شهادة الابن لأبيه ولك يمين اليهودي، فلما انصرفوا دفع اليهودي الدرع لسيدنا علي وقال: هي لك أخذتها منك بعد انصرافك من معركة الجمل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وما هذه الأحكام إلا أحكام الأنبياء. فأهداها له علي -رضي الله- عنه مع فرس بعد إسلامه.

○ قال ابن المقفَّع -رحمه الله-: (أعدلُ السِّير أن تقيسَ الناسَ بنفسِك، فلا تأتيَ إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك)؛لقد كان كبار العلماء منِ بعدهم يسيرون على ذلك، يقول: الإمام الشافعي ما ناظرت أحدًا على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الحق على يديه. والراسخون في فضيلة الإنصاف لا يبالون أن يكون رجوعهم عن الخطأ أمام من خالفهم وحده، أو بمحضر جمع كبير لم يشعروا بالخلاف، ولا بخطأ المخطئ، أو إصابة المصيب.

○ اختلف ابن عباس وزيد بن حارثة -رضي الله عنهما- في مسألة من باب الحيض، فقرر ابن عباس حكمًا؛ وخالفه زيد، فرأى فيها رأيًا آخر، فقال له ابن عباس: سل نسيَّاتك: أم سليمان وصويحباتها، فذهب زيد فسألهن، ثم جاء وهو يضحك، فقال لابن عباس: القول ما قلت.وموضع العبرة من هذه القصة أن زيدًا تمسك برأيه في مخالفة ابن عباس حتى استبان له أن الحق مع ابن عباس، فلم يجد في نفسه حرجًا من أن يرجع إليه ضاحكًا، ويقول له: القول ما قلت.

○ ومن أشهر المناظرات ما جرى بين الإمامين: مالك بن أنس، وأبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة في مقدار الصاع الذي تؤدى به زكاةُ الفطر، فقال مالك: هو خمسة أرطال وثلث. وكان أبو يوسف يذهب إلى أنها ثمانية أرطال، فاحتج عليه مالك بالصيعان الموجودة لذلك العهد عند أبناء المهاجرين والأنصار بالمدينة؛ فرجع الإمام أبو يوسف إلى ما قاله الإمام مالك.

○ قال عبد الرحمن بن مهدي: ذاكرت القاضي عبيد الله بن الحسين في حديث وهو يومئذ قاض، فخالفني فيه، فدخلت عليه بعد وعنده الناس سماطين (أي صفين)، فقال لي: ذلك الحديث كما قلت أنت؛ وأرجع أنا.إن صاحب الإنصاف لا يقلقه خصومه، ولا يزحزحوه عن موقفه قال حاتم الأصم: (معي ثلاث خصال أظهرُ بها على خَصمي)، قالوا: وما هي؟ قال: (أفرح إذا أصاب خَصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحْفَظ نفسي لا تتجاهَل عليه).



فبلَغ ذلك الإمامَ أحمد بن حنبل -رحمه الله- فقال: (سبحان الله، ما أعقله من رجلٍ).

لكن عندما يفقد الحكيم إنصافه فلا تسأل عن ضياع أمره وتوهانِ فعله، وتفرق حزبه.

ولقد جاء عنه ﷺ قوله -: «ثلاث مُهلكات: شُحٌ مُطاع، وهوًى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه».

○ قال محمد الخضر رحمه أحد علماء الإسلام (قلَّةُ الإنصاف تُبْعِد ما بين الأقارب أو الأصدقاء، وكم من تجافٍ نشأ بين أخوين أو صديقين، وإنما نشأ من جحود أحدهما بعض ما يتحلى به الآخر من فضل، أو من رَدِّه عليه رأيًا أو روايةً وهو يعلم أنه مصيبٌ فيما رأى، أو صادقٌ فيما روى)، قال المتنبي:

ولم تزل قِلَّةُ الإنصافِ قاطعةً

بين الرجال وإن كانوا ذوي رَحِمِ

والإنصافُ يزيد احترامك في القلوب مكانة؛ ذلك لأن إنصافك للرجال يدل على صفاء سريرتك، ونقائها من أن تكون قد حملت شيئًا من دنس الحسد، أو حام بها الغلوُّ في حبِّ الذات.)

وفي جامع بيان العلم وفضله قال مالك بن دينار: (ليس في الناس شيءٌ أقل من الإنصاف).

○ قال ابنُ حزم - رحمه الله -: (مَن أراد الإنصافَ، فليتوهَّم نفسَه مكان خَصمه؛ فإنه يلُوح له وجهُ تعسُّفه).

إن الحكمة قرينة الإنصاف:

○ وذُكِر أنَّ الخريبي -عبدالله بن داود الهمداني- قيل له: رجع أبو حنيفة عن مسائل كثيرة، قال: (إنما يرجع الفقيه إذا اتَّسع عِلمه).

○ قال ابن عبدالبر -رحمه الله-: (من بركة العلم وآدابه: الإنصاف فيه، ومَن لَم يُنصف، لَم يَفهم ولَم يتفهَّم).

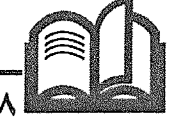
○ قال ابن معاذ الرازي: (مَن أشخَص بقلبه إلى الله، انفتَحَت ينابيع الحكمة من قلبه، وجرَت على لسانه).

○ قال ابن عاشور: (ومَن صارَت له محبَّة الحق سجيَّة، فقد أُوتِي العلم والحكمة، وأُيِّد بالحفظ أو العصمة).

○ وفي مصنف عبد الرزاق بن همام، عن عكرمة بن عمار العجلي ثنا أبو زميل سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت عليا فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك.

قلت: كلا.

قال ابن عباس: فخرجت إليهم و لبست أحسن ما يكون من حلل اليمن- ولذلك حكمة- قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلا جهيرا.



قال ابن عباس: فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم.

فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس فما هذه الحُلة؟

قال قلت: ما تعيبون علي لقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ! سورة الأعراف الآية ٣٢.

قالوا: فما جاء بك؟

قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن و هم أعلم بالوحي منكم و فيهم أنزل (وليس فيكم منهم أحد)).

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة الزخرف الآية ٥٨.

قال ابن عباس: وأتيت قوما قط أشد اجتهاداً منهم مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثني عليهم فمضى من حضر.

فقال بعضهم: لتكلمنه ولتنظرن ما يقول.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره و المهاجرين والأنصار؟

قالوا: ثلاثا !

قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله و قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ سورة يوسف الآية ٤٠ ،و ما للرجال و ما للحكم.

فقلت: هذه واحدة

قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم و غنيمتهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم؟!

قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟

قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

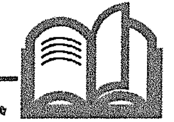
قلت: أعندكم سوى هذا؟

قالوا: حسبنا هذا.

فقلت لهم: أرأيتم أن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد به قولكم أترضون؟

قالوا: نعم

فقلت: أما قولكم حكّم الرجال في أمر الله، فأنا عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ سورة



المائدة الآية: ٩٥، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾، فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم و صلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

وفي المرأة و زوجها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾سورة النساء الآية: ٣٥، فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟

قالوا: نعم.

قال: و أما قولكم: قاتل و لم يسب و لم يغنم؛ أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها، فلئن فعلتم لقد كفرتم و هي أمكم و لئن قلتم ليست أمنا لقد كفرتم فإن كفرتم فإن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ سورة الأحزاب الآية: ٦، فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة.

فنظر بعضهم إلى بعض قلت: أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا أتيكم بمن ترضون ورأيكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: أكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله.

فقال المشركون: لا و الله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك!

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنك تعلم أني رسول الله أكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله»، فو الله لرسول الله خير من علي و ما أخرجه من النبوة حين محا نفسه.

قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان و قتل سائرهم على ضلالة.

○ يقول نيوتن: (إن كنت قد توصلت إلى شيء جديد فلأنني تسلقت على أكتاف من سبقوني).

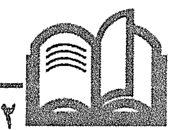
○ ويقول أرسطو: (إنني أتعلم الحكمة حتى من الحمقى كلما رأيتهم يفعلون شيئاً اجتنبته).

○ كان أديسون في معمله أكثر من ٨٠ مساعداً في أبحاثه، وهذا ما ساعده ليحصل على ١٠٩٧براءة اختراع في أمريكا.

○ وأحمد زويل فإنه يذكر أنه يعمل مع ١٥٠عالم، ولولاهم لما توصل لزمن الفمتوثانية.

○ قال التهامي:

و لربما اعتصم الحليم بجاهل
لا خير في يمنى بغير يسار



○ وفي كتاب (محمد حسنين هيكل) هؤلاء القادة لماذا نجحوا وكيف اتفقوا؟ أن رئيس مصر جمال عبدالناصر، طلب منه أن يدعو مونتجميري –القائد للجيش البريطاني الثامن سابقاً– وذلك من اجل حضور احتفالات ذكرى معركة العلمين.

فاتصل عليه لدعوته، لهذا الحدث التاريخي الهام إلا أن مونتجميري، ربط موافقته بحضور قادة القوات الذين كانوا معه اثناء تلك المعركة، عددهم خمسة وبالفعل وافق الزعيم جمال عبدالناصر على حضورهم وتصدر مونتجميري الحفل وتحدث فيه واشاد بجهود الفريق المحاربين الذين كانوا معه حينئذ.

○ وقد جاء في البخاري معلقاً قول عمار –رضي الله عنه–: (ثلاث مَن جمعهنَّ، فقد جمَع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبَذْل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار).

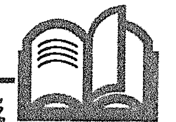
○ قال ابن القيّم –رحمه الله تعالى–: (والله تعالى يحبُّ الإنصاف، بل هو أفضل حِلْيَة تحلَّى بها الرجل، خصوصًا مَن نصَّب نفسه حَكَمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ أ.هـ سورة الشورى الآية: ١٥

قال ابن عاشور: (إن طُرق العدل مُستوعرة، ولا يُمكن لخَلَّة الإنصاف أن تترسَّخ في قلوبنا، وتتحقَّق في أقوالنا وأعمالنا، إلاَّ بعد مجاهدة وصِدق في محاسبة نفوسنا وتفقُّد أهوائها؛ فإنَّ العدل والإنصاف ثقيل على النفوس، فلا تهواه غالبًا).

○ ومن أبرز النماذج ماذكره الدكتور فيصل آل ثاني في كتابه: أنَّ محمد يونس من أبرز النماذج لعملية النمو المتدرج للرؤية، حيث يقول: قبل خمسة وعشرين عاما كنت أدرس الاقتصاد في جامعة بنجلادش، وكانت البلاد تعاني من المجاعة. لقد كنت أشعر بالأسى، إذ كنت أدرس النظريات الاقتصادية المحترمة في الصف بحماس متسلحا بشهادة الدكتوراة التي حصلت عليها في الولايات المتحدة، ولكن عندما كنت أغادر الصف كنت أرى حولي هياكل عظمية لأناس ينتظرون الموت.

لذلك بدأت أحاول أكتشف كيف يعيش الناس في القرية المجاورة لحرم الجامعة، أدرت أن أكتشف إنْ كانْ باستطاعتي -كإنسان- أن أفعل لهم شيئاً.

ثم حدثت حادثة معينة دفعت بي للسير في اتجاه جديد؛ لقد قابلت امرأة كانت تصنع كراسي من الخيزران، وبعد نقاش طويل اكتشفت أنها تكتسب سنتين أمريكيين كل يوم. فلم أستطع أن أصدق في البداية أن هناك شخصاً ما يمكن أن يعمل بكل هذا الجهد وأن يصنع كراسي من الخيزران بمثل هذا الجمال، ثم لا يحصل في النهاية إلا على قدر ضئيل من الربح. لقد بينت المرأة كيف أنها لا تملك الكافي لشراء الخيزران، ولذلك فإنها تقترضه من التاجر الذي يشترط عليها أن تبيع هذه الكراسي بالسعر الذي يحدده هو، وهو ما يفسر البنسين الذين كانت تكسبهما المرأة.



ثم سألتها: وكم يكلف الخيزران؟

أجابت: (حوالي عشرين سنتا).

ففكرت حينها، وقلت لنفسي: هل من المعقول أن يعاني الناس بسبب عشرين سنتاً وألا يكون باستطاعة أحد القيام بشيء ما لمساعدتهم؟

فاهتديت إلى فكرة وهي أني من الغد أكتب قائمة بأسماء الأشخاص الذين يحتاجون إلى هذا القدر القليل من المال، وفي اليوم التالي اصطحبت تلميذاً لي وتجولنا لعدة أيام في القرية المجاورة، فعدنا بقائمة تتضمن اثنين وأربعين اسماً وحسبت المبلغ الذي يحتاجون إليه ففوجئت بصدمة في حياتي: لقد كان المبلغ لا يتجاوز سبعة وعشرين دولاراً لاثنين وأربعين من العمال المجدين الماهرين.

ولكي أمحو هذا العار أخرجت المبلغ من جيبي وأعطيته لتلميذي وقلت له: خذ هذا المبلغ وأعطه للاثنين وأربعين شخصا الذين قابلناهم، وأخبرهم أنه سلفة وأن باستطاعتهم إعادتها عندما يتمكنون من ذلك، وبالتالي فإنهم يستطيعون الآن أن يبيعوا منتجاتهم في المكان الذي يحصلون منه على سعر جيد.

وبعد أن أخذوا المال شعروا بابتهاج شديد وبدؤوا عملهم بروح جديدة وباعوا إنتاجهم بسعر أفضل، وأرجعوا إلي الدين الذي أعطيتهم وقد دفعتني رؤية هذا الابتهاج في عيونهم ونجاحهم إلى التفكير فيما يمكنني أن أفعل لهم الآن؟

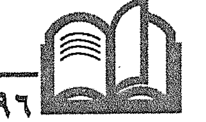
ففكرت في فرع المصرف الذي يقع في حرم الجامعة، وذهبت إلى المدير واقترحت عليه أن يقرض البنك المال للفقراء الذين قابلتهم في القرية.

ذهل المدير وقال: هل أنت مجنون؟ هذا مستحيل، كيف يمكننا أن نقرض المال للفقراء؟ إنهم غير جديرين بالدين. توسلت إليه قائلا: دعنا نحاول على الأقل، إن ذلك لن يكلف إلا القليل من المال. أجابني: لا؛ إن قوانيننا لا تسمح بذلك، إنهم لا يستطيعون تأمين ضمان للقرض، كما أن قدرا قليلا من المال كهذا لا يستحق الإقراض، واقترح علي أن أقابل موظفين أعلى منه في مركز المصرف ببنجلادش.

حملت هذه النصيحة وذهبت إلى الأشخاص ذوي الشأن في قسم العمل المصرفي، ولكن للأسف كنت دائما أتلقى الرد نفسه.

وأخيراً بعد أيام من المحاولات قدمت نفسي كفيلا، وقلت سوف أكفل القرض وسوف أوقع على أي شيء يريدونه مني، وهكذا يعطونني المال وأعطيه بدوري للفقراء.

وهكذا كانت البداية؛ لقد حذروني عدة مرات أن الفقراء الذين سيأخذون المال لن يعيدوه أبداً. قلت لهم: سوف أجرب، وكانت المفاجأة أنهم أعادوا كل بنس استدانوه، فشعرت بالإثارة وجئت إلى المدير وقلت له: انظر لقد أعادوا المال ولم تحدث أي مشكلة،



ولكنه أجاب قائلا: أوه، إنهم يخدعونك، فعندما تعطيهم مزيدا من المال لن يعيدوه أبدا. فأعطيتهم المزيد من المال وأعادوه كاملا. وعندما أخبرته بذلك قال: حسنا ربما نجح ذلك في قرية واحدة، ولكنه لن ينجح في قريتين، ومباشرة جربته في قريتين فنجح الأمر.

وهكذا أصبحت المسألة عبارة عن نوع من الصراع بيني وبين مدير المصرف وزملائه في المناصب العليا، لقد استمروا في القول إن عددا أكبر من القرى -ربما خمس قرى- سوف يظهر فشل المشروع، فاستمررت في تجريب الأمر في خمس قرى وكانت النتيجة أن الجميع أعادوا المال، ومع ذلك لم يستسلموا وقالوا: عشر قرى، خمسون قرية، مائة قرية؛ لقد أصبح الأمر نوعا من المباراة بيني وبينهم، فخرجت بنتائج لا يستطيعون إنكارها؛ لأن المال الذي كنت أعطيه للفقراء كان مال البنك، ومشكلتهم أنهم لا يريدون تصديق هذه النتيجة؛ لأنهم دربوا على الاعتقاد أن الفقراء لا يمكن الوثوق بهم، ولحسن الحظ فأنا لم أكن مدربا على هذه الطريقة من التفكير لذلك استعطت أن أصدق الأمور التي أراها عندما كانت تظهر نفسها لي، بينما عقول موظفي المصرف وعيونهم أعمتها المعرفة المزيفة التي كانت لديهم.

وأخيرا خطرت ببالي الفكرة التالية: لما أحاول إقناعهم؟ إنني مقتنع تماماً أن الفقراء يستطيعون أخذ المال وإعادته،

فلماذا لا ننشئ مصرفاً مستقلا؟ أثارتني هذه الفكرة وكتبت خطة المشروع، وذهبت إلى الحكومة لأحصل على إذن بإقامة المصرف، واستغرق الأمر عامين حتى استطعت إقناع الحكومة.

وفي الثاني من تشرين الأول عام ١٩٨٣ أصبحنا مصرفا رسميا ومستقلا. لقد كان الأمر مثيراً بالنسبة إلينا جميعا فقد أصبح لدينا مصرفنا الخاص؛ وباستطاعتنا أن نوسع كما نشاء وهذا ما فعلناه بالضبط.



إن المصرف (غرامين) اليوم يعمل في أكثر من ٤٦ ألف قرية في بنجلادش من خلال ٢٤٦٨ فرعاً، ولديه ٢٤٧٠٣ موظفاً وقام المصرف بإقراض أكثر من ٤,٥ بليون دولار على شكل قروض تتراوح من ١٢ إلى ١٥ دولارا، وبمعدل لا يزيد عن مائتي دولار. إنهم يقومون بإقراض ١/٢ بليون دولار كل عام، حتى أنهم يقرضون المتسولين لمساعدتهم عن التوقف عن التسول والبدء بالعمل، كما يقدمون قروضاً لشراء منازل يبلغ سعر الواحد منها ثلاثمائة دولار.

قد تكون هذه الأرقام صغيرة بالنسبة إلينا في عالم الأعمال ولكن إذا فكرنا في التأثير الهائل الذي يتركه هذا المشروع في حياة الناس فسنجد أن يقرض ٥٠٠ مليون دولار كل عام لـ ٣,٧ مليون إنسان، ٩٦٪ منهم من النساء، حيث يتخذ هؤلاء الناس قرارا بأنهم قادرون على اتخاذ خطوات تغير حياتهم وحياة أسرهم. ٣,٧ مليون إنسان كان عليهم أن يقضوا ليلة من الأرق ليستيقظوا في الصباح الباكر ويتجهوا إلى مصرف (غرامين) وهم مرتعدون ولكنهم مصممون في قلب عملية التمكين تلك تمكن النسوة اللاتي اخترن إما بشكل شخصي أو كمجموعات أن يصبحن نساء أعمال ينتجن البضائع من منازلهن أو منازل جيرانهن ليصبحن ناجحات اقتصاديا منتجات يكسبن لقمة عيشهن بشرف.

مائة شخص يتقدمون خطوة أفضل من من شخص يتقدم مائه خطوة. كويتس تازد.



حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

تاسعا

الحكيم والتفرس

يمتاز أصحاب الحكمة أن عندهم فراسة لا تكاد تخطئهم، الحكيم عندما يحلق بعينيه، أن ينظر لما أمامه بنظرة يستوحي من خلالها ما يدور و يتعرّفه ثم يجري الفعل الصحيح لهذه الحالة لا تهم السرعة بقدر ما يهم الصواب، فلابد للحكيم أن يكون ذو فراسة، لكي يدير أمره، ويصوب رأيه، وتصدق كلمته. فإذا تفرس الحكيم جاء النبأ اليقين.

والنفسُ تعرفُ من عينَيْ محدثها

إن كان من حزبها أو من أعاديه

إن الفراسة هي: الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية.

أو: ما يقع في القلب بغير نظر وحجة.

ويستطيع المتفرس أن يعرف ما أمامه من خلال ما يوقعه الله تعالى في قلب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس.. أو من خلال الدلائل والتجارب والخُلق والأخلاق. فتعرف به أحوال الناس.

كما قال ابن الأثير رحمه الله: ولها أعتبارها في الشرع والدليل ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الحجر الآية ٧٥، ومعنى المتوسمين: المتفرسين. وهو قول لمجاهد رحمه الله. قال القرطبي في تفسير قوله تعالى ((للمتوسمين)) روى الترمذي في حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال «للمتفرسين».

○ عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله». قال النَّسفي: (للمتفَرِّسين المتأمِّلين، كأنَّهم يعرفون باطن الشّيء بِسمَةٍ ظاهرة)

○ وقال ابن القيم رحمه الله عنها (إنها مسألة عظيمة النفع جليلة القدر. إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقا كثيرا، وأقام باطلا كبيرا، وإن توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد).

○ وقد حدثت قصةٌ على عهد النبي ﷺ وهي قصة مجزز المدلجي -رضي الله تعالى عنه-، فإنه دخل على النبي ﷺ وأسامة بن زيد وأبوه زيد بن حارثة نائمين عند النبي ﷺ قد تغطيا، وأقدام أسامة ظاهرة من تحت الغطاء وأقدام أبيه زيد ظاهرة، كان أسامة بن زيد أسود كالفحم، وكان زيد بن حارثة أبيض كالقطن، فطعن المنافقون في نسب أسامة بن زيد، يعلمون أن النبي ﷺ يحب أسامة بن زيد وأباه وأن كلاً منهما حب النبي ﷺ، فمن باب إيذاء النبي ﷺ كانوا يطعنون في نسب أسامة من أبيه زيد،

فدخل مجزز على النبي ﷺ وأسامة وأبوه نائمين، فنظر إلى الأقدام من غير أن يسأله، ولا يستشيره، ولا يطلب شهادته، فنظر فقط للأقدام فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، لا يعرف الآن من النائم ولا من الأشخاص والألوان مختلفة، قال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فسُر النبي ﷺ جداً؛ لأن الشهادة جاءت من شخص غير متواطئ، ولا مستشار، شهد من نفسه فكانت شهادته كاتمةً ومخرسةً لألسن المنافقين.

○ ولقد جاء عن عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-: أنَّه دخل عليه قوم من مَذْحِج فيهم الأشتر، فصعَّد عمر فيه النَّظر وصوَّبه، وقال: أيُّهم هذا؟ فقالوا: مالك ابن الحارث، فقال: ما له -قاتله الله- إنّي لأرى للمسلمين منه يومًا عصيبًا. فكان منه في الفتنة ما كان -اتهم أنه ألب على عثمان رضي الله عنه- حتى قتل.

○ ودخل المدينة وفدٌ من اليمن وكان عمر مع الصحابة في المسجد، فأشاروا إلى رجلٍ من الوفد، وقالوا لعمر: هل تعرف هذا؟ قال: لعله سواد بن قارب، فكان كذلك، يسمع به ولم يره، لكن لما رأى وجهه بالفراسة عرف أن هذا هو فعلاً فكان كذلك.

○ وأما عثمان -رضي الله عنه-، فله من ذلك أيضاً نصيبٌ جيد، فإنه حصل أن رجلاً مر بالسوق فنظر إلى امرأةٍ لا تحل له، فلما دخل على عثمان نظر إليه عثمان -رضي الله عنه-،

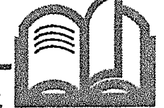
قال: يدخل رجل علينا، وفي عينه أثر الزنا -وزنا العينين النظر- فقال له الرجل: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا.

ولكن برهانٌ وفراسة، ومثل هذا كثيرٌ.

○ وقد وقعت الفراسة من ابن عمر -رضي الله عنه- لما ودع الحسين قال: أستودعك الله من قتيل، ومعه كتب أهل العراق فكانت فراسة ابن عمر أصدق من كتبهم، وفعلاً قتل الحسين.

○ ومن أعجب ذلك ما جاء، أنَّ أبا موسى الأشعري وجَّه السَّائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- إلى مهرجا، بعد أن فتحها ودخل دار الهرمزان، بعد أن جمع السَّبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدَّار تصاوير فيها مثال ظبي، وهو مُشِير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السَّائب: لأمرٍ ما صُوِّر هذا الظَّبي هكذا، إنَّ له لشأنًا، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة إليه، فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام، فيه سفط جوهر، فأخذه السَّائب، وخرج به إلى عمر -رضي الله عنه-.

○ وأشار ابن عبَّاس على عليٍّ -رضي الله عنهم- بشيء، فلم يعمل به، ثمَّ ندم، فقال: ويح ابن عبَّاس، كأنَّما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، يقال: ألْمعِيَّته ألْمعِيَّة ابن عبَّاس، وفراسته فِرَاسَة إياس.



○ وكان الإمام الشافعي حجة عظيمة في كل علم، لا يكاد يمر عليك علم من العلوم إلاّ وتجد له باعا فيه ومن العلوم التي درسها وأجاد فيها كعادته علوم الفراسة فقد قيل أنه سافر إلى اليمن لتعلم الفراسة ويتأكد إن كانت صحيحة أم لا، قضى في اليمن ثلاث سنوات فتعلم الفراسة وأتقنها أيما إتقان وحينها قرر العودة مرة أخرى إلى دياره في مكة وهو في طريق السفر توقف في إحدى الليالي عند بيت رجل ليرتاح تلك الليلة طرق عليه الباب وفتح له رجل فطلب منه الشافعي أن يضيفه لأنه مسافر، حين رأى الشافعي ذلك الرجل أدرك أنه رجلٌ لئيم لا يكاد يقوى على ضيافة أحد، فتفاجئ أن الرجل رحب به وأدخله منزلة بل وأطعمه من أفضل الأطعمة وأوجد له أفضل غُرفه لينام بها!!. فجعل يتقلب في فراشه طوال الليل وهو يقول: ما أصنع بهذه الكتب لو خابت فراستي في الرجل؟ أيذهب علم ثلاث سنوات !

لكنه لما أصبح وعزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن الشافعي فقال له الرجل وقد بانت حقيقته: أخادِمُ أبيك أنا؟، فأخرج له ورقة كان قد سجل بها كل ما أعطاه للشافعي وطلب من الشافعي أن يدفع قيمتها!! أعطاه الشافعي ما أراد وعاد فرحاً بأنه لم يكن ليخيب علمه الذي تعلمه، وحين عاد أخبر أصحاب الفراسة أن علمهم صحيح بشرط أن لا يؤذوا الناس بذكر المساوئ أمام العامة.

ومما حُكي عنه أيضاً جاءه مرة رجل يسأله مسألة فقال له الشافعي: من أهل صنعاء أنت..؟ فقال: نعم.. قال الشافعي: فلعلك حداد؟، قال: نعم.

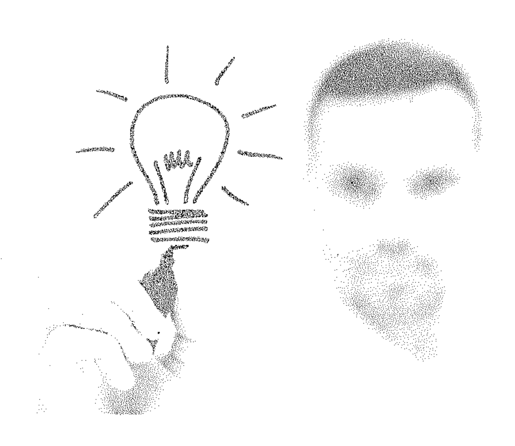
○قال ابن القيم -رحمه الله-: ومن أحسن الفراسة فراسة عبد الملك بن مروان لما بعث الشعبي إلى ملك الروم فحسد المسلمين عليه -ملك الروم لما رأى نجابة الشعبي وذكاءه وفطنته وعلمه حسد المسلمين عليه- وأراد أن يدبر له مكيدة لعله يُقتل أو يحبس فبعث معه ورقةً لطيفة إلى عبد الملك في رسالة كان في نصها (عجبٌ كيف مَلَّكَتِ العرب غير هذا؟): فقال عبد الملك -الخليفة- للشعبي: أتدري ما فيها؟ قال الشعبي: لا. قال: عبد الملك بن مروان: أفتدري ما أراد؟ قال: لا. قال: حسدني عليك فأراد أن أقتلك. قال الشعبي: لو رآك -يا أمير المؤمنين- ما استكبرني، فبلغ ذلك ملك الروم فقال: والله ما أخطأ ما كان في نفسه.

○وكذلك يقول مكرم بن أحمد: كنتُ في مجلس القاضي أبي حازم -و أبو حازم كان قاضياً مشهوراً- فتقدم رجلٌ شيخٌ ومعه غلامٌ حدث -جاء شخص كبير في السن ومعه غلام صغير، معه شاب حدث- فادعى الشيخ على الغلام هذا ألف دينار ديناً، قال: هذا استلف مني ألف دينار، فقال القاضي للشاب الحدث: ما تقول؟ قال: نعم. فعلاً أخذت منه ألف دينار، فقال القاضي للشيخ: ماذا تريد؟ قال: أريد أن تحبسه حتى يعيد

إلي المال، فتفرس أبو حازم فيهما ساعة، نظر في هذا وفي هذا، ثم قال: اجلس حتى أنظر في أمركما في مجلسٍ آخر. فيقول مكرم: قلت للقاضي: لم أخرت حبسه؟ قال: ويحك، إني أعرف في أكثر الأحوال في وجود الخصوم وجه المحق من المبطل، حتى صارت لي بذلك دراية، وقد وقع إليّ أنا الآن مرتاب، بسبب سماحة هذا بالإقرار، يعني: هذا الحدث بسرعة يقر بالألف! ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على بصيرة، أما رأيت قلة تقصيهما في الناكرة وقلة اختلافهما وسكون طباعهما مع عظم المال -مع أن المال كثير!!

قال: فنحن كذلك نتحدث إذ أتى الآذن يستأذن على القاضي لبعض التجار، فأذن له، فلما دخل التاجر قال: أصلح الله القاضي إني بليتُ بولدٍ حدث يتلف مالي، ويظفر به في القيان عند فلان -في الأغاني واللهو- فإذا منعته -إذا لم أعطه نقوداً يلعب بها ويلهو بها- احتال بحيلٍ تضطرني إلى التزام الغرم عنه، وقد نصب اليوم صاحب القيان يطالب بألف دينارٍ حالاً وبلغني أنه تقدم إلى القاضي يقر له فيحبسه، فماذا يفعل القاضي؟ يحبس الولد، ثم إذا انحبس الولد قامت أمه نكدت عيشتي حتى أقضي الدين عن الولد وأدفع الألف دينار إلى. فلما سمعتُ بذلك بادرت إلى القاضي فتبسم القاضي وقال: كيف رأيته؟ فقال: علي بالغلام والشيخ، فأرهب الشيخ ووعظ الغلام فأقرا، فأخذ الرجل ابنه وانصرف.

○ ذكر سليمان العثيم في ترجمته للشيخ عبدالله ابن حميد: أنه في عام ١٣٥٥هـ حصلت قصة رجل من أهل بريدة، قد فقد ولده وكان عمر الولد أربع سنوات، فبُحث عنه في أرياف المدينة والبراري حتى يأس أهله من العثور عليه، لكن بعد مضى على ذلك ثلاثة عشر سنة، خرج مجموعة من أهل العقيلات -كانوا تجار بريده إلى العراق- فلما انتهت تجارتهم رجعوا إلى بريده، وفي طريقهم مروا من عند قرية من القرى فوقفوا يسقون، فنظر أحد النبهاء إلى شاب يسقى ومعه آخرين من أهل القرية فقال في نفسه هذا الشاب لا ينزع إلى أهل هذه القرية بعرق أشباهه ليست من أشباههم فقال: لمن كان معه ليس هذا منهم،فقال له صاحبه لعله ولد فلان الذي فقد منذ زمن وهو بعمر هذا الشاب، فقال ذالك المتفرس إذا دخلنا بريدة فأرني إياه أخبرك هل هو له أو لا؟



فلما دخلوا بريدة قابلوا والده فقال المتفرس نعم أنه ولدك لقد رأيته في القرية الفلانية إلحق به.

ذرفت عينا الأب فرحاً، لكن كيف إحضاره مِن من عاش عندهم سنين، ولا يذكر أباه ولا أهل قريته!

فاستشار من حوله فقالوا له، أنطلق إلى أمير القرية فإنه سينصفك من خصمك، بعد دخوله على أمير تلك القرية بعث الأخويا (وهم بمثابة العسكر في ذلك الوقت) فأحضروا الولد ووالده المزعوم، وأحالهم الأمير إلى القاضي الشيخ عبد الله ابن حميد في بريدة، حضر عند الشيخ المدعي والخصم والولد، فتداعوا حتى ارتفعت الأصوات.

فقال الشيخ اذهبوا وإذا أتى العصر فاحضروا.

دخل الولد مع الشيخ منزله فأخذ الشيخ يسأله فقال له ماذا يناديك أهل القرية فقال يقولون يالحضري ياحضري، (أي من سكان الحاضرة) فقال له وأمك التي هناك هل تحبك؟ فقال: لا. بل تقبل أخواني وأما أنا فلا تقبلني.ولا تعطيني ما تعطيه لأخواني.

فلما جاؤوا بعد العصر باغت الشيخ الوالد المزعوم وطالبه بدفع عمل الولد عنده لمدة ثماني سنوات، فلم يستطيع الإنكار فقال: والله ياشيخ إنا أخذناه خايفين عليه، وهو الذي تبعنا فكان منه الاعتراف .

مما قيل في الفراسة:

○من لم ينْتَفع بظنّه،لم ينْتَفع بيقينه. يُضرب في حَمْد الفِرَاسَة.

○ وقال محمّد بن حرب: (صواب الظّنّ، الباب الأكبر من الفِرَاسَة).

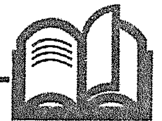
○وقالوا: ولا بدّ في باب البصر بجواهر الرّجال من صِدْق الحسّ، ومن صحّة الفِرَاسَة، ومن الاستدلال في البعض على الكلّ، كما استدلّت بنت شُعيب -صلوات الله عليه- حين قضت لموسى -عليه السّلام- بالأمانة والقوّة، وهما الركنان اللّذان تُبنى عليهما الوكالة.

○وكان ابن الزُّبير يقول: (لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه).

○ ويقال: (من لم تعرفك غائبًا أذناه، لم تعرفك شاهدًا عيناه).

○وقيل: كما أنّ الأبصار تنطبع فيها المشاهدات، إذا سَلِمَت من صدأ الآفات، فكذلك العقول مَرَايَا تنطبع فيها الغائبات، إذا سَلِمت من صدأ الشّهوات. قال الطرسوسي: (إن علم الفراسة حرام على الأغبياء).

○قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: أحسن الناس فراسةً ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا،



وابنة شعيبٍ حين قالت في موسى: يا أبتي! استأجره، وأبو بكر الصديق حين ولى عمر رضوان الله عليهم.

وقال ابن زيد في نفس الآية: (المتفكّرون والمعتبرون، الذين يتوسَّمون الأشياء، ويتفكَّرون فيها ويعتبرون)، وقال أبو المظفَّر السَّمعاني: (أي: للنَّاظرين المعتبرين. وقيل: للمتفرِّسين، وهم الذين يعلمون النَّاس بسِيمَاهم على ما يُرِيهم الله منها).

○ قال أبو الدَّرداء: (اتَّقوا فِرَاسَة العلماء؛ فإنَّهم ينظرونْ بنور الله، إنَّه شيء يقذفه الله في قلوبهم، وعلى ألسنتهم).

كيف تكتسب؟

إن الفراسة تكتسب ويوفق الله لها، فإذا قوي ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسنت فطنته.

فهناك أمور مساعدة على جودة ذهن المتفرس، مثل: التقوى، والصدق، والعلم، وأكل الحلال، وغيرها. فإذا ظهرت علامات وأدلَّة على المتفرّس فيه؛ لم تكد تخطيء للعبد فراسة.

○ قال أبو الفوارس الكرماني: من غضَّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمَّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة.

○قال بعض السلف: من غض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة، وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته.

○ قال ابن القيم -رحمه الله-: (هي إما نورٌ يقذفه الله في قلب عبده، يفرّق به بين الحقّ والباطل، والحالي والعاطل، والصّادق والكاذب، وحقيقتها: أنّها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضادُّه. يَثِب على القلب كوُثُوب الأسد على الفريسة، وهذه الفِراسَة على حسب قوّة الإيمان. ولها سببان: أحدهما: جودة ذهن المتفرس، وحدة قلبه، وحسن فطنته. والثاني: ظهور العلاقات والأدلة على المتفرس فيه). ا.هـ

توسم الشعراء:

كما قال الشاعر يمدح النبي ﷺ :

إني توسمت فيك الخير نافلةً

والله يعلم أني صادق البصرِ

توسم حسان بن ثابت فقال

بيضُ الوُجُوهِ، كريمَةٌ أحسابُهُمْ

شُمُّ الأنوفِ، منَ الطّرَازِ الأوّلِ

وقال زهير بن كعب

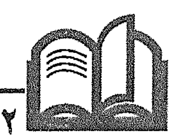
شُمُّ الْعَرانينَ أَبطالٌ لَبُوسُهُمْ

مِن نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجا سَرابيلُ

وقال آخر:

فالعين تنطق والأفواه صامتة

حتى ترى من صميم القلب تبيانا



وقال آخر:

والعين تعلم من عين محدثها

إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقال آخر:

وظنونُ الذكيّ أنفذُ في الحقّ

سهامًا من رُؤيَةِ الأغبياءِ

وقال آخر:

لا تسألِ المرءَ عن خلائقِه

في وجهِه شاهدٌ مِن الخبرِ

وقال آخر:

وإذا اعتراك الوهمُ في حالِ امرئٍ

فأردتَ تعرفُ خيرَه من شرّه

فاسألْ ضميرَك عن ضميرِ فؤادِه

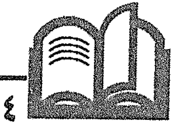
يُنْبيك سرُّك بالذي في سرِّه

○ ١٠٠ من كبار أثرياء العالم الناجحين، أكدوا أنهم يعتمدون على دراسة الجدوى، ولكنهم يعتمدون معها على أمر آخر وهو الفراسة،أو الإلهام.

○ (وهي تفارق الإلهام من حيث أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل. وأما الإلهام فموهبة مجردة لا تنال بكسب البتة). كما قال ابن القيم رحمه الله.

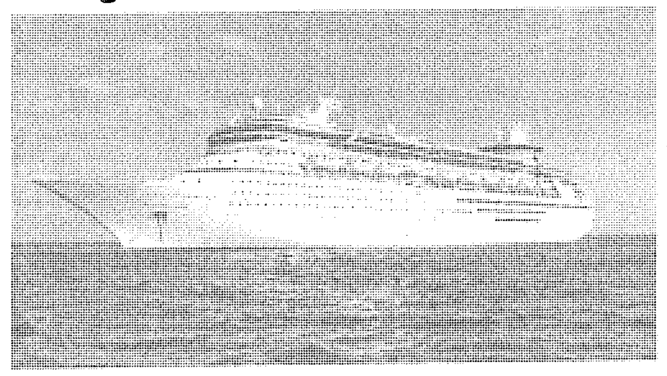
حكمة الدكتور:

قام البروفيسور بإخراج وعاء كبير وفارغ وملأه بكور متوسطة الحجم حتى امتلأ الوعاء.. ثم سأل طلابه هل امتلأ الوعاء...؟؟ فاجاب الطلاب: نعم ثم قام البروفيسور بأخذ مجموعة من الحصى وأضافها إلى الوعاء الزجاجي وأعاد السؤال لطلابه.. هل امتلأ الوعاء...؟؟ فأجاب الطلاب: نعم ثم أخذ البروفيسور صندوقا من الرمل وأضافه إلى الوعاء الزجاجي وسأل طلابه مرة أخرى.. هل امتلاء الوعاء...؟؟ فأجاب الطلاب بالإجماع: نعم ثم أخرج لهم كوبين من القهوة وسكبها في الوعاء حتى امتلأت الفراغات المتبقية فضحك الطلاب وأردف البروفيسور قائلا: أريدكم أن تصوروا أن هذا الوعاء يمثل حياتكم حيث أن الكور متوسطة الحجم تمثل الأمور الأساسية في حياتك مثل: دينك وعائلتك وأطفالك وصحتك وأصدقاءك، والأمور الأكثر أهمية في حياتك، والحصى يمثل الأشياء الأخرى التي لها تأثير في حياتك مثل: عملك، بيتك، سيارتك، أما الرمل فهو يمثل الأمور الصغيرة (التافهة) في حياتك، فإذا ملأنا الوعاء الزجاجي بالرمل أولا فلن يكون هنالك مكانا للكور المتوسطة أو الحصى بالمثل



سيجري لحياتك إن أنت أمضيت جهدك ووقتك في توافه الأمور فلن تجد وقتا للأمور المهمة والأساسية في حياتك ثم أردف قائلا لطلابه: أعطوا اهتماما للأمور التي تمنحكم السعادة كاللعب مع أطفالك والقيام بنزهة مع عائلتك أو أصدقائك ولكن ركز على الأهم من أساسيات الحياة فالمهم وما الباقي سوى رمل... ثم قام أحد الطلاب سائلا للبروفيسور: وما الذي يرمز إليه كوبا القهوة في نهاية المثال...؟؟ فأجابه البروفيسور قائلا: لقد سررت لسؤالك لقد فعلت ذلك لأريكم انه مهما ملأت وقتك عملا فستجد متسعا من الوقت لشرب كوب القهوة مع صديقك.

○ تعطل محرك سفينة عملاق استعان اصحاب السفينة بجميع الخبراء الموجودين، لكن لم يستطع أحد منهم معرفة كيف يصلح المحرك.. ثم أحضروا رجل عجوز يعمل في إصلاح السفن منذ أن كان شابا.. كان يحمل حقيبة أدوات كبيرة معه،وعندما وصل باشر في العمل.فحص المحرك بشكل دقيق، من القمة إلى القاع.



كان هناك اثنان من أصحاب السفينة معه يراقبونه،راجين أن يعرف ماذا يفعل لإصلاح المحرك. بعد الانتهاء من الفحص،ذهب الرجل العجوز إلى حقيبته وأخرج مطرقة صغيرة.وبهدوء طرق على جزء من المحرك. وفوراً عاد المحرك للحياة.وبعناية أعاد المطرقة إلى مكانها.

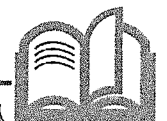
بعد أسبوع استلم أصحاب السفينة فاتورة الإصلاح من الرجل العجوز وكانت عشرة آلاف دولار. (ماذا!؟) أصحاب السفينة هتفوا (هو بالكاد فعل شيئاً) لذلك كتبوا للرجل العجوز ملاحظة تقول: (رجاءاً أرسل لنا فاتورة مفصلة).

- الرجل أرسل الفاتورة كالتالي:

الطرق بالمطرقة	٢,٠٠ دولار
المعرفة أين تطرق	٩٩٩٨,٠٠ دولار

العبرة: الجهد مهم، لكن معرفة أين تبذل الجهد في حياتك هو الأهم.

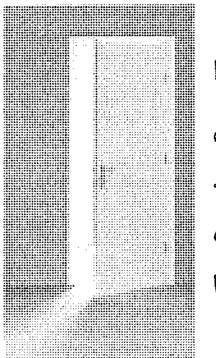
قال لينكولن: (هناك حكمة قديمة وصادقة تقول إن قطرة من العسل تجذب إليها من الذباب أكثر ما يمكن أن يجذبه جالون من سائل مر، ولذلك فعلى القائد إذا أراد أن يقنع شخصاً بقضيته؛ عليه أولا أن يقنعه بأنه صديق مخلص، ويأتيه من هذا الباب وهذه هي نقطة العسل التي ستجذب قلبه، والتي تعتبر أسرع طريق نحو عقله).



عاشرا

لا يفتح باباً يصعب إغلاقه

يكون الحكيم حذراً، فلا يتصرف بعشوائية فإن الحكمة تذهب عن أصحابها، وينتشر ظلامها، ويكون صاحب الموقف رهين الخطاء والعطب.



قد يكون الإنسان ذكيا يفكر أفكارا سليمة ولكن تنقصه الدقة في التعبير لنقص معلوماته عن المدلول الدقيق لكل لفظة. فيخطئ حينما يعبر عن قصده. أما الإنسان الحكيم، فانه يقول بدقة ما يقصده. وأيضا يقصد كل ما يقوله.

○ وقد جاء في صحيح الأمام البخاري عَنْ أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ «لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».

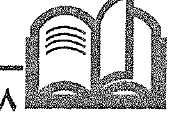
○ وفي البخاري أيضاً أنه كان ﷺ يحذر من سؤال أهل الكتاب فقال «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل،

والله لَوْ كانَ مُوسى بَيْنَ أظهُركم ما حلَّ له إلا أن يتَّبعني»، وأخبر النبي ﷺ انه قد أتى بها بيضاء نقية، فلا يسع أحد من الناس إلا إتباعه، فلا يجوز قراءة كتبهم، ولو على سبيل الإطلاع وقل مثلها في كُتب السحر، أو كُتب الفتن أو غيرها.

لقد وصى -عليه الصلاة والسلام- بالاحتراز ممن ما يحرق البيوت فقد جاء كما في حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله عند البخاري، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا».

قال الحافظ في الفتح: (وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيث بِبَعْضٍ دُون بَعْض أَحْمَد فِي الْأَحَادِيث الَّتِي ظَاهِرهَا الْخُرُوج عَلَى السُّلْطَان، وَمَالِك فِي أَحَادِيث الصِّفَات، وَأَبُو يُوسُف فِي الْغَرَائِب، وَمِنْ قَبْلهمْ أَبُو هُرَيْرَة كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْجِرَابَيْنِ وَأَنَّ الْمُرَاد مَا يَقَع مِنْ الْفِتَن، وَنَحْوه عَنْ حُذَيْفَة وَعَنْ الْحَسَن أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيث أَنَس لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا وَسِيلَة إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدهُ مِنْ الْمُبَالَغَة فِي سَفْك الدِّمَاء بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِط ذَلِكَ أَنْ يَكُون ظَاهِر الْحَدِيث يُقَوِّي الْبِدْعَة وَظَاهِره فِي الْأَصْل غَيْر مُرَاد، فَالْإِمْسَاك عَنْهُ عِنْد مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوب. وَاَللَّه أَعْلَم).

سَاقَ الْإِسْمَاعِيلِيّ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ ثَابِت: حَدَّثَنِي أَنَس قَالَ: (مَا نَدِمْت عَلَى شَيْء مَا نَدِمْت عَلَى حَدِيث حَدَّثْت بِهِ الْحَجَّاج)



فَذَكَرَهُ، وَإِنَّمَا نَدِمَ أَنَس عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَجَّاج كَانَ مُسْرِفًا فِي الْعُقُوبَة، وَكَانَ يَتَعَلَّق بِأَدْنَى شُبْهَة.ا.هـ.

وعند ما تفقد فإن الرأي يتغير والتصرف يخفق، فهناك شيء اسمه بادي الرأي، والنبي ﷺ لما ذم الخوارج قال: «حدثاء الأسنان» أي: قليلو التجارب.

○ لقد كان الوفد القادم من نجران في عهد النبي ﷺ في غاية الاحتياط ولم يفتحوا على أنفسهم باباً للمباهلة (وهي التلاعن) مع من يكون معه الحق فقد كان النبي ﷺ يناظرهم في شأن عيسى -عليه السلام- وأنه ليس بإله فقد أنزل الله عليه قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ سورة آل عمران الآية ٥٩ ، فلما وصلوا إلى طريق مسدود دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة بعد أن دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً -رضي الله عنهم أجمعين-، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»، فجاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين»، فاستشرف له أصحاب النبي ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح!» فلما قام قال رسول الله: «هذا أمين هذه الأمة».

وقال شيخُ الإسلام ابْنُ تيمية: وعُمر انتفع بهذا؛ حتَّى إنَّه لمَّا فُتحَتِ الإسكندريَّة وُجِدَ فيها كتبٌ كثيرةٌ من كُتُبِ الرُّوم، فكتبوا فيها إلى عُمر فأمَرَ بها أن تُحرق، وقال: (حسبُنا كتابُ الله).

○ لقد ذمهم أبو العلاء المعري:

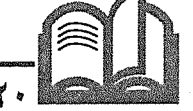
يسوسون الأمور بغير عقل
فينفذ أمرهم ويقال ساسه

فأف من الحياة وأف مني
ومن زمن رئاسته خساسه

وقد يكون من خوارم الحكمة عدم فهم الأدلة، أو الاستدلال بها في غير مواضعها، أو عدم الجمع بينها، وكذلك قلة الخبرة والتجربة وكذلك الانفرادية وعدم تحديد الأهداف والنظرة السطحية للأمور والارتجال والعجلة وعدم ضبط النفس والخلط في المفاهيم، وكذلك تقديم الجزئيات على الكليات والغفلة عن مكائد الأعداء وعدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد.

قال العلماء: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وشرع الله مصلحة كله وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله.

ولَلْكفُّ عن شتم اللئيم تكرّماً
أضرُّ له من شتمه حين يُشتَمُ



أما الوضع في العصر الجاهلي فكان يختلف، حيث كانت الحكمة أبياتاً متناثرة ترد في بعض القصائد، كما قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهله
يكُنْ حمدُه ذَماً عليه ويَندَم

○ ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم. فلما سمعوا قول الله عز وجل ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة هود الآية ٤٤، يئسوا مما طمعوا فيه، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق.

○ومن الطريف ما ذُكر أنَّ هارون الرشيد كان له عم كان أثير عنده واسمه العباس بن محمد، وكان يجله هارون، ويغدق العطايا عليه، فأصبح رجلاً ذا مال، فجاء أحد الشعراء واسمه ربيعة الرقي وهو من الرقة فكتب فيه أبياتاً:

لَو قيلَ لِلعَبّاسِ يا ابنَ مُحَمَّد
قُل لا وَأَنتَ مُخَلَّدٌ ما قالَها
ما إِن أَعُدُّ مِنَ المَكارِمِ خصلَةً
إِلّا وَجَدتُكَ عَمَّها أَو خالَها

وَإذا المُلوكَ تَسايَروا في بَلدَة

كانوا كَواكبَها وَكُنتَ هِلالَها

إنَّ المَكارمَ لَم تَزَل مَعقولَةً

حَتّى حَلَلتَ بِراحَتَيكَ عِقالَها

وهي أبيات في الذروة في المدح، وبعثها إليه، قرأها العباس فأعجب بها فكافأه عليها دينارين!! والشاعر في ذلك الزمان لا يكافأ بمثل هذا.لأنه زمان تكثر فيه العطايا.

فلما جاء الرسول وهو يحمل دينارين للشاعر كاد ربيعة أن يُجن، فهو يعرف قيمة الأدب وقيمة الشعر، فكتب عليها في الخلف أبياتاً يذم فيها العباس فقال:

هَزَزتُكَ هِزَّةَ السَيفِ المُحَلّى

فَلَمّا أَن ضَرَبتُ بِكَ انثَنَيتُ

مَدَحتُكَ مِدحَةَ الطَرفِ المُجَلّي

لِتَجرِيَ في الكِرامِ كَما جَرَيتُ

فَهَبها مِدحَةً ذَهَبَت ضَياعاً

كَذَبتُ عَلَيكَ فيها وَافتَرَيتُ

فَأَنتَ المَرءُ لَيسَ لَهُ وَفاءٌ

كَأَنّي إذ مَدَحتُكَ قَد زَنَيتُ

وأعطى الخادم الدينارين وبعث بها إليه،غضب العباس واشتكاه إلى هارون. فهارون أتى بالشاعر وقال له: هذا عم



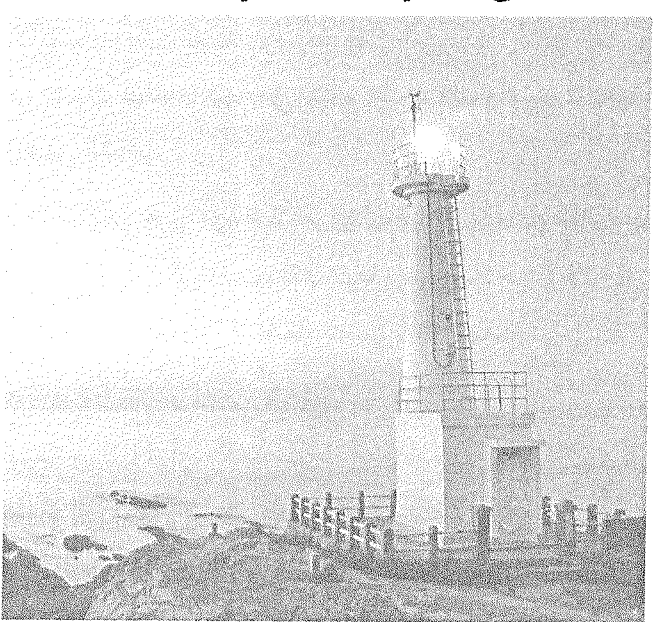
وتعرف أنه أثير عندي ومنزلته عالية فلم تهجوه؟ قال: يا أمير المؤمنين لقد مدحته بأبيات ما مدح أحد بها لكن سله يا أمير المؤمنين! كم كافئني عليها؟ فأخذ العباس يحاول أن يضيع القضية ولا يجيب. فاستحلفه هارون، فحلف بأنهما ديناران، فكاد هارون أن يُجن، ثم قال لعمه: واحد من ثلاثة الذي جعلك تهدي على هذه القصيدة دينارين: إما أُتيت من قبل مالك، وإما أُتيت من قبل أصلك، وإما أُتيت من قبل نفسك، فأما من قبل مالك فليس لك عذر؛ فعندك مال، فلست عاجزاً أن تعطيه، وأما من قبل أصلك فأنت من آل البيت، وأصلك لا يدانيه شيء، فما بقي إلا نفسك، فأنت نفسك وضيعة. فقال له: أما إذا كانت القضية من نفسك فهذه ما فيها حل، فتغير هارون عليه وأصبح لا يقربه، وأعطى الشاعر.

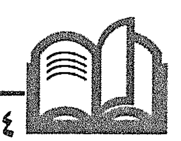
○ وأما جرير فهجاه شاعر يقال له: البردخت، فقال: ما اسمه؟ قيل له: البردخت، فقال: وما معنى البردخت؟ قالوا له: الفارغ، فقال: إذاً والله لا أشغله بنفسي أبداً، وسالمه.

○ ومما ذُكر أن المتنبي الشاعر، جاء إلى كافور وسأله بأن يوليه ضيعة أو ولاية أو أي مكان، وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة. فأجابه كافور: أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سَمَتْ نفسك إلى النبوة، فإن أصبتَ ولاية صار لك أتباع، فمن يطيقك؟

○ ومن أعجب القصص أنه كان هناك رجل يعمل حارساً لمنارة بحرية تعمل على امتداد ساحل صخري، وكان يحصل كل شهر على ما يكفي من زيت الوقود لكي يحافظ على ضوء المنارة متوهجاً.

ولأنه لم يكن يبعد كثيراً عن الساحل، فقد كانت الزيارة إليه لا تنقطع. وفي إحدى الليالي زارته امرأة من القرية المجاورة واستجدته قليلا من الزيت لأجل أسرتها المحتاجة. وفي مرة أخرى زاره أب وطلب من قليلاً من الزيت لحاجة أبنائه، ومرة ثالثة زاره رجل آخر احتاج إلى شيء من الزيت كي يزيت عجلته.





ولأن كل الطلبات بدت له معقولة لم يكن الحارس يرد أحداً خاوي الوفاض. ولكن عندما أوشك الشهر على الانتهاء لاحظ الحارس أن مخزونه من الزيت بات قليلاً جداً، ثم لم يلبث أن نفد. فانطفأ ضوء المنارة في ليلة مظلمة في وقت كان في فيها العديد من السفن في أمس الحاجة إلى نور المنارة. وحيث لم تكن المنارة مضيئة بسبب نفاد الزيت حصلت كارثة كبيرة، ففي تلك الليلة غرقت سُفن عديدة وهلك الكثير من الناس. وعند التحقيق مع الحارس في الكارثة التي حدثت بدا شديد الندم والتأثر على النتائج المأساوية لسوء تصرفه، ورغم اعتذاراته المتكررة واستعطافه ومحاولة تبرير خطئه فقد ظل السؤال الذي يردد عليه: (إنما أعطيناك الزيت لهدف واحد، وهو المحافظة على ضوء المنارة ساطعاً).

إن هذه القصة تبين أهمية الأولويات، وخطورة عدم مراعاتها في العمل، ولذلك فالقائد الناجح يفهم مبدأ الأولويات ويراعيه بشكل مستمر.

وإن هناك شيئين يصُعب إقناع الناس بممارستهما: الشيء الأول هو التفكير، والثاني هو ترتيب الأمور حسب أهميتها. وقد كانت شركة جنرال إلكتريك بقيادة (جاك ويلش) المصنفة الأولى بين أفضل الشركات الأكثر قيمة في العالم، وقد تحقق هذا بسبب قدرة (ويلش) على استخدام قانون الأولويات.

تحت لواء الحكيم:

هل تعلم حكيماً نستطيع أن نأخذ من سيرته أعظم الدروس؟

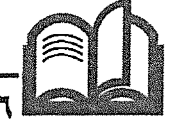
هل تستطيع أن تأتيني بحكيم قد حقق أعظم الإنجازات على أعلى المستويات؟

هل تستطيع أن تُبرز لي قائداً قد ملء الدنيا، بحسن تعاملاته في أصعب المواقف، وأيسرها؟

إنه لا بُد أن يلمع برأسك شخصية قد عرفها أتباعه، وأعجب به أعدائه، وتتلمذوا على سيرته،وأخذوا من معين حكمته، إنه رسول الله ﷺ منه تؤخذ الحكمة، وتعرف منه رجاحة العقل.

قال القاضي عياض في الشفاء: (لا مرية أنه كان أعقل الناس، وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمور بواطن الخلق وظواهرهم وسياستهم العامة والخاصة مع عجيب شمائله، وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهته)

بين يديك شذرات من تلك السيرة العطرة، ونفحات من تلك الروائح الزكية، لقد كانت الحكمة والذكاء معه دائماً، فعندما يتحدث فإنك تجد الدر والعلم ووزن الكلمات وعندما يتصرف فإن الذكاء والحكمة والحنكة في تصرفاته، وأفعاله، ولحسن اختيار دلالة



على رجاحة قلب صاحبه، ففي بدايات الدعوة كانت دار الأرقم موقع للقاء، فهي مقرًا غير معلن للمستجيبين من المؤمنين (ما يربو على الثلاثين لزمهم تعلم أمور دينهم، ولقائهم بنبيهم)، لوقوعها بمعزل أسفل جبل الصفا، وكانت غير مكشوفة لأعين الطغاة ومجالسهم ومراقبتهم، ولأنها محاطة بالسرية، ولا تحتاج عملية الوصول إليها، أو الخروج منها، إلى كبير عناء، أو احتياطات معقّدة، مع صعوبة رصد ومراقبة القادمين إليها والخارجين منها، وأيضاً ليس بالدار موضع قد يستغله أعداء الدعوة، فيطلعوا من خلاله على ما يدور بداخلها، وصاحبها الصحابي (الأرقم) من بني مخزوم، التي كانت تحمل لواء الحرب ضد بني هاشم، ولم يكن الأرقم معروفًا بإسلامه، ولم يعلنه بعد، وقد اتخذ النبي ﷺ ، عملية تنظيم الدخول والخروج للدار كافة الوسائل للخفاء، فساعدتهم على الاحتفاظ بسرية المقر.

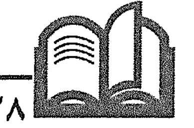
النتيجة: (لم تستطيع قريش أن تعلم مكان المخبأ السري بل أقصى ما توصلت إليه هو شكها أن يكون اللقاء في دارٍ عند الصفا)

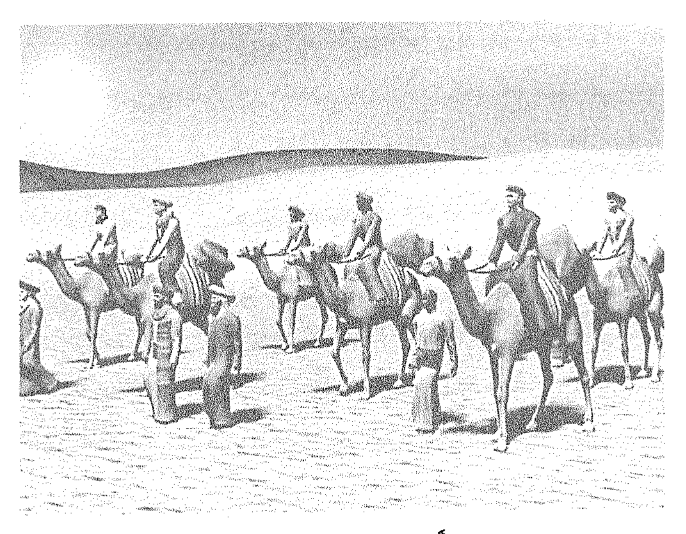
بعد مضي ثلاث سنوات من الدعوة السرية، كان الانتقال للدعوة الجهرية بوحي من الله فقا. كان عدد المسلمين نحو الستين من الرجال والنساء، وقد بات من المتعذر على أهل مكة أن يستأصلوا الإسلام بكامله، خاصةً إذا كان هؤلاء المسلمون من قبائل مختلفة، وأن معظمهم من الأشراف، هنا أَذِن الله لرسوله الكريم ﷺ أن يجهر بالدعوة.

كانت الدعوة الجهرية مرحلة جديدة من مراحل بدايات الدعوة الإسلامية، فقد أُمر الرسول ﷺ بالبلاغ، وكان الأمر بأن يبدأ بأقربائه بالتحديد دونَ بقية الناس، وهذا نوع من التدرج في إيصال الدعوة للعالمين، إذ نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ سورة الشعراء الآية ٢١٤ ،وقد أمره الله -عز وجل- بدعوة الأقربين.

لكن الشوكة قد اشتدت على أصحابه، فقد قُتلت سمية -رضي الله عنها-، بطعنة من أبي جهل وسُحب بلال على رمضاء مكة، وقطعت الميرة عن مصعب بن عُمير -رضي الله عنه-، لم يكن القائد بمعزل عن ذلك،لقد كان النبي ﷺ يقلب نظره في أصحابه يريد لهم النجاة مما هم فيه.

فالإسلام قوي وأهله في أزدياد، تحرى النبي ﷺ فلاح له أمر الحبشة، وأنَّ فيها ملك عادل لا يظلم عنده أحد فقال لأصحابه «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل لكم فرجا مما أنتم فيه» فكان اختياره للحبشة،لأن البُعد فيها مناسب لعدم دخول حرب من أهل مكة عليها، وأهل الحبشة أهلُ كتاب فهم أقرب للديانة الإسلامية من غيرهم، و كانت أرض تجارة فلا يخاف أن يؤثر عليهم السكان الجدد، ومصدر أمان لأهل الإسلام بإضافة الرغبة في لفتح مركز للدعوة إلى الله في أرض الحبشة.





كان الخروج سراً، وكانوا متفرقين لكي لا يلفتوا الأنظار، فقد تم على نطاق ضيق لم يزد على ستة عشر فردًا، فهذا العدد لا يلفت النظر في حالة تسللهم فردًا أو فردين، وفي ذات الوقت يساعد على السير بسرعة، فتم لهم ما أرادوا.

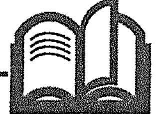
وكان من أوائل من هاجر أقرباء القائد فابن عم رسول الله ﷺ جعفر، وصهره عثمان، وابنته رقية -رضي الله عنهم جميعًا-، في مقدمة المهاجرين له دلالة عميقة تشير إلى أن الأخطار لا بد أن يتجشمها المقربون إلى القائد، وأهله ورحمه،فكان من حكمته الدخول في البلاء جميعاً.

أما أن يكون خواص القائد في منأى عن الخطر، ويدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة فهو منهج بعيد عن نهج النبي ﷺ .

سار المهاجرون إلى الحبشة، وكانوا يريدون الخلوة بالله -عز وجل- حتى وصلوا إلى مأمنهم بلاد الحبشة، فرجع منهم من رجع وبقي من بقي إلى السنة السابعة عندما فتح رسول الله ﷺ خيبر فأشركهم معه في الغنائم، وذلك من الحكمة.

وفي ذلك الجو الملبد بالغيوم، ومع استمرار الدعوة وأثناء عودته من الطائف وقد يئس من قبيلة ثقيف، عاد مُتعباً، لكن دعوته استمرت ففي أثناء موسم الحج عرض له مجموعة من الخزرج في العقبة (جبل يعترض الطريق بين مِنى ومكة) كانت تقصد مكة في الموسم، وعرض الرسول ﷺ الإسلام على هذا الرهط من الخزرج، وتلا عليهم شيئاً من القرآن وشرح لهم أُسس الدين الذي يدعو له، فاستجابوا له وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام، وانصرفوا راجعين إلى بلدهم وقد آمنوا وصدَّقوا، وكان عددهم ستة أشخاص ينتمون إلى بطون مختلفة، ولما قدموا يثرب أخذوا يحدثون الناس بما سمعوا من الرسول ﷺ ودعوهم إلى الإسلام، وغدا ذكر الرسول ﷺ يدور بين الناس هناك، وأصبحت دعوته موضع الأحاديث ومعقد النقاش، ويقدِّر الباحثون أن هذا اللقاء الأول.

عاد الستة نفر من الخزرج إلى يثرب وكانوا على عهدهم مع رسول الله ﷺ، قاموا بالدعوة قدر استطاعتهم، استطاعوا أن يدخلوا بعض أهل المدينة في الإسلام، ولكنهم عرّفوا أهل المدينة جميعًا بأمر هذا الدين الجديد، فقد تناسوا أمور القبلية تمامًا وأتوا إلى الإسلام.



بعد عام كامل والدعوة تأخذ وضعها في البلد الجديد يثرب، والوضع متجمد في مكة ورسول الله ﷺ يقوم بدعوته مع الوفود الزائرة، واضطهاد المؤمنين في مكة ما زال على أشده.

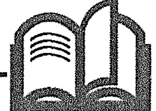
بعد انقضاء هذا العام وفي موسم الحج جاء اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب وقد تمكن الإيمان من قلوبهم منهم خمسة من الستة السابقين وسبعة من المسلمين الجدد، والتقوا مع رسول الله ﷺ عند العقبة ودارت بينهم وبين رسول الله ﷺ مباحثات في غاية الأهمية، كان رسول الله ﷺ فيها حريصًا على تأسيس النواة الأولى التي ستقوم على أكتافها دولة الإسلام، فالآن القرائن تشير إلى أن هذه المدينة الجديدة يثرب قد تصلح لاستقبال رسول الله ﷺ والمسلمين؛ وذلك لإقامة دولة هناك. لكن ليس هذا على وجه اليقين فمعظم أهل المدينة لم يدخلوا في الإسلام بعد وإن كانوا قد عرفوه، وكذلك فإن المؤمنين من أهل يثرب ما زالوا في أول طريق إيمانهم، وعلمهم قليل واختياراتهم محدودة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستوثق من قوة إيمانهم من ناحية، وأن يهتم بتعليمهم من ناحية أخرى، وأن يحرص على زيادة عددهم من ناحية ثالثة، -وكذلك يجب أن يفعل الحكيم- عقد معهم رسول الله ﷺ عهدًا في غاية الأهمية عرف في التاريخ باسم بيعة العقبة الأولى، وكان عددهم اثني عشر رجلاً من الأنصار.

كانت بنود البيعة متدرجة مع حديثي العهد بالدين فقد بداء بالأهم فالمهم كانت على أن لا نشرك بالله، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفّيتم فلكم الجنة، وإن غَشيتُمْ من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله -عز وجل-، إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم.

كانت كلمات بسيطة واتفاق سريع لكنه يحوي معان غزيرة، وهذا من فعل الحكماء، وأرسل معهم مصعب بن عُمير ليسقي البذرة، وليتابع الغرس،، فكان خيرُ سفير.

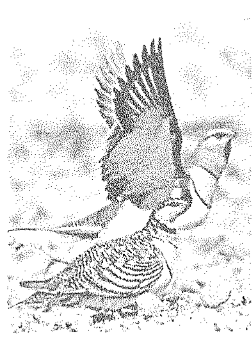
زاد عددهم في السنة القادمة حتى بلغ الوفد ثلاثمائة وقيل خمسمائة،كانت دعوة مصعب علنية في حماية أسعد بن زرارة، لكن لم يكن كل من يؤمن يعلن إسلامه في هذه المرحلة؛ وذلك مراعاة لظروف المدينة التي يكثر بها المشركون في ذلك الوقت، ولوجود اليهود فيها؛ وذلك لضمان استمرار الدعوة إلى أقصى مدى، حتى تحين اللحظة المناسبة التي يعلن فيها المسلمون عن أنفسهم في وقت يستحيل فيه استئصالهم.

أما الأنصار فقد أرسلوا من رتب مع رسول الله ﷺ موعدًا للقاء، وكان من الضروري أن يقابل الرسول ﷺ الأنصار جميعهم، ولا يكتفي بمقابلة النقباء عنهم حتى لا يذهب إلى المدينة ثم يفاجأ بأن بعض الأنصار غير موافقين على بعض بنود البيعة، أو غير موافقين على وجوده ﷺ في المدينة أصلاً.



حُدِّد بالفعل الموعد، وكان موعدًا عجيبًا يثبت مدى دقة واحتياط رسول الله ﷺ ، وأخذه بالأسباب إلى آخر مدى؛ اختار رسول الله ﷺ مكانًا بعيدًا آمنًا، وهو الشعب الأيمن عند العقبة حتى يكون بعيدًا عن عيون المراقبين إن كان هناك مستيقظ. وكان اللقاء في آخر ليلة من ليالي الحج، وفي وسط ليلها لأنه وقت نوم الناس وكذلك يجب أن تكون السرية. والحجاج سيعودون إلى بلادهم في اليوم التالي مباشرة، وبذلك يضيق الفرصة على مشركي قريش في متابعة الوفد الأنصاري أو مراقبته.

حضر مع رسول الله ﷺ ثلاثة: عمه العباس بن عبد المطلب؛ لأنه سيكون مشاركًا في المباحثات كما سيأتي، ورجلين فقط من أهل مكة المؤمنين: أبا بكر الصديق ، وابن عمه عليًا بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، وأرادهما معه لتأمين المكان ومراقبة الطرق المؤدية إلى الشعب الذي سيتم فيه اللقاء. وأمر رسول الله ﷺ أيضًا الأنصار بتكتم الأمر حين الخروج لملاقاته، وقد فعل الأنصار ذلك بنجاح، يقول كعب بن مالك -رضي الله عنه-: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين (القطا هو طائر صغير يشبه الحمام).



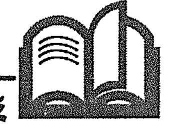
فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب -وهي المنازل- هل لكم في مذمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا أزبّ العقبة، هذا ابن أزيب -قال ابن هشام: ويقال ابن أُزيب- أتسمع أي عدوالله، أما والله لأفرغنّ لك».

قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضُّوا إلى رحالكم». قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا.

قال: فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قريش، حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم.

قال: فانبعث مَنْ هناك مِنْ مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه.

قال: وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم، وانصرفوا.

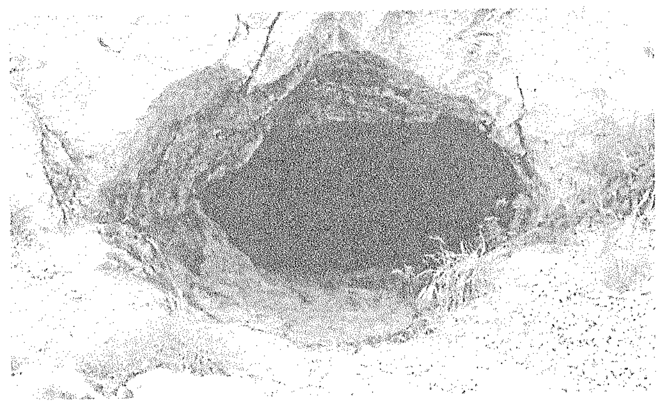


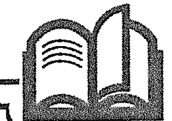
ثم رتب لهجرته ﷺ ، فقد كان دقيقاً في تصرفاته، وراعى جانب الحيطة والحذر لقد جاء إلى صاحبه في وقت لا يخرج فيه أحد، لأبي بكر -رضي الله عنه- ليصحبه معه، اختار لذلك وكان في وقت الظهيرة، فقد أخفى شخصيته أثناء تنفيذ المهمة فقد جاء الرسول ﷺ متلثمًا لبيت أبي بكر -رضي الله عنه-، فطلب منه أن يخرج مَن معه من البيت، فقال: «أَخْرِجْ عني من عندك» وهذا احتياط أمني ضروري، لخطورة الأمر.

فكان اختيار الدليل صاحب الخبرة الكافية، والبصيرة من تلك المستلزمات للإعداد للهجرة، فكان دليلاً ماهرًا عالمًا بأمن وأقصر الطرق بين مكة والمدينة المنورة، وهو عبد الله بن أريقط، وكان على دين قريش، فكتم النبي ﷺ الأمر ثم سار للهجرة، لكن من طريق لم يكن معروفاً، خالف في الظن، في اتخاذ طريق غير طريق الوجهة، ليأمن الطلب، ويخفي عليهم قدر ما ستطيع، فكان من التمويه في الخروج إلى الغار: يقع غار (ثور) جنوبي مكة المكرمة، بينما يقع الطريق المؤدي إلى المدينة شمال مكة المكرمة، وهنا تبدو دقة التخطيط، والاحتياط الأمني، لأنه كان يعلم أن قريشًا ستجدُّ في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيس المتجه شمالاً، فقد سلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوبي مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبلاً يعرف بجبل ثور.

توجه من الباب الخلفي من بيت أبا بكر، للغار قبل الفجر -بعد أن أمن مكانه علي بن أبي طالب للنوم في مكانه-، سيراً على الأقدام وذلك لأن السير على الأقدام يجعل أثرهم أقل وضوحًا مما لو كانا راكبيْن، إضافة إلى أن الركوب على الدواب في مثل هذا الوقت من الليل ملفت للنظر، وربما تنبهت قيادة قريش للأمر، فتفسد الخطة، كما أن حركة الرواحل في الغالب يصدر عنها صوت، مما يجعل الركب عرضة لإثارة فضول قريش فتسأل الركب، أو تستوقفه لتستوضح أمره.

اختفى في الغار ثلاثة أيام ليخفى الطلب، واستعمل من حوله فعامر يخفي الآثار، وأسماء تصنع الطعام، بعدها حانت الهجرة ليثرب لكن مع طريق غير معروف -طريق الساحل المهجور- وذلك زيادة في الاحتياط، وقريش زادت في الجائزة وسالت مطامع الناس.





فمع الاحتياط، ومع زيادة التحرز فقد لحقهم سراقة بن مالك، لكن الله حبسه عنهم ببركة دعوة النبي ﷺ واستعمله بأن يخفي عليهم الطلب، وذاك من حكمته بعد أن وعده بسواري كسرى.

وفي يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول كان دخوله إلى قباء وبعد الجمعة كان استقراره في المدينة.

ولقد حفظ للأنصار هذا الود وحُسن الاستقبال فلم يتركهم، حتى بعد فتح مكة، وتوزيع الغنائم بعد حنين ولقد كان يراعي من القادة والشخصيات ويعامل معهم كما لو كان يعرف كيف يؤثر عليهم

بصير بأعقاب الأمور كأنّما
يخاطبه من كل أمر عواقبه

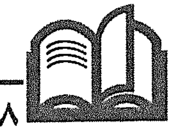
لقد أَسر ثمامة بن أثال وهو من رجال نجد من بني حنيفة وهو ملك اليمامة،وله عند قومه مكانته فربط في المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة »، فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر فتركه، حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة»؟

فقال: عندي ما قلت لك ولم يزل رسول الله ﷺ يتودد إليه ويتردد عليه، ويدعوه إلى الإسلام، ثم أمر أصحابه بفك أسر ثمامة. فقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد،فاغتسل ثم دخل المسجد،فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي،والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي،والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فأمره النبي ﷺ أن يلتزم التلبية الشرعية، فذهب ثمامة إلى مكة فصدع بالتلبية.

فهبّت قريش مذعورة، من هو هذا الرجل الذي يلبي بتلبية محمد ﷺ ، ولم يلبِ بتلبيتنا؟ فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ .

السؤال كيف أستعمله لماذا ربطه في المسجد ولماذا أطلقه؟ وهل كان يعتقد أنه سيُسلم؟ أليس من الأفضل أن يجعله ورقة ضغط على قومه؟





عصارة الحكمة

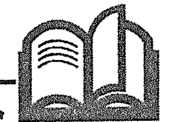
(جاكسون براون): كتيب جميل يحمل نفس العنوان.. وهو من تأليف أب عطوف كتب ١٥٦٠ نصيحة قدمها لابنه كهدية قبل سفره للدراسة في الجامعة.

وعلى غير ما توقع الأب (ويدعى جاكسون براون) حقق الكتاب المرتبة الأولى في قائمة النيويورك تايمز وأصبح -بين ليلة وضحاها- من أكثر الكتب تهاديا بين الآباء والأبناء.

جاءت النصائح عدد ١٥٦٠، انتقينا منها ما يتعلق بموضوع الكتاب:

- لا تتوقع ان تكون الحياة عادلة.
- احذر من الذي لا يوجد عنده ما يمكن خسارته.
- فكر مرتين قبل ان تقول سر لصديق.
- اعط الناس فرصه ثانية ولكن ليس الثالثه.
- تفادى الملاحظات الساخرة.

- انظر إلى اعين الناس.
- لا تيأس أبدا واحتفظ بخط للرجعة!
- كن شجاعا، وإن لم تكن كذلك فتظاهر ، فلن يلاحظ أحد الفرق !
- تعلم كيف تستمع فالفرص الخفية تحتاج لأذن قوية!
- لا تحرم الآخرين من الأمل فقد يكون هذا كل ما يملكونه! ينصف ويصنع.
- حين تصادف كتابا جيدا اشتره حتى لو لم تقرأه!
- سافر وشاهد أماكن جديدة بعقل مفتوح.
- حين تدق الفرصة على بابك أدعوها للمبيت.
- لا تشارك رجلا فشل ثلاث مرات.
- حين تشتري عقارا انتبه لثلاثة شروط مهمة: الموقع ثم الموقع ثم الموقع.
- اكتب ١٠ أشياء تريد انجازها في حياتك ثم ضع الورقة في محفظتك.
- الفاشل في إنفاق ماله فاشل في كل شيء في حياته.
- ابتعد عن الأماكن المشبوهة؛ فالأحداث السيئة لا تحدث إلا هناك!

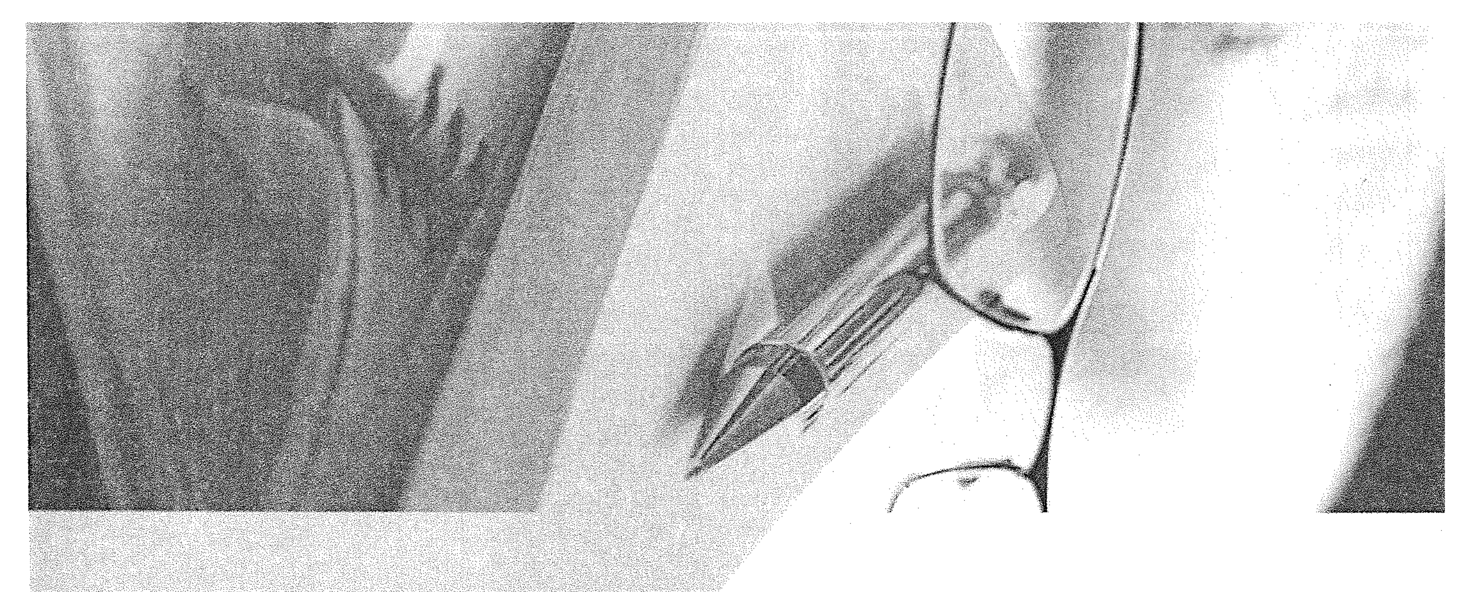


- لا تخش العقبات الكبيرة فخلفها تقع الفرص العظيمة.

- احكم على نجاحك من خلال قدرتك على العطاء وليس الأخذ!

- ولا تصدق كل ما تسمع ، ولا تنفق كل ما تملك ، ولا تنم قدر ماترغب.





حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب

الخاتمة

بعد هذا التطواف مع الحكمة، يجب أن تعلم أن من أسمائه الحكيم فقد جاء في القرآن الكريم كثيراً، أتي بمعنى المتقن وأن علمه أفضل العلوم هو الذي يضع الشيء المُناسب بالقَدَر المُناسب وفي الوقت المُناسب وبالمكان المُناسب لذا نتعلم منه سبحانه الحكمة، فله الحكمة البالغة، فهو قد علم بالأشياء على ما هي عليه، والإتيان من الأفعال على ما ينبغي أو المبالغة في الإحكام وهي إتقان التدبير وإحسان التقدير. كما قال الأوسي رحمه الله.

وإذا رأيت التقدير في خلقه فإنك ترى العجب فقد خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا،

وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطّلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان.

أو كان التقدير في شرعة وأمره ففيه العجب، فقد شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمه أجلّ من هذا، وأي فضل وكرم أعظم من هذا، فأن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجلُّ الفضائل لمن يمنّ الله عليه بها. وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم.

فله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير و شر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها. كما قال ابن القيم.

وأيضاً فكلامه حكمة فالقرآن من لدن حكيم في أسلوبه الرائع الجذاب، وحكيم في هدايته ورحمته، وحكيم في إيضاحه وبيانه، وحكيم في تشريعاته وحكيم في كل أحكامه، وحكيم في أمره ونهيه، وحكيم في ترغيبه وترهيبه، وحكيم في وعده ووعيده، وحكيم في أقاصيصه وأخباره، وحكيم في أقسامه وأمثال، وحكيم في كل ما اشتمل عليه، بل هو فوق ذلك وأعظم من ذلك،

فلا حشو فيه، ولا نقص ولا عيب كما يكون في كلام البشر، الله أكبر ما أعظم هذا القرآن، لقد بلغ الغاية في البهاء والجمال والكمال. كما قال الشنقيطي في أضوائه.

ومعنى الإحكام لخلقِ الأشياء إنما ينصرفُ إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها؛ إذ ليس كلُ الخليقةِ موصوفًا بوثاقة البُنية، وشدةِ الأسر، كالبعوضة والنملة وما أشبههما من ضعاف الخلق إلا أن التدبير فيهما، والدَّلالة بهما على كون الصانع وإثباته ليس بدون الدَّلالة عليه بخلق السموات والأرض والجبال وسائر معظم مخلوقاته. وكذلك هذا في قوله -جل وعزّ-: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ سورة السجدة الآية ٧ لم تقع الإشارة به إلى الحسنِ الرائق في المنظر؛ فإن هذا معدوم في القرد والخنزير والدب، وأشكالها من الحيوان. وإنما ينصرف المعنى فيه إلى حسن التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما أحبَّ أن ينشئه عليه، وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها؛ كقوله -تعالى-: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ۝٢ ﴾ سورة الفرقان الآية ٢

(كما قال: الخطابي - رحمه الله تعالى).

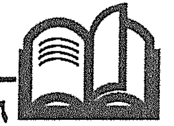
يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل لا يُسمى حكيماً).

فإذا أيقن العبد أن ربه حكيم استراح قلبه، فقد تخفى عليه بعض الأمور في بعض الأقدار، وفي بعض أعمال الرب تبارك وتعالى،

فيرجع إلى هذا الأصل الكبير وهو أن الله حكيم، فلا يشرع إلا لحكمه ولا يقدر إلا لحكمه، فعليه إذا أن ينشرح قلبه ولا يتردد ولا يتشكك ولا يتذمر ولا يتحير وإنما يبقى في غاية الطمأنينة والانقياد والتسليم، فالذين يظنون أن هذا الخلق إنما هو للهو وللعبث هؤلاء الذين ساءت ظنونهم بالله عز وجل، الله يقول: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ سورة ص الآية ٢٧ (كما قال ابن القيم).

قال تعالى:

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة التين الآية ٨



الفهرس

حكماء

نظرة للعاقبة و المآلات بفهم ثاقب ورأي صائب